دراسة

مدينة الموت الجميل

سعيد الكفراوى

د. عبد القادر القط

« هل كانت أبواب البيت موصدة ؟ هل هو الصوت الذى يأتى عبر الآماد البعيدة ؟ .. أم أننى كنت أحلم ؟ .. وهل فى قدرتى أن أمسك الأيام وألمّ عصف الرياح فى راحة يدى ؟ .. غايتى أن أستحوذ على زمن يضيع ! »

لعل فى هذه الكلمات من خاتمة قصة « العشاء الأخير » المفتاح النفسىّ والفنّى لقصص سعيد الكفراوى فى مجموعته الأولى « مدينة الموت الجميل » ، فإن « البحث عن الزمن الضائع » هو محور تلك القصص ومنبع صورها الشعريّة المحمّلة بكثير من الشجن والشعور بالفقد الأبدى .

لكن الزمن الضائع ليس جمالاً محضاً أو خيراً خالصاً ، بل هو طفولة الراوى وصباه الباكر فى ربوع قريته وبين أهله ، بكل ما فى القرية القديمة من طيبة الفطرة وعطاء العمل وقسوة الفقر والطقوس والخرافات الموروثة ، وبكل ما لدى أهلها من حب وتعاطف ، وما بينهم من تحاسد وفُرقة .. وبرغم اختلاط الخير والشر ، والجمال والقبح ، يظلّ ذلك الماضى البعيد مثار حنين دائم فى نفس الراوى كلما ثقلت عليه وطأة الحياة فى المدينة أو أناخت عليه الهموم فى لياليها الطويلة .

وليس ذلك عند الراوى من قبيل الرفض الرومانسىّ للمدينة ، أو من قبيل الحلم بالعودة إلى نقاء الريف وطهارة الطبيعة ، بل هو تجربة مركبّة على مدى سيّال من الزمن يختلط فيها اليوم بالأمس والغد ، ويجوس الزمن فيها خلال المكان فى المدينة والقرية ، جامعاً فُتاتاً من أحداث صغيرة ومشاهد ليس لها شأن كبير فى واقع الحياة ، لكنها عظيمة الشأن فى ضمير الراوى ووجدانه .

ليس فى القصة حادث بارز يمكن أن يلخص ، ولا شخصية متفرّدة يمكن أن يقف عندها القارىء ، بل يجىء الحادث الصغير فى ثنايامشاهد من حياة القرية وأهلها تختلط فيه الحقيقة بالأسطورة ، ونثرُ الحياة اليومية بشعر من وجدان الطفولة يستعيده راوٍ ناضج تجاوز مرحلة الإحساس الوجدانى المحض إلى مرحلة يجمع فيها بين الإحساس والفكر ، والتفنّن الواعى فى التصوير والتعبير .

فى قصة « الجواد للصبىّ .. الجواد للموت » يمتد طرفان لحادث عادى ، من مولد « مهر » صغير إلى موته بعد أن صار جوادا على قدر عجيب من الجمال والنجابة . وبين الميلاد والموت ، ورعاية الصبى لمهره الصغير وركضه لجواده النجيب ، تتكشف نماذج ريفيّة عابرة ومشاهد من طبيعة القرية وطبيعة العمل فيها ، وألوان من طقوسها وخرافاتها ، وعقيدتهم فى الحسد والرُّقية ، ويتحوّل الجواد إلى كائن أسطورى يتصل وجوده بوجدان أهل القرية وخيالهم :

« العمّ سيّد .. يسند رأسه على منبر الجامع ويتطلّع بعين ساجية يشعّ منها الصلاح والتقوى ، ويشير بيده ويقصّ حلماً يأتيه بعد أن يتوضأ ويصلّى وينام : هو المهر يأتى مع القمر فى هدأة الليل حينما يكون السكون .. حين تخلو الحارات والأزقة من ناسها .. أراه ، أنا العارف بما أرى ، عبْر هالةٍ من نور ،

على ظهره « خرْج » بعينين ، عين فيها رزق معلوم ، وعين مليئة بحبّة البركة . يقف أمام أبواب الدور فتفتح . . تخرج نسوة متشحات بالسواد يغرفن من الخرج ويملأن مخالى معمولة من قماش الخيام . . تكتفى النسوة ولا تنقص عينا الخرج المليئتان بالرزق المعلوم وحبّة البركة . . وفى ليالٍ كثيرة متتالية كان الصبىّ يمتطى ظهر المهر بعد أن ينام الناس ويهجعوا . . وكانت الشوارع خالية ، فيما تتبدّى البلد تحت السماء كامرأة متوحدّة مهجورة . . كان وقع حوافر المهر كقرع طبلة ، وكانوا يتسمعونها تأتيهم عبْر منافذ الحلم ، حيث لا تكون الصحوة مؤكدة ، وتتهيأ النفوس لاستقبال هبوط الروح من عوالم أخرى غير موازية لعالمهم . . ساعتها يظلّ التساؤل مستقرّاً بالضمير الغافى عن سرّ هذا الرباط المقدّس الذى يربطهم بالجواد ، ومن ثمّ بالصبى . . » .

ويكون مصرع الجواد الخرافى الذى يرتبط عند أهل الريف بوليٍّ من أولياء الله يطوف على ظهر دابّته ليلا ليعطى المحتاج وينفّس شدّة المكروب ، معادلاً لموت الخير ، وللفقد المضروب ذلك الذى يحسّ به الراوى كلما عاد به خياله إلى قريته فافتقد معالمها المألوفة وأناسها الطيبين ، وودّ لو استطاع أن يعيد دورة الزمن ليعيش بينهم من جديد ، فى محاولة دائبة للبحث عن الزمن الضائع واستعادته : « تتفتح الجروح التى لم تندمل يوما . . رياح العصر تدفع إلى قلبى الحنين . . لو أدرك الآن ما مضى ! . . لو أمسك بالشمس مرة ، ولم أفارق أيامى التى لم أعشها . . ! » .

وتنطوى هذه العبارات الأخيرة على عناصر جوهرية تشيع فى كثير من قصص الكاتب : الجروح الغائرة فى صميم الروح لا تندمل مهما يطل الزمن ، بل لعلها تزداد غوْراً كلما غابت ــ بمضىّ الزمن عن الذاكرة الواعية لتسكن ــ منسيّةً ــ فى أعماق الباطن ثم تنبثق بالدم فجأة كأنها مطعونة لوقتها ، فى لحظةٍ من وحشة الليل أو قسوة السجن أو مشهد مفاجىء لأطلال وجود عالٍ بعيد . . . وبالحنين ، ذلك التّوق الشجىّ الرقيق الذى يستمتع المرء بلذعته ويطفو حينا ويمتدّ فى لحظات عابرة من النهار أو الليل ثم يعود فيستكنّ فى هيئة حلم ضبابى يغدو ويروح فى خفاء بين ثنايا حركة العمل أو زحمة الناس . . وتلك الشمس التى تشرق أو تغرب ، وتتوهج أو تذمى فتلوّن لحظات القصة النفسية أو تتلوّن بها . . والأيام التى « لم يعشها » الفتى الراوى كأنها حلم قصير واعد بَتَرتْه صحوة لا منام بعدها ، ولا سبيل إلى ردّه إلاّ بأحلام اليقظة أو تهاويل الوهم .

وبالرغم من ارتباط « البحث عن الزمن الضائع » بلحظات من الوحشة أو المعاناة ، فإنه يبدو كأنما هو فطرة نفسية جُبِل عليها الفتى الراوى منذ طفولته الباكرة ، حتى قبل أن يرحل عن واقع تلك الطفولة ، وقبل أن يفقد أحباءه ورفاق صباه. إنه فى قصة « سنوات الفصول الأربعة » يسمّى نفسه « طفل الماضى » . وفى إحدى قصص الكاتب التى نشرها فى بعض المجلات الأدبية المعروفة ــ بعد ظهور هذه المجموعة ــ « زمن الأنتيكا » يعشق الصبى ــ دون سبب معلوم ــ « نقش التواريخ على قطع الخشب القديم » فيخرج من مكمنه فى الليل ، محاذرا يتسلّق الجدران وينتزع قطعة من الخشب يكون قد رآها من قبل ، ويعود بها حيث يعيش ، فإذا دخل بها مسكنه جاءته « رائحه زمن محبوس مختلطة برائحة ما جمعه من أشياء حيّة لا تندثر . » .

وسواء أكان انبعاث الماضى وليد لحظة عابرة أو معاناة مقيمة أو فطرة نفسية باكرة ، فإن الراوى يزاوج بين الماضى والحاضر فى تلقائية بارعة تتبعها مزاوجة بين طبيعة الراوى وفكره وصوره ولغته وهو « الطفل الكبير » ، وطبيعة الطفل الصغير وأحاسيسه ولغته وهو فى رعاية أمه وأبيه وبين يدى جده ، الناطق بالحكمة ، الجامع لجيل الطيبين ، الزارى على الزمن الجديد ، أو فى صحبة جدّته رمز الطيبة الغاربة ، أو فى مجلس أبيه بين الرجال ، أو رفقه أمه الحانية رمز الخير و « البركة » التى لن تعود .

هكذا تختلط مدركات الطفل الصغير بذكريات الراوى ــ الطفل الكبير ــ فينضج الإدراك ويعلو فوق مستوى الطفل القروى ويشف الأسلوب ويفصح عن قدرة مكتملة فى التصوّر والتعبير ، وإن ظل مضمونه النفسى لصيقا بحياة الطفل الصغير : ، فى قصة الكاتب البديعة « العشاء الأخير » .

« كنت فى البدء وأنا صغير أرى الرجال يجلسون على حصير من سمار ملوّن الحواف . يجلسون وأقدامهم تحتهم ، نفس الرجال الذين لم تهلكهم الحياة بعد ، بقاماتهم المديدة وروائحهم العرقة المستمدّة من الرماد ، وقد لبسوا جلابيبهم القديمة الحائلة وبدوا فيها كجذوع أشجار عتيقة جفّفتها الشمس ، متحدّين البلى والفناء . . وكنت أرى حوائط من طين ملوّن ، وطاقات يدخل منها نور الشمس وأرى من خلالها النجوم والعشب الزاخر الذى يحوط الرّواق . . كل هذا الزمن قد انقضى ! » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفى قصة أخرى «غجر ليلة القدر» نشرت بعد ظهور المجموعة ، يمتزج الطفلان مرة أخرى فى التصور والتعبير : « . . وعلى أرض الزقاق وتحت التوتة الذكر ، تفرش الغجرية ــ ضاربة الودع ــ المنديل ، وعليه حبّات الرمل الناعم . العين الكحيلة فى العيون . مأسورات القرويات بسحرها الخفىّ ، تخطط الأصابع سكك العمر ، وتأتى بحظوظ الخلائق . . طرق مفتحّة للسعد وأواخرها أفراح للبكارة ، وطمأنينة بعودة الغائبين . سنة خير تدرّ الضروع باللبن ، وتملأ صوامع الغلة بالخير ونعمة الغيط . . لكن المخاطر كامنة فى بطن الغيب كالكواسر ، حاسدة وكارهة ، ورب العباد المنجىّ ، ورسوله حافظ ، والطيب لا يضام . . »

وفى « لا بورصا نوفا » أولى قصص المجموعة « كان أبى الشيخ قد عمدّنى ثلاثا فى بحر النيل . . كنت طفلاً صغيراً أعشق النهر والحارة وجوادى الأشهب . . شرقت بالطمى وصرخت مفزوعاً وأنا أغطس فى النهر . . صاح بى أبى : أحمد يا ابن الناس ! ماء النيل يرمّ العظام ، ولا يروى القلوب كمائه . . كان ذلك فى زمن الفيضان ، شربت الماء بطينه ، وعلى جوانب الصدر تكوّنت جزيرة أسميتها « الوطن » . . كان الوشم أخضر كورقة القطن وكان يزهو لونه فى زمن الربيع . . وكنت أسمع آلة الوشم تئزّ وفى ساحة المولد أرى رجالاً ونساء وأطفالاً كثيرين ، وكانوا يغنّون وعندما يكفّون أشعر أنهم تعساء . . فى المرآة الصغيرة رأيت على صدغى حمامتين تتأهبان للطيران وتنضمّان إلى سرب الحمام العائد والذاهب تجاه المغارب . . »

يطوف الماضى بخيال الراوى فى صور شاعرية من ملامح الريف تومض وتختفى ، إذا استدعته لحظة عابرة من وحشة الليل فى المدينة ، ويمثّل حاضراً مثقلاً بالحزن والفقد حين يعود الفتى إلى قريته فتبدو لعينه ونفسه أطلالا قد خلت من الرجال والمواطن العزيزة ، وتمتدّ المقارنة بين الماضى والحاضر وتثقل وطأتها فى غيابة السجن أو المعتقل :

فى « لا بورصا نوفا » ــ المقهى الذى يرتاده الفتى الراوى ــ يلتقى الفتى وقد سار فى آخر الليل وحيداً مهموما مليئا بالوحشة بفتاة ليل وحيدة مهمومة مثله . ويسيران فى البرد والمطر يتجاذبان أحاديث مقتضبة ، ومن حين إلى آخر تنبثق فى نفس الراوى صورة الطفل القروى القديم ، فى ذكرى سريعة وعبارة متبورة « رأيتها هناك بجوار حائط الصخر تلوذ بشرفته العالية ، لم أتبينها أول الأمر لكننى رأيت ثوبها المنقوش بالورود والسنابل الخضراء . . تذكرت ــ وأنا صغير ــ أننى كنت أقطف هذه السنبلات وأحرقها وأفركها بيدى وأذروها فى الريح ثم أكلها . . . ذكّرتنى عينها بالنخلات الثلاث والبئر المعين صوت جدتى والمزار القديم وفرسى الأشهب » .

وفى « العشاء الأخير » يعود الفتى الراوى إلى قريته بعد غياب طويل وقد بعد عهده بالطفل الذى كان ، ورحل عن الدار والقرية أحباؤه ، ورانت على المكان مظاهر البلى والخراب فيمتزج لديه الحاضر والماضى فى لحظات متعاقبة ، لا تشى بالمرارة بقدر ما تنضح بالشجن واللمسات « الروحانية » التى تكاد تبلغ مشارف « الصوفية » . وهى ظاهرة سنرى لها نماذج فى صور الكاتب فى كثير من القصص . ويتم الانتقال بين الحاضر والماضى على نحو تلقائى يسير ، إذ لا يتضمن النقلة من حدث إلى حدث بل من إحساس إلى إحساس ومن صورة إلى صورة عن طريق التقابل الذى تستدعيه اللحظة إلى الذهن بالضرورة .

تلك المقرنصات التى تحملها الأعمدة ، والكتابة الشبيهة بالآيات ، والأرض الترابية وقد انخلع عنها بلاطها الملوّن . . حتى النوافذ التى تبدو كعيون تواجه المساء فى جدار « الرواق القديم » (والتى كنّا نرى من خلالها انهمار المطر) تلك النوافذ وقد كستها خيوط عنكبوتية منسوجة على مهل عبر سنوات مضت . . كنت أرى فى الركن « مشكاة » مدلاّة بسلاسل رفيعة من حديد صدِيء تدفعها هبّات هواء قليلة . . (وكان يهتز نورها فيما مضى وكنت ألعب مع ظلىّ وحدى فى ساحة الرواق . وكان ظلّى يقفز من جدار لجدار ، وكنت أخاف منه عند ما يطول) . . كل شىء قد سحقته الأيام ! ضربت عامود الوسط بيدى ، ونظرت إلى السقف الذى سكنته العناكب (عامود الوسط . . كم دار حولك من غلمان تمتلىء أثوابهم بالهواء فيطيرون بأجنحة ملوّنة عبر الرواق حيث يضجّ بهم ولا يضيقون به !) . . خطوت للساحة المفروشة بالرماد ، وصعدت الدرجات التى أكلها الزمن . . اتجهت يمين المدخل (ودفعت نفس الباب الذى دفعه الطفل الذى كان ، والذى كان يلبس ثوبه القصير المقطوع بالخطوط الملوّنة ، والمبقّع بألوان ثمرات التوت ، والمندّى بطين الترع . . . » .

وتمضى القصة على هذا النحو من الصور واللحظات النفسية المتعاقبة المتقابلة فى إطار الزمان والمكان الذى يقف فيه الراوى وحده لا يرى إلاّ الأطلال ، ولا يسمع إلاّ نبض « الأشياء » ، حتى إذا انفتح الإطار فضمّ ملامح عتيقة باقية من

وجود إنسانى عزيز ، بلغ الموقف ذروة مأساته : « أراه يجلس أمام داره . . هو الباقى . أخى بجواره يهمس فى أذنه . كانت يده تقبض عصا ، الكف على الكف ، والرأس محنىّ ، لبدة من وبر ــ كان لأبى فيما مضى مثلها ــ مدفوسة إلى منتصف جبهته لا تكاد تستر الشعر . . فى زمن كان الرأس تسبح فوقه النجوم . . عين الباز الكريم انطفأت لمعتها ، ولم تعد تنفذ عبر ظلمة « رواق » الماضى المنسىّ . . خلف جدار داره مثواه ، وهى من تراب وطين ، والرفقة حيوان أليف بعد أن تبعثر الأولاد فى الشعاب البعيدة . . كلما اقتربت منه رفع رأسه ــ رأس الباز القديم ــ وحدجنى بعين شحّت رؤيتها . . الشبه الذى يربطنى بأبى يحفزه إلى حد الاستثارة . . جسدى جسد أبى ، وعيناى عيناه . . كأننى بعثت فى مشهد الرؤيا . . كأنّ أبى الميّت يطلّ عليه من الزمن الذى فات . . كأننى أتجلّى فى الصعود النهائى ، أخرج من دوران الأزقّة المحاطة بالبيوت الغريبة ، وشمس النهار مليكة متوّجة بالغمام . . يرفع رأسه ويحدجنى : « سلامه ! » . . توقفت وأخذت . ينادى أبى الميّت ! . . عيناى فى عينيه : « أنا سعيد يا العم » . ينهض بمعاونة ابن أبى ويخطو نحوى ! « سعيد بن سلامة ! أخيراً عدت ؟ » . . لمحته يجهش بالبكاء . . . هل كان يبكى أبى أم كان يبكينى ؟ . . يتجلى لى أبى فى سدرته ، بيت مداهم بالريح ، يتكىء على حشايا من ريش . . خلفه ستائر خضر تحبس ضوءاً أخضر . . بينما أنا أخوض فى بطن الأيام الزائلة يرجّنى الحنين ويفزعنى الصوت . . » .

أمّا فى السجن ــ أو المعتقل ــ فلا تكون استعادة الماضى توقا أو حنينا أو شجنا نابعا من الإحساس بالفقد ، بل تغدو ضربا من الاختلاط الذهنى والنفسى يغيب من خلاله الراوى لحظات عن حاضره فيعود إلى مشاهد من طفولته ليست فى جوهر دلالتها بعيدة عن ذلك الحاضر . لقد فقد فى حاضره حريّته وتضاءل الزمن حتى أصبح لحظة ضيقة مكررة ! « رأيت بعينى كيف يضمحلّ الزمن . . والزمن فى الذاكرة غير الزمن خلف الجدران » ويدفعه الشعور بالضيق والقهر ــ عن غير وعى ــ أن يرجع إلى « زمن الذاكرة » فيلتقط منه معنى واحداً يلح عليه كالفكرة « المتسلطة » . ويذكر حين كان يسأل جدته لماذا سميت « الجمعة باليتيمة ! » وينبعث طيف الجدة من الماضى البعيد مغلّفاً بالأسرار والأحزان ! « قالت لى إنها لم تعرف عن جدّى سوى أنه مات ودفن فى جسر النيل ، وأنه قبل أن يموت غاب سنوات طويلة لا تعرف له مكانا ، وأنها ظلت تبحث فى الجهات الأربع لوادينا السعيد ، ولما يئست أخذت تندبه بعد ذلك . . . وكنت دائماً أسمع جدتى وهى تصعد سلّم الدار الخشبى تطلق ندبا حزيناً ، وكنت أسألها لماذا تبكى فى النهار وفى الليل ؟ وكانت تنظر إلىّ صامتة » .

ويبدو حديث الجدة كأنما هو تعبير عن هواجس السجين الشاب الذى يرى مآل جدّه الذى « غاب سنوات طويلة قبل أن يموت » . ويبدو ندبها الصامت المتصل كأنما هو تجسيم من خيال الراوى للفقد المقبم الذى يعانيه فى حاضره ويستعصى على التعبير المباشر . ويغدو يوم « الجمعة اليتيمة » بجوّه الروحى المعروف ــ وبخاصة عند أطفال الريف فى الزمان القديم ــ مقابلا نورانيا شفافا لغلظة أيام السجن وعتمتها التى يتشبث فيها السجين بالشمس كلما لاحت من كوّة ، أو سقطت على درج أو جدار. ويبدو الطفل والجدة والجمعة كأنهم ثالوث مقدّس ليتم بلا سبب معروف .

وتمتلىء لحظات العودة إلى الماضى برموز من النور والموسيقى ولحظات السكينة الروحية ، من خلال الإشارة إلى بعض « طقوس » القرية التى يشغف الراوى ــ أو الكاتب ــ بتصويرها : « كنت والجدة العجوز نجلس على سطح الدار . كان وجهها المتغضن يعكس ذلك الحزن الذى ورثته عنها ، والذى دائماً ما أجده بداخلى . . أسندت رأسى الصغير على رجلها المفرودة ، ويدها الصغيرة تعبث بشعرى الطويل . . كان ذلك فى يوم الجمعة اليتيمة . وكان الله يغمر الشوارع بضياء شاحب وهواء عاصف ، بينما رجل يعزف لحناً تحت شجرة الكافور على ناى قديم . كان الغلمان الصغار يصعدون المئذنة التى وجدت من قبل أن أولد ومن قبل أن تولد الجدة . . كانوا يلقون بالأوراق المطوية التى تخفق كأجنحة طائر ، مكتوب فيها آيات لم تتغيّر : « ألم تر إلى ربّك كيف مدّ الظل ولو شاء لجعله ساكنا . . » .

وفى مقابل ذلك العالم الروحى الشفاف الذى تستدعيه الذاكرة فى ظلمات السجن ، يقوم عالم معتم ثقيل الوطأة شحيح النور ــ فى المكان وفى نفوس قاطنيه ــ يُقاس نوره بمقدار ما يتسلل شعاع شمس فى كوّة ، أو بقدر ما تنبسط الشمس لحظة على درجة من درجات السلّم. ويحمل البصيص المؤقت رائيه إلى نورٍ أكثر رحابة وأطول بقاء وأحفل بالأنس والبهجة ، حين كان صبيّاً يلهو مع رفاقه فى القرية النائية : « كانت فتحة قدمى السجان تشكلان رقم ثمانية . خلفها يتألّق ضوء النهار . . نفذتُ من خلال ضوء الفتحة وركبت النهار . . كنت هناك ، فى غيطنا القديم ، فى حديقة برتقالنا فى عزّ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نضجه . . » . . « تخطيت مستطيل الضوء وصعدت الثلاث درجات السفلية . . خطوة واحدة وأكون فى مستطيل الشمس . . الآن أنا فى مستطيل الشمس تغمرنى وتتسلل إلى مسامىّ . . . أجلس فى ساحة القرية أنا والصّبية الصغار رفقائى . . أستلقى على شاطىء الرمل معرّضاً جسدى العارى للشعاع الهابط . . »

ويبدو الراوى السجين مشغولاً بأمر الشمس مشغوفا بالتفكير فيها : « لماذا تتجه دوماً زهرات عباد الشمس تجاه الشمس ؟ » . ويضع نفسه ــ وهو يجتاز ممرّ السجن ــ معادلاً لتلك الزهرة الرامزة ، مازجاً اللحظة الحاضرة ــ كعادته ــ باللحظات الماضية فى نقلة سريعة يسيرة حتى ليكاد المزج يبلغ حدّ « الاندماج » ! . . وصلت منتصف الممرّ « فى السجن » . . كانت زهرة عباد الشمس ذات التويج الأصفر مشدودة نحو الشمس تتبع مسارها فى رحلة الشروق والغروب ، وهبّات الهواء عبر فضاء الحقول لكنها أبدا لم تنحن . . »

لكن الشمس تبدو ضعيفة الحول سريعة الزوال أمام رمز السجن وما فيه من ابتذال ووطأة ثقيلة « الرجل الذى ينقل الحذاء ذا الرقبة ويرتدى البالطو الواسع الأكمام » :

« . . . كانت الشمس راقدة فى نعومة على أرض الممرّ فى شكل مستطيل تستحم فيه بعض العصافير . . وكان الرجل الذى ينتعل الحذاء ذا الرقبة ويرتدى البالطو الواسع الأكمام يتبعنى . .

عاد يجرى الرجل الذى ينتعل الحذاء ذا الرقبة ويرتدى البالطو الواسع الأكمام . هرول نحوى هامسا :

ــ أنت مجنون . ادخل الدورة « دورة المياه » .

ــ اتركنى أغسل هدومى فى الشمس .

ــ ممنوع . . ممنوع !

ــ سنة من غير شمس تعنى الكثير .

ــ ادخل الدورة !

ويتكرر رمز السجان فى ثنايا القصة كأنه « اللازمة » ليندمج أحيانا فى أوهام السجين وهواجسه ، أو ليكون صرير حذائه بالممرّ فى سكون الليل الموحش أنسه الوحيد ــ على ما فى ذلك من مفارقة ! ــ أو ليكون طرفاً فى حوار بين واقع السجين وماضيه أو أحلامه : « هو قط الممرات الأسود ذو العين الصفراء ، ساكن الأقبية والسطوح . . يهبط ودمى درجات السلّم العلوىّ شاحذا أظافره ، تجول عيناه الصفراوان بالممرّ الصخرى ، تلتهم الأبواب المحنيّة . . . صاح به الرجل الذى ينتعل الحذاء ذا الرقبة ويرتدى البالطو الواسع الأكمام . . . فى فتحة الباب وقف الرجل الذى ينتعل الحذاء ذا الرقبة ويرتدى البالطو الواسع الأكمام . . فى الليل يسير الحذاء ذو الرقبة رتيب الصوت يبعث ذلك « الأطيط » الذى يتناهى إلىّ من الطرقة التى تفصل الحجرات باعثاً بداخلى وَنَساً عطوفاً . . وسّع لى الرجل الذى ينتعل الحذاء ذا الرقبة ويرتدى البالطو الواسع الأكمام ، هبطت إلى الضوء الذى يغمر الممرّ . . . عدت أحمل سكينا وضعتها على الطاولة المدقوقة فى الجدار ، وانتظرت مجىء الأحذية ذات الرقاب والبلاطى الواسعة الأكمام »

ومع أن جوًّا من الرمز والرؤية الضبابية واللمسات الخرافية يشيع فى كثير من قصص المجموعة ، فإن قصتين منها تنفردان بطابع تجريدى خاص برغم ما بهما من شخصيات وحوار ، هما « مدينة الموت الجميل » و « الصبى فوق الجسر » . وهُمَا تذكّران بغموضهما وشاعريتهما ووحشية جوّهما ببعض قصص الكاتب الأمريكى المعروف إدجار إلان بو . وقد لا يستطيع القارىء أن يخلص منهما إلى دلالة محددة ، لكنهما ــ لخصب رموزهما ــ يثيران الخيال ويغريان بالتأويل .

وتتخلى أغلب القصص التى نشرها سعيد الكفراوى بعد مجموعته الأولى عن محور « البحث عن الزمن الضائع » إلى حدّ ما ، وتصبح اللحظة التى تعيشها الشخصية ــ سواء كان ذلك فى الماضى أو الحاضر ــ مستقلّة بذاتها ، ويغدو للشخصية كيان واضح لا يضيع فى ثنايا الذكريات ووهج التوق أو ضباب الحلم أو عتمة الأحزان . حقا ، إن القصص لا تخلو من هذه العناصر التى يشغف بها الكاتب وتواتيه بأسلوبه الشاعرى المتميز ، لكنّ لها ــ مع ذلك ــ سياقا على قدر ملحوظ من الوضوح من خلال شخصيات « فاعلة » لحدث أو متأثرة بحدث .

ولمّا كانت قصص المجموعة تجرى فى إطار غير محدود من الزمن بلا حدث متميز ولا شخصية مفردة ، فإن الكاتب يعتمد فى تصويرها اعتمادا ظاهرا على اللغة والأسلوب ، ويرصد بعض لحظات من ذلك السيّال الزمنى المتدفق على لوحات من مشاهد طبيعية يختلط فيها الجمال بالحزن ، وتبدو على صفحتها ظلال عابرة من رجال الماضى وحيوانه وأشيائه . ويرتفع أسلوب الشاعر فى وصف تلك المشاهد واللحظات إلى مشارف الشعر حتى ليمكن أن تسمّى بعض قصصه « القصة القصيدة » . وهو أسلوب معروف عند بعض كتاب القصة من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشباب المجددين ، ويقتضى قدرة فائقة على المزاوجة بين الشعر والقصة من خلال السيطرة الواعية على اللغة وأساليبها . وتتحقق هذه المزاوجة أحيانا فى القصص « التجريدية » التى ترتبط كثيراً بمنطق الواقع أو حقائقه ، وأحيانا فى تلك اللحظات التى تنبثق فيها التجربة الأزلية للإنسان الشاعر ــ تجربة الفقد .

فى « الصبى فوق الجسر » يسعى الصبى دائباً ليلقى ذلك الطائر الخرافى الذى يتبدّى له فى منامه ويقظته ، الطائر ذا المنقار الأحمر النهم الذى « يراه ناشراً جناحيه عند النجوم » . وتتوالى فى القصة الصور الشعرية المختلفة التى لا يحدّ الخيال فيها سياق الواقع ، ولا يكبح اللغة منطق الحديث : « وحدى أقف بين الظل والشمس ، خلفى السور وأمامى الباب تلوح منه الساقية جاثمة خلفها النهر . . كنت أدور كل يوم ولا أجده . . غيّرت مواعيدى ومواسمى . . حاذرت الخطو فى المكان وتسترت بالظل وجذوع الأشجار . . حادثت النهر والزرع والقمر والضريح . أمسكت به فى الحلم وطار منّى فى النهار . . حزنت وعرفت معنى البكاء والخوف . . هبّت رياح كثيرة ورأيت كثيراً من المراكب الراحلة إلى المرافىء البعيدة تمرّ بى . . كنت أرى قلوعها البيضاء مفرودة ومليئة بالهواء ، وكانت تطلق أصواتها كقرع الطبول ، وكنت أسمع بحارتها يغنّون ، وكنت أعرف أنهم تعساء . . . ها هى ذى الشمس ذاهبة أراها من موقفى فوق الجسر . كانت الشمس تروح مخلّفة بحيرة الدم الأزلية ، بينما يتضوع شذى آخر النهار مختلطاً برائحة الماء وأعشاب الشواطىء . . رأيت الجميزة العتيقة بجرمها الهائل المستقرّ على أرض المدار ، لا ظلّ لها ساعة المغارب ، تمدّ أذرعها حيث الطريق التى يعود منها الخلائق فى صفوف خريفية منذ آلاف السنين . . أتانى من البعد صوت أذان المغرب منسرباً فوق الماء يحفر فى صدرى الخوف البعيد الغور . . أيها الطائر التائه عن وكره . . ها أنذا فى انتظارك » .

وعن تجربة الفقد والزمن الضائع يقول الراوى واقفاً على أطلاله النفسية فى قريته ! « هو الباقى بعد أن انفضّ جميع الرجال وماتوا . . تركت الرواق خلفى ، وعلى النهر رأيت النهار . ستائر طائرة هى السحب . زرقة حبيسة بين الستائر الطائرة ترنو منها منها شمس الشتاء . أجنحة من ريش غير منتظمة تنقض لماهيّات متعجّلة تهدل عبر الفضاء السارى . ماء نهر الماضى قد ضاق بشطآنه . صفّ الكافور العنيد من المردة ينغرس فى كيمان السباخ الذى تنبشه دجاجات النهار الشريدة بنشاط عشق الحياة والموت . الرجال قلّة يخطون على الطريق إلى الغيطان . فى المرعى القريب من الدور ترعى خراف بلا صاحب ، تطارد الخضرة على شط مصرف الصيد ذى الماء الرائق كنبع . أين ذهب الرجال ؟ ما الذى يبقى منهم ؟ » .

ويبدو القصد إلى بناء العبارة بما يشبه الشعر ، فى بدايات الجمل بنكرات موصوفة بصفات تخلع عليها جوّاً خيالياً موحياً : « ستائر طائرة هى السحب . . زرقة حبيسة بين الستائر . . أجنحة من ريش غير منتظمة » وهو أسلوب أصبح مألوفاً عند بعض من ينهجون هذا المنهج فى القصة القصيرة ، لكنه هنا يبدو جزءاً من نسيج القصة ــ القصيدة .

ومن ذلك بدؤه كثيراً من جمله بالضمائر ثم تعريفها وتحديدها : « هى الشمس ، تخدعنى وتفرش الحائط . . هى فى ذراعى تسير . . هى مستغرقة سامعة . . » .

وقد يبدأ الجملة بما يدلّ على الحال بتقديم الصفة على الموصوف أو الخبر على المبتدأ : « منطرح تحت أقدامنا الصغيرة جسد القرية المندّى . . طاهرة أنت يا أنيسة . . تحت إبطى كفّها أسير بها خلال متعرّجات الطرق مسجونة ما تزال » .

وقد يلجأ الكاتب إلى الصفات ليحدّد بها معالم الأشياء والناس بعد أن غابت طويلاً عن ذاكرته وأصبحت صورا شاحبة متداخلة ، وكأنما الصفات التى يُلحقها بمشاهد الماضى قلم يجرى من جديد على خطوط الصورة الباهتة ليعيد إليها شيئاً من حيويتها القديمة ، وتميزّها الذى طمسه مرور الزمن :

أدرك أنا الصغير الجالس مكوّما أرى من مكانى . هذه الحلقة الأندية تتوافر باللحم الحى والشوارب الكثة والعيون المفتحة الواسعة . ينفتح الباب ذو الضلفة الواحدة والأسد صاحب الفروة الذهبية . الباب صاحب الأنين الرفيع والخطوط البارزة ، تدخل منه البنت البكر وعلى الرأس طرحة سوداء من حرير طبيعى ، تحمل صينية العشاء من نحاس أصفر تلمع فى ضوء مصباح مهتز ، وسط الصينية نقش كنقش التمائم . . » .

فى « زمن الأنتيكا » إحدى القصص المنشورة بعد المجموعة ، يكرر الراوى ما قاله عن نفسه راوى « العشاء الأخير » : غايتى أن أستحوذ على زمن يضيع » . . . وتلك ــ بالطبع ــ غاية مستحيلة البلوغ فى الحقيقة ، لكنها قد تكون ميسورة أحيانا فى الخيال وأحلام اليقظة والنوم ورؤى « البصيرة » عند أولئك الذين تشف نفوسهم فتنطلق من إسار الزمان والمكان لتعيش فى دنيا الخيال والأحلام البعيدة . هكذا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان السندباد عند راوى القصة « رحلته تلك التى قصها أثارت استنكار حفنة الأدعياء ، فقراء الخيال . . إنه من آخر سلالة من أصحاب البصائر الذين يعيشون على الحلم . . » .

والحق أن الحلم الموشّى فى كثير من الأحيان بعناصر قد ارتبطت فى النفوس بالتسامى عن الواقع الأرضى كالشموس والأقمار والنجوم والطيور ، ملمح بارز فى تكوين الشخصيات وموقفها من الحياة عند سعيد الكفراوى . وهو يتردّد أحيانا على نحو يسير عابر أو فى صورة حلم مكرر ممتدّ : « . . شاهدت فى الليل قمراً قروياً يلوح مختلطاً بدخان ، يركض خلال السحب الشاحبة فوق الأزقّة الضيّقة ؛ بعدها حلمت ، وفى الحلم بكيت وأخذتنى جدّتى فى حضنها . دفعنى أبى أمامه فرأيت فى شحوب الليل ولمعة النهار الأولى جوادى الأشهب مشدوداً إلى ساقيه يدور على مدارها المترب ، يثير فى القلب التراب والأحلام . . . أقول لها : الشمس تملأ البلد . تضحك وترفع جبهتها للشمس . ترد علىّ : ياعبد المولى ، اليوم غائم ولا شمس هذا النهار . وتكون السحب راكدة ، ويكون القمر مسجونا خلف سحابات من دخان ، وتكون النجوم عالية ترنو خافتة ، وتكون البيوت مكفنّة بالظلام . وأنا أقف قرب النهر مفضوحاً برؤ يای الكاذبة . . . ولم أكن أعيش فصول السنة بتتابع دورات الأيام . وفى لحظة سقوط الشمس على الحديقة بطول السور كنت أقود نفسى المتعبة صاعدا درجات المنزل حتى أصل إلى السطح .. وكنت أرى فيما أرى سيدة تلبس السواد تهبط المنحدر ، وتظل تنظر عبر البحر وكأنها تنتظر شخصاً ما ربما يأتى به . . أحسّ بقلبه ينضغط تحت ثقل بعيد ، والريح تصفر فى فجوات الشطآن البعيدة . . هل هى كتب الحكايا ؟ يشعر بوجوده فى الزمن المحاصر . . تلك هى الأشياء التى يألفها ويعيشها ويعشقها بخياله . . هل هى الصورة وقوس قزح ؟ أم أنه حلم فى القلب من زمن بعيد ؟ . . أحلم بها . . أستيقظ بعد حصولى على فاكهة البستان فلا أجد ضريحاً لموْتى ولا عباءة لشيخى القارىء ، ولا حتى فرسى التى فى كل الأحوال أمتطيها فى الحلم . . يدركنى الصباح فأسمع صوت القطار المفارق وأرى فى السماء سحبا ، وأتهيّأ للنوم ممنيا النفس بحلم قديم . . » .

أمّا قصة « الجمل ، ياعبد المولى ، الجمل ! » فحلم كبير متكرر لصبىّ ريفى يرى فى نومه أن الجمل يطارده مرة بعد أخرى . . ومايزال الخوف يستبدّ به حتى يواجه الجمل فى تجربة واقعية تنفى عن نفسه ما استقرّ بها من خوف ويسيطر على الجمل كما يسيطر الرجال : « فى الحلم . . يمتطى الصبى الجليل عبد المولى ظهر الأتان . ينتقل من غرب المرج حتى مدّق المسير فتتجلّى له الدنيا ــ فى الحلم ــ كوكباً دريّا ، والشمس مستوية فى العلى . سمع فى البعيد ــ فى الحلم ــ صوت الأذان . . » .

وأمّا « عنجر ليلة القدر » فى قصص الكاتب بعد المجموعة فتنتهى برؤ يا لصبى يختلط فى ذهنه ما يدور من منقول دينى ومأثور شعبى حول ليلة القدر ، بما يُرْوَى عن العنجر من ممارسات لبعض الطقوس ، فيعيش لحظة « صوفية » يخيّل إليه فيها أن شيخ العنجر قد شقّ عن قلبه فغسله ونظفه وكتب عليه بالقلم البسط حروفا وكلمات : « تواصل دق الدفوف وصوت الناى والمزمار ، وهلّلت فراشات فوق النار العنجرية ، وشعّت على التلّة بهجة من الجنة . وضع فى صدرى قلبى فانتشرت نجومى التى تتبعتها حتى آخر عمرى . وقلت لجدّى الذى كان يلبس وزرة ملوّنة ، ويعتمر عمامة هائلة على رأسه ، وممسكاً بيده الصولجان : « انظر ياجدى ! إنها نجومى ! » .

وحين تنبعث فى الخاطر مثل هذه التهاويل تجلب معها بالضرورة جوّا ضبابيا عابقا بالطيب والبخور وكل ما يغرى بالخدر والاستغراق فى الوهم أو الخيال ، وفى مثل ذلك الجو الحالم تبدو أطياف لشيوخ وأولياء ومتصوفين وملامح من رؤ ى نورانية تنبع من إحساس دينى فطرى عميق : « . . . أوعية فخارية تحت النافذة الشرقية للمسجد تتصاعد منها أنفاس البخور ونسوة ينتظرن الغائبين منكسّات الرؤ وس زائغات النظرات . . تحركت النسوة من تحت جدار المسجد ، حملن الأوعية الفخارية . كانت نارها قد باتت رمادا وهمدت أنفاس البخور . . أفعمتنى رائحة البخور ومشيت فى غيطان الزنجبيل سمعت لغط المزايدين وتنشقت رائحة عطر هندى وسمعت عزف قانون . . . وضعت أمه النار ورمت فيها البخور فتصاعد برائحة ذكرته برائحة المقام . . فى المساء راجعت أشيائى الصغيرة التى أضعها فى حقيبة : مصحفى الطاهر ، ومبخرة فضيّة برؤ وس مماليك سبعة ، أوقدها وأحرق فيها بخورا كل مساء . . . » .

وقد يشهد الراوى شيئا قد ارتبط فى النفوس بمعان روحيّة أو نورانية ، لكنه فى لحظة المشاهدة ومكانها يبدو بعيداً عن تلك المعانى . لكن الراوى بنزعته الصوفية الغالبة ــ سواء فى قصص المجموعة أو فيما بعدها من قصص . ينتزع الشىء من المكان واللحظة ليعيد إليه شفافيته ونورانيته وإيحاءه القديم ، إذ يضعه فى سياق من المشاعر الروحية المنطلقة من نفسه لتخلع على المكان جوا جديداً من الحلم والتاريخ والقداسة . هكذا تبدت

، « المشكاة » فى قاعة التحف وسط خليط من الأشياء القديمة فى مكان معتم راكد : « فلما حبست نفسى فى العتمة الحفيفة جلست بين مخلوقات الله فى وفاقٍ مشبوب بالضنى ، قلت : لا وقت أبعد من وقت وللزمان حلول فى الزمان . وتساءلت عن مدى ارتباطى بتلك الأشياء المكدّسة ، وسمعت صوت الأذان فلم أكن غفوت . كنت أجلس على سجادة ، يمنحنى المولى كبرياءه ، فيما أسمع عزف القانون بالنّغم المغربى . . حدّقت فى السقف فرأيت المشكاة تنير . تقطع الحجرات فى دورات نورانية تنير من غير زيت فى استحكام النغم . تكشف عن رجل نحيل يخطو على أرض من رمل وينظر حيث تلوح شمس غاربة ، وكأنه السندباد المصنوع من الجصّ الملون وقد أقلع بسفينته إلى بلاد جاوه البعيدة ، مخلّفا شطوطا من ، السندس فى تجربة عالية الضراوة » . . وهكذا تتحول ايضا كاسات الهوى . الذى كان يستشفى بها أهل الريف من آلام الظهر ، فى سياق وضعتها فيه الأمُّ المريضة وأكدّه الولد الشاعر البارّ ، إلى قناديل تشع بالنور وتجلب الطمأنينة إلى الروح : « ماتت وكل ما تركته لى بيتنا القديم ، وقلّة حيلتى والعزوف عن الناس ، ومعرفتى المذهلة بمطالع النجوم ومواعيد سفر القطارات ، وعادة التفرّج على القباب القديمة والحلم بتماثيل العاج ، وعشق المبانى القديمة التى سكنها الأفضلون . . وعندما فتحت باب حجرتها هبّت رائحة الذين هرموا . وطلبت منها أن تدعو لى ، لكنها طلبت منّى أن أعمل لها « كاسات الهواء » لأنها تريها على البعد

الضفاف البعيدة للجنة . وأحضرت كاسات الهواء التى لها شكل قناديل المساجد . . . حتى إذا ما انتهيت بدا لى ظهرها منوّرا بذُ بالات غير خافقة ، وكنت أسمعها تقول إنها ترى الجنة » .

وكذلك يتراءى الأشخاص ــ إلى جانب الأشياء ــ لعين الراوى أو خياله فى مثل هذا الجو الصوفى فيبدون فى ثياب الأولياء والصالحين وطيبتهم ! حين يشتد الخوف بالصبى عبد المولى وهو يَعْدو ــ فى الحلم ــ أمام الجمل الذى يطارده يبدو له « سيدى حسين » ! « يتجلى فى جبّة من الجوخ الأزرق ، وعلى رأسه عمامة هائلة ملفوفة بشال أخضر فى لون الزرع ، تحيط وجهه لحية طويلةٌ عن هيبة بيضاء » .

وفى مكمنه وحيدا فى قاعة التحف يرى الراوى « صورة لصوفى يعتمر عمرة من الجوخ ، وتحدّق وسط وجه مكدود عينان تشعّان بألق من حريق . . صورة بالأسود الشيق للمسجد الأقصى يطير فوقه طائر شبيه بالعقاب وقد نشر جناحيه وسقط ظله على القبة » .

حتى فى رأى العين يختار الراوى فى « غجر ليلة القدر » أن يرى جدّه « يتلفعّ بعباءة جوخ زرقاء » .

ومن « العادىّ » المألوف الذى تمتزج فيه الغربة بالحنين ، وانكسار الروح فى الحاضر بطمأنينه الروح إلى الماضى ، وانسياب المرء فى وحشته الوجودية مع سيّال الزمن المتدفق ، وتشبثه بشطآن المكان البعيد ثم من عالم الحلم والوهم والأساطير وعبير البخور والشموس والنجوم والأقمار وروائح البركة والطيبة فى الريف القديم ، يخلص للكاتب أسلوب بديع فى شاعريته وقدرته على التحليق والتجسيم والمزاوجة بين عذوبة « البساطة » وقدرة البيان .

د. عبد القادر القط

ش

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دراســـــة

قراءات يحيى حقى وتأملاته فى محراب الشعر

د. صبـــرى حـــافـــظ

لا أظننى أغالى إن قلت إن الجهد الكبير الذى قام به الناقد الصديق الأستاذ فؤاد دوارة طوال ما يربو على عشر سنوات فى توطئة أعمال يحيى حقى للقارىء وجمع شتاتها بعد أن ظلت مبعثرة فى بطون الدوريات والصحف هو عمل من أهم الأعمال الأدبية التى عرفتها الثقافة العربية فى مصر فى العقدين الأخيرين . لأن هذا الجهد الدؤوب أتاح لنا أن نتعرف على مجموعة من الكنوز المخبوءة التى شاء تبددها أن يصرفنا عما بها من أصيل الجواهر وحر الدرر .

أقول هذا بمناسبة صدور أحدث أجزاء هذا العمل الكبير « مؤلفات يحيى حقى الكاملة » بعنوان « هذا الشعر » لأن فؤاد دوارة شاء ــ بعد طول تردد ــ أن يكتب اسمه على استحياء ، لا على غلاف هذا الكتاب الجديد ــ وهو الكتاب السادس والعشرون فى سلسلة مؤلفات أستاذنا الكبير يحيى حقى ــ وإنما فى داخله ، ليكشف بذلك للقراء عن حقيقة هذا الجندى المجهول ، الذى ظل يعمل فى نكران مثالى للذات ، وفى إخلاص نادر للصداقة ، طوال سنوات وسنوات دون أن يعرف حقيقة جهده المشكور غير قلة قليلة من أصدقاء الكاتبين . ذلك لأن فؤاد دوارة لم يجمع مؤلفات يحيى حقى كيفما اتفق ، فقد كان من حسن حظه أن عكف على هذا المشروع باتفاق كامل مع يحيى حقى وبمشاورات مستمرة معه ، وإنما قام بفرز هذا الكم الكبير من المقالات والقصص ورتبها فى كتب متجانسة الموضوعات ، متكاملة البناء ، ذكية فى ترتيبها وتبويبها .

وأحدث هذه الكتب ــ ولا تزال فى جعبة السلسلة كتب أخرى ــ هو « هذا الشعر » الذى يكشف لنا عن جانب هام من جوانب يحيى حقى الناقد الأدبى الحساس . والذواقة البارع للغة العربية فى أكثر أشكالها صفاء وعذوبة ، وفى أشد استعمالاتها قرباً كشفاً عن جمالها وثرائها وهو الشعر .

والكتاب كما يشى بذلك عنوانه هو مجموعة الدراسات والتأملات التى كتبها يحيى حقى طوال سنوات من العمل الأدبى حول الشعر العربى منه والأجنبى . ولذلك فإنه يجمع إلى جانب الدراسات التفصيلية المطولة عن شاعر أو ديوان بعينه . التأملات المستبصرة فى حقيقة الدافع الشعرى التى تستثيرها لديه حادثة أو ذكرى عابرة . وتكشف لنا السطور الأولى فى أول مقالات هذا الكتاب ، وهو المقال الذى أعطى الكتاب اسمه عن منهج الكاتب فى التعامل مع الفن عامة والشعر خاصة . إذ يشير فيها يحيى حقى إلى أن « صفة الفن ، سر خلقته وديمومته ، شرفه وجذله ، أنه منبع استلهام لا ينفد ، من نوره نقتبس أنوارا متباينة الطاقات ، لها ما شاءت من الألوان . ثم تعود تنعكس عليه فيتلألأ أطيافها جميعا ، هذا الفهم لدائرية الفن والجدلية العملية التأويلية هو الذى يكسب استقصاءات يحيى حقى حول الشعر عمقاً ونفاذاً يؤهلها لأن تكون نبراسا منهجياً للتناول النقدى فى الشعر وفى غيره من فنون التعبير الأدبى ، إذ يكشف لنا يحيى حقى هنا عن أن المنهج الذى يستطيع سبر أغوار التجربة الفنية لابد له من أن يأخذ منها ليرتد

إليها . وأن يستقى مفاتيحه من داخل التجربة الأدبية ذاتها ليستخدمها فى فض مغاليق تلك التجربة والكشف عن أسرارها ، فلو لم يفعل النقد ذلك لما تلألأ النص الأدبى تحت وقع تناوله بالأطياف التى فجرتها فيه الأنوار المستقاة منه والمقتبسة من داخله . وإلى جانب هذا المنهج يبرز لنا يحيى حقى فى كتابته عن الشعر العلاقة الفذة بين ثراء الشعر وإمكانات اللغة التى يستخدمها الشاعر . فكل اهتمام باللغة ينطوى على تفتيق لإمكاناتها الشعرية ، ويوطنها للشعراء بالطريقة التى توسع أفق مغامرتهم الشعرية . وحتى يبلور يحيى حقى للقارىء مفهومه الخاص للشعر فإنه يسلك كل الدروب المفضية إلى ذلك ، من الدراسة العامة ، إلى المقالة المثيرة للتساؤلات ، إلى التحليل النصى التفصيلى لديوان يفصص فيه قصائده ويكشف من خلالها عن آليات عمل عقل الشاعر وأسرار موهبته ، أو ترجمة لديوان كامل لشاعر آخر .

وإلى جانب هذا المنهج النقدى . يفصح لنا الكتاب عن فهم رحب للشعر ، لا يضيق عن استيعاب الشعر العامى كما يفعل كثير من المتعصبين ، ولا ينبذ الشعر الحديث كما فعل العقاد طوال حياته ، وإنما يضع أحمد شوقى وصلاح جاهين وبيرم التونسى إلى جانب المتنبى وتأبط شرا وأبا فراس الحمدانى والبحترى وقيس بن الملوح ، ولا يتسع مفهوم يحيى حقى الشعرى لألوان الطيف اللغوى وحدها ، ولكنه يضع كل هؤلاء الشعراء العرب إلى جانب حافظ الشيرازى وجلال الدين الرومى وعمر الخيام ومحمد إقبال وشاعر الهند الكبير ميرزا أسد الله غالب وإلى جانب بول فاليرى وشارل بودلير وفيكتور هوجو وميخائيل غورجيان الشاعر الأرمنى الذى أمضى جل عمره فى مصر . فليس المهم عنده جنسية الشاعر ولا العصر الذى ينتمى إليه ، وإنما المهم هو قدرته على سبر أغوار التجربة الإنسانية وتفجيرها بطاقات شعرية قادرة على التعبير عن الجوهرى والروحى فى كمونها خلف العرضى والدنيوى . فبالرغم من تنوع النماذج الشعرية التى يتناولها يحيى حقى فى كتابه ، وتعدد منطلقات رؤيتها ، وأساليب تعاملها مع التجربة الشعرية ، فإن المتأمل لهذا الكتاب يجد أنه يسفر عن فهم متكامل للشعر ، وللفن بصفة عامة ، يسرى فى شتى دراسات الكتاب وتطل علينا ملامحه من مختلف مقالاته . وهو فهم يربط الشعر بالنزوع إلى مقارعة الهموم الروحية والقضايا الإنسانية الكبرى . ويوطد علاقة الشعر بالقيم الأخلاقية والجمالية ، بل إنه يسقط شاعراً كبيراً من حسبانه كأبى فراس الحمدانى لأن هذا الشاعر سقط سقطة أخلاقية فى حق شاعر كبير آخر هو أبو الطيب المتنبى .

بهذا المنهج النقدى المتكامل يتعامل يحيى حقى مع الشعر والشعراء ، يبدأ من بداية الشعر العربى عندما يتناول قصيدة تأبط شرا الطالعة من أزهى عهود الشعر العربى وهو العصر الجاهلى ، لا ليقدم تحليلا جديداً لها ، وإنما ليضعها فى مفترق الطرق عند عناق الثقافتين العربية والأوروبية باستلهام الكاتب الألمانى الكبير جوته لها . ويجد هذا الاستلهام فرصة لفحص بعض الأفكار الرائجة ، كالعملة الماسحة ، دون تمحيص حول تفكك القصيدة العربية . وافتقارها إلى الوحدة . ويطرح فى ختام تلك الدراسة مجموعة من التساؤلات حول وحدة القصيدة الجاهلية ، وحول مناهج التعامل معها ، كان لها فضل استشارة الأستاذ الكبير محمود محمد شاكر لكتابة واحدة من أهم الدراسات عن القصيدة الجاهلية هى دراسته الكبيرة « نمط صعب ونمط مخيف » التى نشرت منجمة عام ١٩٦٩ فى مجلة (المجلة) التى كان يحيى حقى رئيساً لتحريرها . ثم يكشف لنا فى دراسته التالية عن مجموعة من أخطر قضايا الشعر العربى . وأهمها هى قضية العلاقة الجدلية بين الشعر واللغة ، وكيف أننا بحاجة إلى دراسة تأثيرات اللغة العامية على صياغة ذوقنا الموسيقى ، وإحساسنا اللغوى عند الكتابة باللغة الفصحى . بدلا من تلك اللجاجة والملاحاة فى الخصام بين أنصار الشعر التقليدى والشعر الحديث ، فأجدى من هذا كله أن يحاول الطرفان بلورة مفهوم كل منهما للشعر ، أو أن يفعل أى منهما ما فعله يحيى حقى فى تلك المقالة وهو تسجيل المنابع التى ترتوى منها مشاكل الشعر العربى وتنهل من معينها مصائبه وأولى هذه المصائب فى رأيه هو أن طول عمر الشعر العربى خلق نوع من التمسك الشديد بكل حصيلته . مما حال دوننا وغربلة هذا الحصاد من ناحية . وكرس سقم الذوق ومباينته تمام المباينة لذوق العصر الحديث من ناحية أخرى . أما ثانيتها فهى غرام هذا الشعر بالحكم الرنانة والأمثال الطنانة مما جعل الكثير من الشعر مملأة للذوق العام لا سموا به ، وزحم الشعر بالكثير من البديهيات الساذجة التى لا تضىء عقلا ولا تشفى روحا . وثالثة مصائب الشعر العربى هى التحامه فى أزهى عصوره بحياة البداوة ، وهو التحام زاده إشكالية عجز النقاد عن فك رموزه الصحراوية والبدوية . أما رابعتها فهى اتصاف هذا الشعر بالوضوح الشديدة ، فكأنما لا فرق بينه وبين النثر .

وبعد أن يبدد لنا يحيى حقى عيوب الشعر يشرع فى دفع بعض التهم عن واحد من أبرز شعراء العصر الحديث وهو أحمد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شوقى أمير الشعراء ، عندما اتهم ـ لكثرة المراثى فى ديوانه ـ بأن جل شعره من شعر المناسبات إذ يقدم لنا منهجاً جديداً فى قراءة تلك المراثى نكتشف من خلاله أن شوقى هو النموذج العصرى لشاعر القبيلة فى عصره الذهبى . فليس الهدف الأول من مراثيه نعى الفقيد أو ترديد مآثره ، بل التأريخ لأيام القبيلة ووقائع حياتها فموت ثروت فرصة للحديث عن تصريح ٢٨ فبراير ، ومصطفى فهمى للحديث عن الحرب العالمية الأولى ، وعبد العزيز جاويش عن الرابطة الإسلامية ، وأبو هيف عن مشروع « ملنر » وتأليف الأحزاب ، ومحمد تيمور عن ثورة ١٩١٩ . بل إن شوقى ـ فى قراءة حقى الجميلة له ـ لا يكتفى بأن يكون مؤرخ القبيلة فحسب ، ولكنه يريد أن يكون شاهدا على العصر . فهو يرثى أعلام الدول المتحضرة ، ويسجل ـ فى مرثيته لرياض باشا ـ دخول التليفزيون والتلغراف والكهرباء إلى مصر فى عهده ، وهو فضلا عن هذا كله يحرص على أن يذكرنا كيف مات الفقيد ، فنعلم منه أن إسماعيل صبرى مات بالذبحة الصدرية ، ومصطفى كامل لم يبن للناس داؤه : هل هو القلب أم السل أو السرطان ؟ وأن المرض امتد بعاطف بركات وحسين شرين ، بينما مـــات عبده نور فجأة . ولا يكتفى يحيى حقى بهذا الجانب فى مراثى شوقى ، بل يكشف لنا من خلال تلك المراثى عن الكثير من خصائص شوقى اللغوية والنفسية ، وعن الطريقة التى يفكر بها وكيفية تسللها إلى كتابته وإلحاحها عليه فى كثير من الأحيان .

لكن أبرز دراسات هذا الكتاب كشفا عن فهم يحيى حقى المتميز للشعر وعن منهجه الخاص فى التعامل مع النص الشعرى هى دراسته الطويلة عن (رباعيات) صلاح جاهين . من هذه الدراسة يمكننا أن نستنبط ملامح منهج رائع لنقد الشعر فيه تقنين يقدم لنا الكثير من ملامح النقد الأدبى الجديد قبل أن تطلع علينا تباشيره من أوروبا بزمن طويل . ينهض على قدر كبير من الدقة والتحليل النصى الذى ينأى عن جفاف النظريات . والذى يتسلح بحساسية الفنان ورهافة بصيرته . وينهض هذا المنهج على ضرورة التعرف على حدود القالب الفنى الذى يتعامل معه الشاعر ، ومعرفة قوانينه ، وإمكانات تحولات تلك القوانين دون خلل . لأنه يبدأ تلك الدراسة باكتشاف القانون الداخلى لشكل الرباعية ، والاحتمالات المتعددة المتاحة داخل حدود هذا القانون . ما ينسجم منها مع البنية الشعرية ، وما ينبو عن متطلباتها . ثم يشرع بعد ذلك فى البحث عن مفاتيح القراءة النقدية من داخل النصوص ذاتها ، ودون أن يقحم عليها أى تصورات مسبقة من خارجها . ويسلك فى ذلك سبيلين متعارضين ولكنهما متكاملين ، فلا غنى لأحدهما عن الآخر . إذ يعمد أولاً إلى التعرف على النغمة السائدة ، والموضوعات أو الصور أو المفردات الشائعة والتى تلح على الكاتب بشكل متواتر . ومن خلال هذا الشائع يقرأ لنا يحيى حقى الغائب أو المضمر الذى لا يفصح الكاتب عنه ، أو يتعمد إسقاطه من عالمه . ثم يلجأ ثانياً إلى الكشف عن النغمة المغايرة ، ولا أقول النشاز لأنها النغمة الاستثنائية التى يؤدى الاهتمام بتباينها وآليات مغايرتها للشائع إلى الكشف عن آليات التضاد الثاوية فى رحم سيل التماثلات الخادعة . ومن خلال هذين السبيلين المتعارضين والمتكاملين يكشف لنا يحيى حقى عن المنطق المتسق خلف التبعثرات والقفزات والازدواجات المتناثرة فى العمل الشعرى أو فلنستعمل المصطلح النقدى الحديث عن أنساق البنى والعلاقات الصائغة لعالم المعنى فى النص .

هذا قلت إن منهج يحيى حقى فى قراءة النص الشعرى وثيق الصلة بالمقتربات النقدي الحديثة التى لم يعرفها النقد العربى إلا فى العقدين الأخيرين ، وبعد سنوات طويلة من كتابة دراسته الهامة تلك عن (رباعيات) صلاح جاهين . لكن منهج يحيى حقى النقدى يتميز عن كثير من التطبيقات العربية للمناهج النقدية الحديثة بتماسكه وترابطه من ناحية ، وولعه بالكشف عن الأشواق الروحية وهى تتنازع الروح الشاعرة لتعبر عن تقلباتها واضطراماتها من ناحية أخرى . لأن دراسات يحيى حقى النقدية تحكمها رؤية فكرية وجمالية توشك أن تكون هى الرؤية الحاكمة لإبداع يحيى حقى الأدبى نفسه . وهى أن الفن تعبير عن القيم الروحية والأخلاقية السامية وارتقاء باليومى إلى مدارج الأبدى والإنسانى ، وهو تعبير بعيد جدا عن شبهة الوعظ أو الخطابية أو المباشرة . ومن هنا فإنه تعبير بالإيماء أو الرمز الذي ينطوى على قدر من اللعب ـ بالمفهوم الجمالى والفلسفى للّعب ـ أو « الشخلعة » البريئة من أى ابتذال أو تقصع . وهو مفهوم ينطوى على مضمون فلسفى وجمالى على درجة كبيرة من التشابك والتعقيد أرجو أن تتاح لنا فى قابل الأيام الفرصة للحديث عنه بشىء من التفصيل حتى نستطيع أن نؤسس تصورا جمالياً عربياً نابعاً من ممارسات مبدعينا ونقادنا الكبار .

لندن : د. صبرى حافظ

مقاطع قديمة من دفتر الليل الأسود

يوسف الصائغ

المرابى

الصباحُ فتىً . .
والظهيرة سيدةٌ . .
والمساءُ ، أميرٌ جميلْ . . .
كلُّهم عَبرَوا مسرعينَ وراحوا . . .
وبعد قليلْ . . .
سيقبل منتصفُ الليل ،
ذاك العجوز المرابى
ويقرعُ بابِي . . .
ويوقظنى . . .
فأخفّ له فزِعاً . .
أفتحُ البابُ . . .
يسألنى : كيف أنتَ ؛
ومن دون أن يتريّثَ ، حتى أردّ عليه ،
يغادرنى ضاحكاً . . .
ويتركنِي لاضطرابِي . . .

موت الدمية

اليومَ ــ سرقتُ من الطفلة فى بيت الجيرانْ ،
دُمْيتها الحلوه . . .
وذهبتُ إلى البيت . . .
ومدَدْتُ الطفلة فوق سريرى
وشرعت أقطّعها ، عضواً . . عضوا . . .
فى البدء قطعت لها يدها اليسرىٰ
ونظرت إليها . . .
لكن الدمية ، ظلت تتطلّع لى باسمةً ،
فقطعت لها يدها الأخرى ،
وصرختُ بها :
لا تبتسمى ، يادُميه . . .
هذا عصرٌ ملعونْ
وأنا رجل مجنونْ
يمكن ــ من فرط الياسْ . . .
أن أقتل كل الناس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحقيبة ...

أنصتتْ لأنين حقيبتها ،
وهى تُفتحُ فى الليلِ ،
كانت تشمُّ حرارة أسرارها ،
تتناهى لها ، من وراء الجدارِ ،
هـويّتهـا ... مشـطهُـا ... قلمُ الحبـر ... دفـتر أسرارها ...
عطرها ، وهو يسفحُ ...
أتعبها الحزن من تحت مرفقها ...
وآلمها حوضُها ... وأوجعهاعرضها ...
فاستراحتْ قليلاً .. وكادتْ ...
ولكنّ صوت الحقيبة ، ظل يلاحقها ...
رفعت رأسها ،
اعترضتهْا عيون تدلّتْ من السقف .. راحت تراقبها ...
التفتتْ ...
ورأت قربها ، ثوبها ، وجوربها .. ولباس محبّتها ...
آبتسمتْ بحنان حزينٍ ...
تمنّتْ ، لو أن يديها ، لديها ، فتلمس أسرارها ...
علّها تطمئنُّ ...
...
ويقترب الفجرُ ...
لكن قلب الحبيبهْ ...
يظل يتابعُ صوت المحققِ خلف الجدارِ ...
وصمت الحقيبَهْ !

ثلاث حالات ...

جالسٌ فى الفضيحَهْ ...
القصائد سور على شفتىَّ ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وروحى جريحَهْ . . .

. . .

ذاهبٌ للوليمَهْ . . .

الملاعق من ذهبٍ فى يدىَّ . . .

وخبزى نميمة . . .

. . . .

راكضٌ فى المواكبْ

سلاحى على منكبى . . .

وأبحث عن سبب لأحاربْ . . .

بغداد : يوسف الصائغ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النســـــــور

محمد ابراهيم ابو سنه

النسور الطليقة هائمة . .
. . فى الفضاء الرمادىّ
. . ترصد موقعها
فى أعالى الجبال
إنها تتذكر شكل السهول
بخضرتها بتدفق غدرانها
والأرانب تقفز فى العشب
مثل اللآل
تتذكر والجوع يحرق
أحشاءها
فتسدد نظرتها للمحال
تتعالى تحلق مثل الشموس
التى أفلتت من مداراتها
يصبح الأفق ملكاً لها
والنجوم مناراتها
والخلود احتمال
عندها تأخذ الكبرياء التى
قتلت جوعها
تتمدد تنسى
تراب السهول
اخضرار الحقول
انبساط الرمال
فى المضيق العميق الأرانب
قابعة فى انتظار المصير
المدجج بالموت
تأكل أعشابها بالفرار إلى
الجحر ترجف بالخوف بين الظلال
النسور الطليقة فى الأفق
تعرف مصرعها . .
والعيون التى تترصدها
والنصال التى تتعاقب
خلف النصال
النسور الطليقة فى الأفق
ترفع هاماتها
وتحلق تعلو وتخفق
بالزهو

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لا تتذكر خضر السهول
بخيراتها . . .
تتعقب ورد الذرا
فى الفضاء السحيق
وحلم الكمال

القاهرة : محمد ابراهيم أبو سنه

س

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فى مخبأ عبد الحميد الكاتب

عبد الرحيم عمر

لعلَّ الصمت والجدران مانعةٌ طريق الحرف والقولِ
لعلَّ هواجس الغرباءِ
علَّ فداحة الأرزاءِ
علَّ مدادا أقلامى وأوراقى وأشيائى
جَفَتْ . . علَّ
وتخذُلنى العبارةُ
يا سلاحِ العمرِ ! يا سيفى
لئن خلَّيتنى . . . مَنْ لى ؟

*

وما زالت دماء الأهل جاريةً
وما زالت سيوف الأهل ظامئةً
وما زال الردَّى ينداح من حولى
كأنَّ الكون مجتمعاً تآمر يبتغى قتلى

*

هبينى يا كنانة من رموز السِّحرِ
ما استعصى على عقلى
عسى أن تخرج الكلماتُ تشفع لى
وتعتقُ روحى المأسور من غلِّى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكم نجحت شفاعة مصرَ !
كم حَدَبتْ على مستنجدٍ قبلى !

*

سفحتُ على ضفاف الزَّاب أيامى
وحين أتيت أستجدى ضياءَ الشمس أن يُغضى
فأمضى فى حنايا الرَّمل إذ أمضى
بلا أمس ولا تاريخ
ولا وجهٍ أُطلُّ به على أهلى
وجدتُ هنا عناوينى التى خلَّفت ، قُدّامى
وجدت الماء عين الماء ، عين الأرضِ والرَّملِ
وهدَّأنى وقار النَّهر
أَعْرض وجهه العربىّ عن جهلى
فهل أنجو بأحلامى
وأربط دونها بالباب منديلى
أغنّى يا بهية يا ملاذاً للمغنىّ والمواويل
أتيتُكِ حاملاً حتفى
فكونى لى
أزيحى المارد الجاثى على كتفى
وغنىّ لى

*

وتحمل مصرُ آلامى .
وجيرة حيرة الكلمات بين الشَّوق للأسمَى
وعالمها الذى إن أطلقت فيه جناح الكشف
وسَّع أفقه دوما
وبين ترصُّد الجلاَّد والنَّصل .
فيا لمصابى الدَّامى
ويا لمصيبة الكلماتِ من خوفى وإقدامى

*

إلىَّ . . . إلىَّ يا مَلكَاتِ أفكارى وإنشائى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فما بعد العشيَّة موضعٌ للزَّهو والدَّلِّ
تعالى ! وازرعى فى مَخْبَأى النائى
أزاهيرى التى كانت إذا نامت
دمشق ، وقام فى أحيائها الرُّقباء
توشِّى حسنها اللَّيلى
وتُثقل كاهل الأنداء بالنسرين والفلِّ

*

ثقيلٌ عبء هذا الوقت بين المقت والغربه
بطيءٌ مشْىُ شيخِ الموت بين اليأس والرَّغبه
يجلِّل مخبأً بالجبن والذلِّ
فيا ويلى !
لو أنى لَمْ أُدِرْ وجهى عن الزَّابِ !
لو انِّى لُذتُ بالحجَرِ
وقاتلت العدا بالصَّبْر والحجرِ
وقاتلتُ العدا بالشِّيب والشُّبَّانْ
وقاتلتُ العدا بمعزَّة الأوطانْ
وقاتلت العدا بكرامة الإنسانْ
إذن لم أَلْقَ بعض البعض ممَّا بى
وكان المستحيل العذبُ بين الموت والظَّفرِ
وما عملى ؟
وقد ضاق الزمان بوجه مرتَحِلِ
وألفى نفسه رهْنَ الفِرار ولحظة الأجل
ويا فيحاءُ ! يا بغدادُ ! يا عمَّان !
لقد ضاق المدى العربىُّ بالإغضاء والخذلان

*

« محا السيف أسطار البلاغة وانْثنَتْ :
عليك ليوث الغاب من كل جانب
وما يمَّحى حقٌّ لو الأرض زلزلتْ
فطوبَى لمطلوبٍ وطوبى لطالب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولـكـنَّ أقـدار الـصِّـراع اقـتـدارنـا :
فـذا حظُّ مـغـلوبٍ وذا حظُّ غـالـبِ ،

*

كأنَّ العمر مكتوبٌ على صفحاتِ سِفْرِ دماءْ
محاها السَّيف
ومرآةٌ نقشنا أحرفا فيها على استحياءْ
بلَيْلةِ صيف
وحين الصُّبح وافانا
وأسفر عن بقايانا
هشيماً كانت الصورة
خيالاً عابراً فينا
عبور الطّيف .

عمّان : عبد الرحيم عمر

ARCHIVE
http://Archive.Sakhrit.com

دورة للهـــــلال

زليخة أبو ريشة

أكلَّما دارَ الزمانُ دورةً
وانفلقَتْ رمّانةٌ للرّوحِ عن حَبَّاتِها
وانفرطَتْ فوقَ رُخامِ الرّيحِ والتبريحِ
جاءَ حارساً نجومَ ليلةٍ طويلةٍ حبالُها
ممتدّةٍ إلى مشارفِ الآزالْ ؟
أكلَّما يطيرُ طائرٌ للبَينِ فوقَ حاجِبى الشِّمالْ ؟
ترتعشُ ابتسامَتى على مفارقِ السؤالْ
وأحتسى دموعَ نكهةِ المجيء فى المخاضِ
نكهةَ انتحالىَ الرجاءَ
نكـهَةَ المحالْ . . . ؟
أكلَّما يَطيفُ طيفُهُ على العروقِ هَرَبَتْ
فانتشَرَتْ شباكُهُ تصيدُها
وغرزَتْ أشواقُهُ حِرابَها
فى سُهدِها
يُطلّ بى الذى صوابُه يُعيدنى
إلى محرقةِ الضّلالْ . . .
ويرتمى جناحِىَ العنيدُ فى مهابِطِ اغترابِهِ
فأمتطى هنيهةً مجنونةً
هائمةً
بلا مآلْ . . ؟
أكلَّما تدورُ للزمانِ دورةً
تنشطِرُ الشموسُ فوقَ جبهتى
لأنَّ من أحبُّهُ
يفِرُّ وهو قادمٌ
وآهِ كيفَ يستطيعُ عاشقٌ هروبَهُ
فى لحظةِ اتّصالِهِ ؟
وروحُهُ قارورةُ اشتعالْ ؟
وعندما يصادرُ الرَّفيفَ فى وجيبىَ المقطَّعِ الأوصالْ
ورجفةَ اتّقاد موعدٍ فى شفةٍ
موعدُها تفجُّرٌ خَبالْ . . .
يكونُ هاجسى إليهِ كاملاً
وهاجسُ الحبيبِ دفعُهُ عن الكمالْ . . .
وانفطرى يا لوعةَ اللوعاتِ فى أرجوحةٍ
حبالُها أشعةٌ فى ساعةِ الزّوالْ . . .
فإنّنى حزينةٌ كما هُرَيْرَةٌ يتيمةٌ
حزينةٌ كمثلِ نجمةٍ وحيدةٍ
تبعثَرَتْ هالاتُ نجمِها السعيدِ

أبحرَتْ
فى أفقٍ أغرقَهُ الجَمالُ فى الجلالْ . . .
ودارَ فى الزمانِ دائرٌ
قدومُهُ احتمالْ
فاحرَقَتْ مواجعى سفائنُ الإيابِ
أتلفَتْ رموزَ شفرةِ الشفاءِ
صرَّحَتْ بأنَّها فى حَلْبةِ الأقدارِ
مهرةُ السِّجالْ . . .
وأنَّها تفوزُ بالذى تشاءُ
أنَّها تلملمُ الحبّاتِ من على رُخامِ رِيحِهِ
تُطَوِّقُ الحبيبَ بالسجيَّةِ الثرثارَةْ
تعيدُهُ إلى انفطارِ روحِهِ
عن دَهْشةِ البكارةْ
وتجمَعُ الحبيبَ نفسَه بنفسِهِ
تلُمه على هنيهةٍ
فوّارةِ الظّلالْ . . .
تخبُرهُ أنْ لا حبيبَ دونَما اتّحادِهِ بها
تلك التى سكوتُها مقالْ
وقولُها تفجُّرٌ
ومهمَةٌ
وغابةٌ
وأنهرٌ صخّابةٌ
وكتلةٌ من الجليدِ انحدرَتْ من سَقْفِ جَرْفِها
تدحرَجَتْ على هدير صوتها
وحكمةٌ مجنونة
فى عاصفٍ خَيَالْ . . .
لا حبَّ إلاّ عندما اشتهاؤ ها
توحّداً فى جَسَدٍ بلا جَسَدْ . . .
لا حبَّ الاّ عندما شهودُها
واحدةً بلا أحَدْ . .
لا حبَّ يا حبيبَ دورةِ الأبدْ . .
لا حبَّ يا حبيبَ دورةِ الأبَدْ . . .

. . . . . .

تعرَّقَتْ شجونُهُ على ندائِنا
وفاضَ فى مهالِكِ النشيجِ وجهُهُ
واشتعلَتْ من خَلْفِ سُدُلِ الظلامِ والوِئامْ
ومطرحِ السَّكينةِ السلامْ
هِلالةٌ صغيرةٌ
عانَقَها فى غفلةٍ من نَفْسِهِ وخَوْفِه
العاشق الهلالْ . . .

عمان ــ الأردن : زليخة أبو ريشة

خ

فتوضأ من زبـــد البحر

وفـــاء وجـــدى

يُحكى أن صبيًّا فوسفورِىَّ العينين
طَرِىَّ الشفتينْ
يَجلسُ دوماً صَوْبَ البحرْ
يأخذه البحرُ بعيداً
يُسكنُهُ الأصداف . .
يُزوّجُهُ اللؤلؤْ . .
ويَطوفُ بهِ فى غاباتِ المرجانْ .
يستنشِقُ عَبَقَ اليُودِ
فينْفَتحُ الصَدرْ
يُطلِقُ صَبْوَتَه للريحِ
يَبْتعَثُ حياةَ النار بأعماق البحرْ
نقشَ البحرُ على ساعِدِه مَرَّهْ
أنَّ السنواتِ تَمُرُّ عليه
فلا تتركُ خطاً فوقَ جبينْه
لكنْ تُنْضِجُ فى شَفتيه البسمَةْ
ويطِيبُ العِشْقْ .
يُحكى أنَّ عيونَ البحرِ اتَّسَعَتْ
خرجتْ منها إحِدى الجنِّياتْ
نظرتْ فرأتْ
هذا الجالسَ صَوْبَ البحرْ
نَذَرَتْهُ لعينيها
. . .
نَدَهَتْ :
يااِبنَ البحرِ
فرضتُ عليكَ طقوسى
هذا شَعرِى فرشٌ وغطاءْ
هذى عيناىَ لمركبِ أحلامِكَ
سحرٌ وسماءْ
هذا صوتى
يملكُ كلَّ خيالاتِ الشعراءْ .
يااِبنَ البحرْ
هاأنَت تُصَلِّى فى محرابِى
ها أنتَ تُرَدِّدُ أغنيَتى
ها أنت حملت على ساعِدِكَ المفتوُلْ
شالى . .
وتأبَّطتَ ذراعى . .
يااِبنَ البحرْ
حولَك تلتفُّ خيوطِى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فأنا نَدَّاهَةُ عُمْرِكْ
يَمْرُقُ صوْتِي فى أُذُنَيْكْ
منذُ عرفتَ البحرَ لأوَّل مَرَّهْ
منذ جلستَ على شاطئهِ
تحلمُ أنْ تخرجَ جِنِّيتُهُ الأسرةُ تُناديكْ .
. . . . . .
مَنْ بدأ نِداءَ العِشْقِ الأوَّلْ ؟

أىُّ نِداءٍ يجذبُ خَطْوَكَ
نحو عَوالمها السِحريَّهْ ؟
فَتَهَيَّأْ . . وتَوَضَّأْ من زَبَد البَحْر
قد تَفْزَعُ . . تَغْضَبُ
تَبْكِى . . تَهْرُبُ . .
لكنَّك مَشْدُودٌ
بِخيوطِ النَّداهَهْ .

القاهرة : وفاء وجدى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحـــديقـــة

وليـد منـير

صباحِ جمعةٍ
المرأةُ الأرملُ وابنُها الوحيدْ .
وشَلَّةُ الصوفِ
وإبرتانْ .
ودِكَّةٌ كان عليها فى مساء الأمسِ ولدٌ مراهقٌ
يُدَخِّنُ السيجارةَ الأولى
وبنتٌ خرجت لتوِّها من حصةٍ أخيرةْ
كى تعرفَ الحبَّ مبكّراً ،
وتعرفَ القصائدْ .
ورجلٌ عجوزْ
يُقَرِّبُ الجريدةَ البيضاءَ فى أصابعٍ مرتعشاتٍ
من مَدَى عينيهِ ،
ربّما أغفلَ نَظَّارته فى البيتِ
أو حاولَ أن يقترضَ الشبابَ لحظةً
ليستطيع أن يكون مرةً أخرى كما
راهنَ أن يكونْ .
وشَجَرٌ أخضرُ يمتدُّ على الصَفَّينِ
فى حديقةِ الحىِّ ،
وأسرابٌ من الطير تحطُّ ثم ترعوى .
خيطٌ من الماءِ يسيلُ ناصعاً
بين ثنايا العشبِ ؛
قد يكون العاملُ المُنْهَكُ عامداً
قد ترك الصنبورَ مفتوحاً
لكى ينهلَ وردُ الحوضِ من ماءِ الحياةِ
أو يكون العاملُ المسكينُ مشغولاً
لبعضِ الوقتِ باقتلاعِ عرسٍ شائكٍ فى آخرِ
البستانِ .
صبيانٌ بدائيّون
يقفزون تحت شمسِ الصيفِ
خلف كُرَةِ القماشِ
أو يقتسمون نوبةَ التشجيعِ والسِّبابِ
فى حماسة .

*

فى الركنِ عن بعدٍ قريبٍ
جَلَسَتْ عائلةٌ شعبيةٌ . . .
من صُرَّةٍ ما
أخرجت سيدةٌ بدينةٌ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خبزاً
وبيضاً
وخضاراً نَيِّئاً ،
فزجرتها كلماتُ الحارسِ القصيرِ .
كان الطفلُ جافلاً
يلهو جوار أُمِّهِ بِحَجَرٍ .
وأمه مشغولةٌ بِشَلَّةِ الصوفِ ،
وبانعقاد غُرْزَةِ البدايةِ .

الطفلُ الوحيدُ اتخذت أفكاره شكلاً جديداً
بينما ينظرُ فيما حوله من عالمٍ غضٍّ
غريبِ الشأنِ .
قال بينه وبين نفسه
لماذا ليس لى مثل جميع أصدقائى
أخوةٌ أكبرُ منى
ربما أطولُ قامةً
وربما أشدُّ ؟
لم يجد إجابةً
واتسعت عيناهُ دهشةً .
وفى الهناك

حيثما ترامت الدنيا وراء السورِ
لاحت المنازلُ القديمةُ اللونِ
ولاحت عرباتُ النقلِ
والكنيسةُ الصغيرةُ التى تعومُ فى قبابها
الشمسُ .
وكان الناسُ يحملون فى سلالهم مؤونةَ
اليوم ،
ويعبرون من رصيفٍ متآكلٍ
إلى رصيفْ

القاهرة : وليد منير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ك

قصـــيدتان

حسين على محمد

١ كلمة

أطلقتُها فى جلْبَةِ الصياح والضجيج والكلامْ
أرسلتُها من صدرىَ المقبوضِ فى الزحامْ
وقلتُ : كونى دفتراً
للحب والأحلامْ
ومُعْجماً للوجْدِ والغَرَامْ
وما ظننت أنها تكون سُلَّماً
للقهر ،
والسكون
والظلامْ
وما ظننت أنها تكون معْبَر الطّغامْ
ولا تكون غايتى . .
ومَدْفنى
فى آخر الأيَّامْ !

٢ عنبر الأموات

فى عنبر الأمواتِ
كانت القصيدةُ الجديدهْ
على لسانِ الوردةِ الملقاةِ
تحت الشرفةِ الوحيدهْ
وحينما تنفَّسَتْ بأول الحروفِ
كان الليلُ فى شراسةٍ عنيدةٍ . . عنيدهْ
يجرجرُ الأصحابَ
والزنابقُ السوداءُ
ترقبُ المجهولَ
فى تعاسةٍ بليدهْ

صنعاء : حسين على محمد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر

اللقاء على خريطة الجراح

محمد محمد الشهاوى

تمرّ اليماماتُ مُثْقَلَةً بالوهَنْ
ومِلْءُ العيون جَوَى مترعٌ بالشَّجَنْ
تمرّ اليماماتُ . .
تَسْألُنى عن وطنْ

ومثْلُكَ قَلْبِىَ من ألف عامْ
يلُوك المرارةَ مغتربا يايمامْ
فَمَنْ ذا الذى أفزعكْ
ومَنْ ذا الذى روَّعَكْ ؟
لعلّكَ مثلىَ عِفْتَ وجوها بليدةْ
فجئتَ هنا باحثاً
عن حياة جديدةْ
وقد وحّد الحلمُ وجهتنا يايمامْ

تمرّ اليمامات فى كلّ صبحٍ
فأقرأ فى مقلتيها
تضاريسَ جرحى

وحين يمدّ الظلامْ
عباءته لتنامْ
يفرّ المنامْ
يفرّ المنامْ
يفرُّ المنام . .
وتنهض ملءَ خيالى
طيورُ الوطنْ !

كفر الشيخ : محمد محمد الشهاوى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حـــــدآن الـــــدم

عباس محمود عامر

يُقطعُ ثدْى الأُمْ
يحتبسُ الدّمْ
يسّاقطُ بين مخالبِ حِدْآنِ
نعبت فى أُفق مُخيَّمنَا
تستدعى بُومةَ هذا الليلِ . .
ليصُبحَ مأدبةً
هذا الضَّرعْ
من لبن الجُرحِ المسمومِ . .
بسكّين الشَّفقِ الصّدئهْ
تشربُ فى كأس البؤسِ . .

عظام شروقٍ غَابتْ . .
فى لحدِ الغسقِ المستأسرِ . .
. . جُمجمةَ الحُلمْ

تزكو فى أرضِ العشقِ ،
. . وتورقُ أشجَارُ الشُّهداءِ
. . فتنصبُ ظلاً فوق جبينِ الأُمِّ . .
، وتشهر كلُّ الأغَصانِ المنتفضهْ
ريحَ الفجرِ العائدِ . .
. . فى وَجه الرمضاء . . .

القاهرة : عباس محمود عامر

قصـــــيدة مســـــرحية

أحمد محمود مبارك

المشهدُ : غرفةُ مكتب أحد المسؤولين بإحدى الشركات الكبرى . ،

والوقت : قبيل الظهرْ

يجلس ذاك المسؤول محاطاً « بالتلفوناتِ » وبالأوراقِ وبالأعباءْ

لكنْ : يبدو مبتسماً ، مرتقباً مقدم شخص ما . .

يدخلُ رجلٌ يكسوه وقارٌ ورواءْ

. . يرتفع صياحُ المسؤول وينهض)

ـ أستاذ زغلولْ ؟

أوَ هذا معقول !

خمسة أعوامٍ وصديق العمر بعيدٌ عنّى .

أهلاً . . أهلاً

اقربْ منّى

(وتبادل معه القبلاتْ

استرسلَ)

ما هذا ؟ خمسة أعوام لا تسألْ !

ما شاء الله

باردةُ عيناى عليكَ فما زلتَ شباباً ،

مؤتلقاً لم يُطفىء ومضتكَ
مرورُ السنواتْ

(وأجاب الآخر بعد الصمتْ)

ـ فى الواقع أنى فكّرتْ . .
فكّرتُ ولكنّى . .

ـ معذورٌ . . أدركُ أنّك معذورٌ . . ربَّكَ فى العوْنِ . ،
فقد أخذتْكَ مشاريعُكَ تلك الناجحةُ من الأصحابْ
كنتُ أتابعُ أخبارك فى الصُّحفِ
وأسمعها فى الجلساتْ
لكنْ : تلك الأخبارُ انقطعت عنى . ،
من سنواتْ
أهو السَّفَرُ الدائمُ والمسؤ وليات
أم ماذا ؟ حدّثْنى . .

« يضغط زراً »

آهٍ . . آسفْ . .
فالفرحةُ بكَ أنْسَتْنى . .
ماذا تشرب ؟
أهلاً . . أهلاً . .
فيكَ الخيرْ . .
فعلاً . . .

صدق المَثَلُ القائل : لابدّ وأن يتلاقى الأحياء
. . لا تنظر فى ساعتكَ . ،
فلن أدعكْ . ضيفى أنت اليومَ . ،
ولن أقبل عذراً منكَ . ،
فبعد قليلٍ أفرغ من أعمالى .
لن أدعكَ حتى تتكرَّمَ وتشرفنى فى المنزلِ ،
ما أسعد هذى الفرصة !
صدّقْنى . ،
كنتَ ببَالى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من أيام إذ خطر بذهنى . . ،
لمّا بعتُ عقاراً . ورثتهُ حرمى عن والدها ــ أن أستثمر هذا المالَ لصالحها
فى مشروعٍ مثلاً .
وتردّدتُ وقلتُ لنفسى :
من يضمنُ ــ فى هذا الزمن الموبوءِ ــ ضميرَ الشركاءْ ؟
لكنْ :
حين تذكّرتُكَ طابت نفسى واستبشرتُ ،
فصمّمْتُ على أن أبحث عنكَ ،
ولكنْ شغلتنى ،
بعضُ الأعباءْ
وأخيراً . ها أنت تزور صديق العمرْ
أهلاً . . أهلاً . . فيك الخيرْ
آهٍ من ميزانِ الزمنِ الظالمِ ! ،
مثلى يتعبْ
ويجمّعُ فى الألقابْ
لكنَّ العائدَ يتبخّرُ قبل فوات الشهرْ
لا تعجبْ
لا يخدعْكَ المنصبْ
كنتَ ذكياً . . أذكى من كل الأصحابْ
إذ آثرتَ ومنذ تخرّجنا . ،
أن تعمل فى الأعمال الحرّةِ . ،
وفقك الله .
(كان الآخر يسمع والكلماتُ تموتُ على شفتيهِ ،
وعيناه تبثّانِ شعوراً باليأسْ
وأخيراً قال وعيناه موجّهتانِ إلى سقفِ الحجرةِ . ،
والكلمات الخجلَى تخرجُ من فمهِ مطفأةَ الجرْسْ :)
ــ فى الواقع . . فى الواقع . . أنى جئتُ إليك اليومَ لأمرٍ . . هام . .
(يدخل ساعٍ بالقهوةِ . . تنقطع الكلماتُ . ، ويضع الساعى الفنجانين ويخرج . ، يبتسمُ المسؤول ويُشعل ولاّعتهُ . .)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ينهضُ وهْو يقدّم للزائر سيجاراً . ويقول :)

ـ أمْرُك . . تَعْلَمُ أنى قَيْدُ أوامركَ . . تفضّلْ

ـ كنتُ أقولْ . .

آهٍ إنى . جئت إليك . . لأنى . . .

لا حولَ ولا قوة إلا بالله . . .

إنى منذ سنينَ أعانى من سوءِ الأحوالْ

ولقد صَفَّيْتُ جميعَ الأعمال

إذ داهمنى . . ،

أكثر من ظرفٍ أكل الأخضر واليابسْ

ولهذا . . أنا متوارٍ من أعوامْ

وأخيراً فكرّتُ ،

وقلتُ لأبحث عن عمل فى إحدى الشركاتِ . ،

و . . ها أنذا . . .

(عمَّ الحجرةَ صمتٌ ووجومٌ ودخانْ

عَبَثَ المسؤول ببعض الأوراق ليتشاغلَ .

وامتدَّ بساط الصمتِ ،

فنظرَ الزائرُ فى ساعتهِ نظراتٍ خاطفةٍ ،

لا تبغى معرفةَ الوقتِ . ،

وبعد قليلٍ ساد الحجرة . . إظلامْ)

*

(ينساب الضوءُ رويداً فرويداً . . يلج الساعى من باب الحجرةِ . . حين يسمعَ الجرسَ يدقُّ ليأخذ فنجانى القهوةِ ثم بدا مرتبكاً يُمعن فى فنجان الزائرِ ويوجّهُ عينا يملؤها الرعبُ ـ إلى وجه المسؤول الجالس مكتئبا ، ممتعضاً ـ وتلعثم لحظاتٍ.أخيرا قال .

ـ يبدو أن صديق سعادتكم قد نَسِىَ القهوة أو لم يعجبْهُ البنُّ ففنجان سعادتهِ ، ملآنُ .

الاسكندرية : أحمد محمود مبارك

الصـــــــدى

أحمد مرتضى عبده

أخوضُ فى المَلَلْ
سأنتقى دمى إذن ..
إذنْ
سأُمْسِكُ الصَدى
وأُمْسِكُ الوطن .. !

*

سألتهُ
وكانت الرياحُ ــ فى بساطةٍ ــ تجىءْ
بصوتها الردىء
إن كنتُ راحلاً
إلى ظلامهِ المضىءْ
أو كنتُ مُقْبِلاً على نداوةِ السَّرَاب
فقالَ لى الترابْ
غــداً ..
أفيضُ .. عن شَجَرْ .. !

*

وكانَ فى المساءِ
ــ أو جدارِهِ الرطيبْ ــ
بقيةٌ لطائرٍ غريبْ
سَعَى بوجهِهِ
إلى نوافذِ المدن
لكنّها الجدرانُ أوقفتهُ
فى المسافةِ التى
ما بينهُ وبينَ رعشةِ الصباحِ
وانطفاءة الظلامْ ..

*

وكنتُ أعرِفُ الجُلُوسْ
وأعرفُ المقاعدَ الأخيرة
فى الشارعِ الأخيرْ
لكنهم تخافتوا
وفاضَ عن أوهامِهِمْ .. وَطَنْ
عرفتهُ
مقهىً .. فمقهىً .. أو رصيفْ
نزفتهُ
وكان ينتهى إلى قواقعِ الخريفْ
وكانتِ النساءُ باردات ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والصغارُ تافهينْ
وكانت الجدرانُ يانِعَةْ ،
وبيننا بدايةُ الصَدى
أو لُزُوجةُ الجروحْ
وكنتُ أعرفُ الجُلُوسْ
وبينَنا
يقومُ عَالَمٌ .. وأقْنِعَةْ ...

أُقَشِّرُ الملَلْ
وأمضغُ الهواءَ
عَلَّ طائراً يَجيءُ من أُفُقْ
وَأَسْمَعُ الصدى

عَلَّ وردةً تفتحتْ مدىً
إلى صداىْ ..
أو لحظةً ينامُ عن سمائِها التَعَبْ ..
وأفتحُ الفضولْ
فتدخلُ الطيورُ شُرْفتى
وتأخذُ الشموشَ من يدى
ولا تعود ,
فأتركُ الذى
بينى .. ومَوِئلى
فتنتشى أصابعى
أصابعى ... ،
تفيضُ بالسؤالِ .. والطريقْ
وأبدأُ الحَريقْ ..

القاهرة : أحمد مرتضى عبده

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القـيثـــارة

أحمـد غـراب

فى دفءِ صـوتـكِ صـلَّى الحـرْفُ سيّـدتى ... حـتى تهجَّـدت الأشـعـارُ فى شفـتى
مـاذا أُسمِّيـكِ يـاقيـثـارةً مَسَحـت ... أنغـامُهـا الغيْمَ عن بللور أخْـيلتى ؟
لن أسْـأل الحلْمَ بعـد اليـوم أجْنحـةً ... صـداكِ فى خـافقى السكـران أجْنحـتى
ألا يـزال وراء الأفْـقِ ثَـمَّ مَـدَىً ... يـاريـحُ لا تُـوجـدُ الأبعـادُ فى لُغـتى
عـلى فـمٍ زنْبقـىٍّ الـصـوت رحلتُنـا ... لا تُخبـرى الصيفَ هـلْ أرجـوك سيـدتى ؟!
مـاذا أخـاف ؟ سـتـأتى كـلُّ سـنبلةٍ ... وسْنى تـوشـوشنى : مـن شـدَّ أغْـطيتى
سيـرْتمى كـلُّ عـصـفـورٍ بنـافـذتى ... ويُـغْـرقُ الـقشَّ محـرابى وصـوْمـعتى
سيعْـرفُ الـعـطْرُ عنـوانى ويسـألنى ... عـن كـلِّ سـوْسنـةٍ تـغفُـو بـأوردتى
سيـطرق الـلـيـلُ أبـوابى ليحـملنى ... عـلى رمـوش مـواويـل مجـنـحَّـةِ
يـادفْء صـوتـكِ يسْـرِى فى دمى شُهُبـاً ... أدعوك ماذا ألا تدرين مشكلتى ؟!
أدْعُـوكِ شهْقـة أصْـدافٍ تُـداعبهـا ... جـدائلُ البحْـر !! يطْفـو شوْقُ أشْرعتى
أدْعُـوكِ ضحكْـة مـرآةٍ تـدغْـدغهـا ... أصـابـعُ النـور !! يبكى الليـل فى رئتى
أدْعُـوكِ بـوْح فـراشـاتٍ مـراهـقـةٍ ... تغـزو الـزهـورُ مسـامـاتى وأنْسجـتى
أدْعُـوكِ بـحَّـة مـزْمـارٍ بـه شَجَـنٌ ... تغـرْغـرت بـدموعِ الليـل حنْجـرتى
أدْعـوكِ مـاذا ؟ أيـا فـوق اقْتـطاف يـدى ... يكْفيكِ أنكِ أنتِ اليوم ملهمتى

ـ فمنَ تكون ؟

ـ أنـا أعْـصـابُ قـافـيـةٍ ... لا تسـتـريـح وراء الـليـل وسـوسـتى
وكـنـتُ بـقْـعـةَ حـبْـرٍ أوْرقت وتـراً ... وكـانـت الشـمسُ أغضـانـاً لأغْـنـيـتى

ولـدتُ . لا تعجبى من جـوْفِ محبـرةٍ ... فى العقْم كـانت كـما جـدران مقْبـرةِ
لـذا إلى الحـين مـازالـت تـدلّـلنى ... رغْم الجليـد عـلى صـدْغى (بمْعجـزتى)
الفكـر والحـرف مـأسـاةٌ أُكـابـدُهـا ... كـما تُكـابـدُ هضْمَ النـاس جُمْجمتى
إنّى أنـا الـشـعـرُ .. أحـلامٌ مـطرّزةٌ ... ومن نسيـج الـرؤى تـدرين مقْـدرتى
قـد أمْنح الحـرْف نَهْداً .. أعْينـاً .. شفـةً ... أبْنيـه مـاشئْتِ .. إنّ الخلْق مـوهـبتى
لـكـنـما الأرضُ غـير الأرض فى زمـنٍ ... لا يـذْبـح الـشعـر إلاّ فى رُبَـا شفـتى

القاهرة : أحمد غراب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رؤيـــــــا

عبد الأمير خليل مراد

ظلاّنا يَقترَبان مِن العَتَبهْ
هَذا يَتخلّقُ فى نَهر العُمرِ . . . خَفيّاً
والآخَرُ يَفتضُّ تُخومَ الوقتِ . . .
وَيَمضى
يتوّزعُ فى فَاتحَةِ الخصْبِ . . . فَصولاً
من خبزٍ وَدماءْ
هذا ظلّكَ أمْ ظلّى . . .
أمْ نَصل قَتيلٍ
يَقذفُنى كالأرجوحَةِ فى الحَلَبهْ
وَيلُم بقاياىَ حُقولاً من شِعْرٍ
وَرُواءْ
يَعبرُ بى شُطآنَ الوَحشةِ والريحِ . . .
أرى
صمتى وشَظايا جُمجُمَتى
قَنديلاً يَتهجّىٰ نَبضَ الطرُقات
(أنا القنديل وفى دَمْعى يتوَضأُ
إنليل)
وَأنا الطفِلُ انزَلقَتْ مَن عَينيهِ
خُيولُ الكَلماتْ
هذا رمْلُكَ يَستسقى ناىَ مواجعِنا
يَستنزلُ ميراثَ الخُضرَةِ . . .
من ظَمأٍ
يَهبطُ . . . هُذا الساحِلَ . . .
ذاكَ الساحِلَ
لا شىء سِوىٰ رَجعِ الذئبِ
وَديجورُ اللّغَة الصفراء
ما كنتُ أخلّيكَ نجيَّ غَدى
وَبعُودى تَتفتقُ سَبعةُ أقمارٍ
فَى (سَبع ليالٍ)
لا فرقَ . . . فكل العالمِ . . . ظلماءُ
فى ظَلماءْ

العراق : عبد الأمير خليل مراد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على عتبة الذاكرة

أحمد محمد المعتوق

ونقَّرت بخفّة جدار صمته ولوَّحت إليه
كمثلما حمامة أليفة حطّت على يديه
فضمها لصدره صافية كما النَّدَى
أطعمها الفستق من عينيه
وصاغ من أضلاعه قنطرةً
فانحدرت كما النسيم رائقاً وحوَّمت عليه
وغزلت ضفيرة من الشعاع فوق جفنهِ
وانطلق الزمان كالغزالِ
وثْبهُ يسابق المدى
أو مثلما تسافر النجوم فى مدارها غدا
وعندما الشتاء طاف بالدروب فاتر الخُطَى
وذوَّب الصقيعُ فى العيون هاجسَ السكون
من ريشها أسرج شمعتين
توثَّبا للضوء مثل برعمين أجْدَلين
واحتسيا الدفء فُوَيق ضفّة المساء
وائتزرا بهالةٍ ضافية من الشعاع ثم طارا
كما تطير ومضة شاردة أو يعبر الصَّدى
وطوّفا وحلّقا وطارا
ولملما السحاب غيمةً فغيمةً
وارتويا مرارا
قد جمعا ما جمعا من الكنوز ثم فى المساء عادا
فافترشا وسادة وثيرة طرَّزَها الأصيل ثم ناما
وعندما تهللت ــ مع الصباح ــ طلعة السماء
وحان موعد القطافِ
والسُّلالُ أخصبت ولُمَّت الغلال
اعتصرا كما الزلال دورقين
وملآ آنية ورديَّة من عسل النهار
زادُهما لرحلةٍ آتية
لرحلة الشتاء حينما تجيء رحلةُ الشتاءْ
وعندما الموسم عاد والربّان صاح بالمسافرين
قد حان موعد الرحيل يامسافرين ياكرام
ارتديا ــ كما يقال ــ بردة خضراءَ
من نسيج شهر زاد
وحملا من كل ما ينبت فوق الشمس من بقول
وسلَّة من عنب البرارى ــ مثلما حكت مرجانةٌ
أو سلَّتين
زادهما لرحلة نائية الأطراف . رحلة البحار
فالبحر لا يأمنه العابر والشراع مركب الرياح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وغَربة الملاّح مثل غربة الزمان
وأبحرا والليل بعدُ راقد بمخدع أمين
كموجتين أبحرا ، كموجتين توأمين
وسرّحا المجداف فوق مرفق العباب
وحلّقت مواكب من بجع المياه والنوارس الصغيرة
خلْفهما تشير من هناك من بعيد
تهتف يا طالعة الصباح ياحمامة غريرة

عشّك يستريح فيه كوكبٌ
على ضفاف هذه الجزيرة

اليك ها هنا تعالَيْ أنت يا أميرة
وانسرحا وغابا

وتمتمت خلفهما حكاية قديمة
وأغنيات عاشقين روّضت حنينهم عواصف البحار

المملكة العربية السعودية : أحمد محمد المعتوق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأصـــــوات والصـــــدى

(مهداة إلى المستشرق : استيفان فيلد)

محمد أبو الفضل بدران

لماذا يختفى الظلّ فى الليلِ
والشمس لا تشرق إلا فى الظلام ؟
حينها يلتقى الظل بالظلّ ،
والصوت فى الليل عبر الصدى بارزٌ الظلّ ،
لكننى قد رأيت الصدى لاهثاً إثره
إنه راكضٌ فى البحار التى أتعبتها المراكب ، تلك التى تبتغى مرفأً ، والمرافىء
تسأل عن أبحرٍ ، والبحار الجميلة تبحث عن موجةٍ كى تسوق المراكب نحو الوطن !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصوت الأول :

إلى البيت أغدو وأحمل ما قد تبقّى من الروحِ ،
علّ الرياح تسوق الغمام الذى قد بنيتُ على ظلّه ربوةً للديار .
طيور « الكنارى » ترفرف فوقِ السحابْ ،
لعلّ السحابة تُنزل من غيثها قطرةً فوق بيتى
وعلّ « الكنارى » تعزف من لحنها غنوةً للصغار ،
فأركض فى داخلى نحو هذا النخيل الذى قد تطاول حتى النخاع . .

فهل للرياح إذا ما غدت بالغمام تسوق الظلالْ ؟
فيا طائراً ضلَّ : هذِى بلادُكَ تنبت فى راحتيك .
فخُذْ من صدى الصوت أنشودةً للإيابْ ،
فإنّ بلادك ــ ياصاحبى ــ قد غدت واحةً من صدى !!

الصدى

مسافرون فى غدٍ عن قريتى مسافرونْ
هل نستطيع مرةً تُخبِّئين فى العيونْ ؟

الصوت الثانى :

من خبّأ هاتين العينين ؟ وكيف اختفتا عن كل عيون العسس الليليِّ
وَهُمْ يسترقون السمع . . .
وها أنذا موءُودٌ فى عينيك ،
أتمشّى تحت خيامك ،
أو أتجولّ بين الرئتين ؛
وأبنى مُنتجعاً للحزن فذاك « مقامُ الدهشة » ،
فاخلع نعلَيك . . . تجرَّدْ
والبَسْ رقعة ظلِّ . .
هذى « السِّدرةُ » ،
فاسمع ما يُوحَى !

الصدى

ــ عمّن تبحثُ ؟
ــ أبحث عن حلم
ــ حلمك لن يأتى
أبحثُ عن « يأتى »
« تسقط لن » !

الصوت الثالث :

النخيل يسافر فى القلب .
مولعٌ أنت ياليل بالحلم ،
والحلم فوق النخيل امتطى منبتاً للرياح ،
فتأتى الرياح لتبتاع حلمى ،
فتغدو الأصابع منى صدىً للعيون ؛
وألفى العيونَ صدىً للوجوه التى دثرتنى
فأىُّ الوجوه مع الرأس أحملُ ؟
يَمّمْتُ نحو النخاسة أبتاع وجهاً جديداً ،
وكانت شجيرات تلك الرياح إلى الأرض تنمو .
فأدفن ما قد تبقى
أرى الشوك ينبت فى الوجه ،
حاورنى الشوك . . . حاورته . .
فامتطى القبر وجها . . .
سابقنى . . . واختفى !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصدى

مـــن ذا أنـــا ؟ إنـــى صـداكْ
إنـــى هـنـــا وأنـــا هـنـــاكْ

الصوت الرابع :

وأغدو إلى البيت أحفر فى الوجه سرداب قبرى
وقسّمت وجهى طرائق شتّى ،
وأبحرتُ فى الصوت علّ الوجوه القديمة تأتى .
ويمّمت نحو البلاد التى قد تساقط فيها الفؤاد ،
فأدفن ما قد تبقّى . .
هنا القبر ،
كانت رُفاتى تنام ،

فأبصر جمجمتى غماما وبرقا
تزلزل زلزالها . .
تمزّق أكفانها . .
« وأخرجت الأرض أثقالها »
تسير الجماجم جنباً لجنب ،
فتغدو الجماجم صفاً . . . صفوفاً
فيأتى الجنود العسس .
وما كان كان . . . وما لم يكن قد يكون !!

الصدى

. . . . . .
ص . . . . . د . . . . ى !!

بون : محمد أبو الفضل بدران

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ج

وجهـــان للمـــوت
وجـــه للبعـــث

رضا يوسف العربى

مخاطبة

مثْلَ اليَوْمِ تماماً ياأسْماءْ
كانتْ تَتَقاذَفُنى السَّيّاراتُ إلىٰ السَّيّاراتِ ،
وكانتْ ذاكرةُ الوَرْدِ تعدُّ مكاناً
لاثْنيْنِ ،
حبيبَيْنِ ،
وكنْتُ أقولُ :
(أنا كوْنْتُ رسوماً فى الموجِ ،
فأضْحىٰ الوَرْدُ بلا أشْواكٍ)
لكنّى ــ الآنَ ــ على « كُوبْرى الجامعةِ » ،
ــ وحيداً مْنفرداً ــ
مطرودٌ من ذاكرةِ الأشْياءِ ،
سوى ذاكرةِ المَوْتِ ،
وكفّى تُمْسكُ بالوَهْمِ ،
ــ وحيداً منفرداً ــ
وأُغنّى : ياالمْنفىُّ : إفْتَحْ عاصفةً لخُطاكَ ،
وقُــلْ :
« ياالْيلُ : الموتُ متى غَدُهُ
ممَ لا يدْنولى مَوْعِدُهْ
أمْضى أيّامى مْنتظِراً
موتاً لى ياما أفْقدُهُ »
مْنفرداً ووحيداً
غنّ غيابَكَ ،
غنّ المَوْتَ ،
حُضورك ــ أيْلولياً ــ يحيا بغيابِكَ ،
يادرْويشَ المَوْتْ

موقف

سألَتْنى سيّدةٌ فى الشّارِعِ ،
ما بــى ، ؟!!
تشْعرُ ظلَّ المَوْتِ علىٰ أهْدابِ . . .
وحضورى يذْوى بغيابى . . .
قلْتُ لسيّدةٍ فى الشّارِعِ ،
: أوقِفُ خُطُواتِ المُرْتابِ . . .
وَلِشَجَراتِ الكَينونةِ أفْتحُ بابى . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كي أبْقى ،
أحــداً ،
ووحيــداً ،
فى سردابِ . . .

سماء دنيا
نقترح سماوات أخر

مسْكونٌ بالفَوْضى
منْشَغِلٌ بالمألوفِ وَغيْرِ المألوفِ ،
تضيعُ خُطاىْ . .
لغةٌ تعجْزُ عن نشْرِ شَذَاىْ
لغةٌ تَتَفَصّدُ عاجزةً
وأنا ترْهقُنى فوْضاىْ . .
ـ هلْ تحْكى عن خدْشِ التّابوتِ ،
وجَرْحِ النّاىْ ؟؟
، تحكى عن نرجسةٍ هاجسةٍ
تهوىٰ سُكْناىْ ؟
ـ أم تحكى عن طبقاتٍ لعصيرِ التّفاحِ ،
وأخرىٰ لا تجدُ الخُبْزَ ولا الشاىْ ؟؟ إلخ إلخ إلخ . .
تُتْعبُنى أقْنعةُ الرّمْزيّينَ ،
ولغةٌ لا يمكنُها حملُ قُواىْ . .
مُحتَضِناً خاصرةَ المأساةِ ،
ومسكوناً بالفوْضىٰ ،

أَنْتزعُ قَلَنْسُوةَ اللّيْلِ ،
عسىٰ أنْ يُشْرقَ فى لغةٍ تشْرُق بُرؤاىْ . .
فأطِلّ من الليّلِ عَلىٰ مْنفاىْ . .
منْتظراً إشْراقى منْ هالاتِ خَلاياىْ . .
ونُبوءَاتى فى شِرْيانى
لا تَنْطَلِقُ بها قَدَمَاىْ

أبو حماد شرقية : رضا يوسف العربى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فصـــل فى التمـــيـــيز

مصطفى رجب

قال الشيخُ ــ تَثَّبتَ عزُّ مجالسِ أُنس مهابةِ سحنتِه الوضَّاءهْ :

. . . « درس اليوم التمييز » .

قال التلميذُ المتثائب دوماً : زِدْنا مولاىَ وضوحا .

قال الشيخُ : سَميعاً ياولدى ناديْتَ . . وصفِّق كىْ يهدأ مجلسُ درْسِ النَّحْوِ

وقال :

« مَيِّز ياولدى بين الناس إذا عاشرْتَ الناس وأَنْزِلْ كُلاً منزلةً يرضاها ،

فلكلٍّ قدْر ومقَامٌ معلومْ . .

أأبوك السَّقَّاءُ : إذا نودىَ تسبقهُ الأَلْقَابُ الفخمةُ ؟

كلاَّ . لا لَقَبَ ــ أجاب التلميذُ ــ سوى « المرحومِ » اذا أسلمنى قِرْبَتَهُ

وَمَضَى .

قال الشيخُ : قَضَى الله بذلك . . وعلينا أن نَرضَى

أغضى التلميذ وأبدى مَضَضَا

واستطرد شيخُ مشايخ نحويِّى العصْر

وحكمُ التمييز النصبُ ،

وعَدَمِ التمييز الرَّدْعُ . . وذَا قَدَرٌ وقَضا

قال التلميذ وقد نهضا ·

« لا نحوَ يروقُ اليوم » ، وأسلم رجليه لريحٍ لا يعلمُ أين ستلقيه وَرَكَضَا

فتبسَّم شيخُ الحلقة ، قال لتلميذ آخرَ ، وهْو يحاوره ، أرأيت إلى عَدَم التمييز ؟!

أجاب التلميذُ : أبنْ شيخي !

قال الشيخ : التمييز ثقيلٌ مُذْ وضع النحو ، وَضِدَّ طبائِعِنا البشريَّةْ .

قال التلميذُ : فما جدوى أن نُدْرِسَه مولايَ ؟

أجاب الشيخُ : لئلا نأثم أوْ يشْمَلَنا المحظورُ إذا قيل لنا أَشَرحْتمْ للناس التمييز؟

وُقلْنا : لا !

قال التلميذُ : تَغَاضَ إذن مولايَ عن التمييز أو احْذِفْهُ ،

انتفض الشيخ ، وقطب سحنته (أو قيل : امتعض)

ولمَّا ران على التلميذ بلادةُ مَنْ لم يفهمْ قال الشيخُ :

مَيِّزْيا ولدى بين الناس تَنَلْ فَضْلَ رِضاَ ،

ميِّزيا ولدى بين الآكل والمأكولِ ،

وبين القاتلِ والمقتولْ ،

فالمقتُول المخطىء إذْ أخرج قاتلَهَ عن طَوره !

والمأكولُ المخطىء إذْ سَمحَ لآكله دون دِفَاعْ

أرأيتَ لوَ أنَّ المقتول تذرَّع بالصبر

وأحنى الرأس . . أكان القاتلُ قاتلَهُ ياولدِى ؟

ميزٌ بين المجرم والصالح من خلق الله

فالصالحُ من شهدت كلُّ الصحف له بصلاحْ

والمجرُم عكس الصالحْ !

والتمييزُ عزيزْ !

قال التلميد : كَفَى مولاى وقل لى : كيف أميزّ بين الظالم والمظلوم ، وبين الفاتكِ

وضحاياه .

قال الشيخ : الكلُّ ضحايا ياولدى . . والظالمُ لا يعلمه إلا الله .

سوهاج : مصطفى محمد رجب

شعر

ثلاثية المدينة

عبد الناصر عيسوى

١ ـ تنبؤات الفتح :

تحوَّلْ بوجهك نحو المدينةِ . .
نحو امتداد التوجُّعْ
تسلَّلْ إليها ، وشَرِّقْ . .
وغرِّبْ لديها ، فهذى المدينةُ . .
قد علّمتْكَ التسللَ . .
قد عوّدتْك اللهاث وراءَ . .
قطاراتها المسرعهْ
وهذى المدينةُ . .
لا تستطيع التوقُّفَ . .
لا تستطيع التثاؤبَ . .
هذى المدينةُ . . قد عودتك الترقبَ . .
للأنجم الهاربهْ
وهذى المدينةُ . .
قد بايعتْك الأمير ، وقدْ . .
واعدتْك انتظاراً لإخصابك العبقريِّ . .
انْتظِرْها ، المدينةُ بِكرٌ . .
تقدَّمْ إليها ، اقتحمها . .
فهذى المدينةُ . .
قد ساومتْكَ البراءةَ . .
ساوِمْ لديها البكارهْ
تُراكَ فُزِعتَ . . المدينةُ بكرٌ . .
وأحشاؤها مُثقَلَهْ
وينفتح القلبُ منها ، وفى قلبها . .
مِقصَلهْ
تُراكَ تَحجَّرتَ . .
قلبُك ما عاد يطربُ فيها . .
لصوت المآذنِ . .
قلتَ : المآذنُ تُسْلِمُ وجهى
لهذى البيوت التى تحتوينى
لتصرفَنى عن بكارة هذى الأميرهْ
تُراكَ انْتحبْتَ . . ارْتحلْتَ . .
تُراكَ هجوْتَ المدينةَ . .
قلتَ : المدينةُ لا تستحمْ
تراكَ انْحنيتَ . .
وأسلمتَ خَطوَكَ عكس اتجاه المدينةِ . .
صوب الأمانِ . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وصوب انحناء المقاصلْ
وحيث يشدُّك وجهُ البراءةِ . .
حيث المآذنُ تشدو عليها البلابل . .

يُدفىء وجهك صوت الملائكِ . .
يفتح قلبك عبد . .
شديدُ بياض الثياب . .
شديدُ سواد الشعر

ويخلع عنك ارتعاش القصائدِ . .
يملأ قلبك شعراً ذكيّاً

بلَوْن النبوءة والأمسيات القديمهْ
فتملأ منه الصحائفْ
وتحظى بسرِّ الفحولهْ

فكلُّ المدائن تسعَى إليكَ
وكل الحدائق تصطف حولك . .
تجمع كل القلوب إليكْ
وتلتف حولك كل الهداهد
تقص عليك حكايا الأميره
فتلبَسُ تاج الإمارهْ
ويؤتى بعرش الأميره

ويأتيك وحى الرؤى فى قصيدهْ
يزُفُّ إليك البشارهْ
لتفتحَ فى الصبح هذى المدينهْ
وتغزوَ كلَّ الذين يرومونَ . .
قتلَ القصيدهْ

فمُدَّ يديْكَ . .
إلامَ انتظارُكَ ؟ . .
أنت مخلِّصُ هذى المدينةِ . .
أنتَ نبىُّ القصيدهْ

إلامَ انتظارُكَ ؟ . .
مدَّ يديكْ

٢ ــ تفعيلتان للمدينة

. . أنا بخيرْ
وكل أشعارى بخير
أُقسمُ بالأرصفةِ الملجأْ
أنا بخير
وكل أفرادِ المدينهْ
الموتُ كلهُ بخيرْ
والجوع كلهُ بخيرْ
وكلُّ ثورتى بخيرْ
أسيرُ فى شوارعِ المدينهْ
والعن الشوارعَ ، البيوت ، والأماكنْ
وفى المساءْ
أحنُّ للأرصفهْ
فإننى أحب لون الليل
تعرفُنى كل دواب الليل
أحفظُ أصوات طيورِ الليل
حينئذٍ أقاومُ البرودهْ
مختبئاً تحت النوافذ
والعنُ الذين يركنون للنساءْ
ثم على امتزاج أصوات الطيور . .
بالغطيطِ والشخير

يحلو لىَ المنامْ
أصحو على صوتِ الملاعقْ
أذكرُ صوتها القديمْ

وعندما يُلقون باقى الأطعمهْ
أكونُ حاقداً على القططْ
ساعتَها . . تلفِظُنى الأرصفهْ
وأُعلنُ انفراجَ خُطوتى
متّجهاً . . نحو ابتلاع خطوتى
أواجهُ الموتْ

حتى إذا استثارنى
أُطلِقُ تفعيلةً

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تداعبُ المدينةْ
تغافل الموتْ
مخبّئاً تفعيلةً مقاتلةْ
ثم أفاجئُ المدينةْ
أُطلقها ، فإنها ستحملُ المدينةْ
تقلبُها رأساً على عقبْ
إلا الطيورْ

٣ ــ الغناء ليس للمدينة

المدينةُ لا تستطيعُ احتمال القصائدِ . .
تقرأُ فى سورة العُسْر بالليلِ . .
ثم تفتش عن لُقمة النثر فى الضحى
تشتكى ثورةَ الطيرِ فى آخرِ النومِ . .
ثم تعبِّر عن خوفِها . .
بإزاء ارتكاب القصائدِ . .
فى موكبِ الزقزقاتْ
المدينةُ لا تستطيع سماعَ الغناءِ . .
ولا تستطيع احتمال الأفاعيلِ . .
وسْط التفاعيلِ . .
لا تستطيع احتمال الحقيقةْ

لمدينةُ لا تستطيعُ احتراف العفافِ . .
يعُ أنوثتَها للذى يطرق البابَ . .
متشحاً بجلالِ الذكورةِ . .
منتشياً بانكسارِ الأنوثةِ . .
مى على ناهديْها الثمنْ
فنةً من حطام الزمنْ
م تُطعمُ أطفالها من بقايا الأنوثةِ . .
فظ أطفالُها الجائعونَ . .
مُسوخَ الطعامِ . .
يُدركُ أطفالُها أنهُ لا محالهْ
ل يليقُ بأطفالها الجائعين البكاءُ . .
وهل يقبلُ الرافضون الثمالهْ !!
م يطعنُ أطفالُها
، نقاء السلالهْ
لمدينةُ لا تستحقُّ القصائدَ . .
دأ أبناؤها الشعراء النشيدَ . .
فتظهر كاذبةً فى الأناشيدِ . .
سكتُ أصواتُهم فجأةً . .
وتضيقُ الحناجرُ . .
المدينةَ لا تستحقُّ القصائدَ . .
لا تستحقُّ الغناءْ

القاهرة : عبد الناصر عيسوى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تجديد ذكرى طه حسين

عبـد اللـه خـيرت

يأتى مهرجان طه حسين الذى تقيمه جامعة المنيا منذ خمسة عشر عاماً ، حدثاً ثقافياً هاماً هذا العام ؛ حيث يوافق الذكرى المئوية للرجل الذى شغل الناس طويلاً ، وجعلهم يعيدون النظر فى كثير من مسلماتهم ؛ حين حرك بحيرة التراث الساكنة التى ما تزال تمور إلى هذه اللحظة . كما أن المهرجان تحول ـ بتكرار التجربة ومرور الوقت ـ إلى تجمع ناجح تتعدد فيه الأنشطة ويشارك فيه كثير من المبدعين والمفكرين العرب ، وتوزع فيه شهادات تقدير وجوائز ويُدعى إليه كضيوف شرف مفكرون بارزون لهم دورهم فى مسيرة الفكر العربى . ومن المهم كذلك أن طه حسين بعد هذه السنوات ، لم يعد يُقدم كظاهرة خارقة ، ويكتفى بمدحه وتذكير الشباب بمواقفه الجريئة ، وإنما أصبح ، فى ظل الاحتكام إلى المناهج الجديدة ، يخضع للدراسة الموضوعية التى تكشف جوهر أفكاره وتضعه كمجدِّد فى مكانه المناسب من مسيرة الثقافة العربية الحديثة .

وكان ضيف الشرف فى هذا العام المفكر العربى البارز الدكتور ناصر الدين الأسد ، وهو رجل امتدت صلته بطه حسين فترة طويلة ، وقد بدأت علاقته به حين حصل الدكتور الأسد على جائزة طه حسين التى رصدها للأوائل من طلاب قسم اللغة العربية فى جامعة القاهرة ، وكان الدكتور الأسد أول من حصل عليها إذ كان ترتيبه الأول ، وحتى هذا الوقت ، كما يقول لم يكن قد عرف طه حسين ، ولكنه ارتبط به بعد ذلك ارتباطاً شديداً وعمل معه فى الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية ، وكان يزوره دائماً .

« . . يسعى إليه حين لم يكن يجد مكاناً يجلس فيه لازدحام الحجرة بالزائرين ، وظل يلازمه إلى قبيل وفاته حين أصبح لا يجد معه فى الحجرة غيره . . » .

والبحث القصير الذى ألقاه الدكتور الأسد جاء ، بسبب هذه العلاقة ، وثيقة هامة تكشف فكر طه حسين وشخصيته ، ولم ينس التلميذ وهو يعدد مجالات تفوق العميد ، أن يركز على نقاط لها دلالاتها الواضحة ؛ فعندما صدر كتاب ناصر الأسد « مصادر الشعر الجاهلى » الذى ناقش فيه بعض آراء طه حسين كما جاءت فى كتابه « فى الشعر الجاهلى » فوجىء الأسد بالدكتور طه حسين يدخل عليه بدون استئذان :

« . . ومعه سكرتيره ، فلما أجلسه خرج وبقى الأستاذ وحده ، وكان حينئذ رئيس اللجنة الثقافية الدائمة لجامعة الدول العربية ، فاندفع ينقد الكتاب نقداً عنيفا ويجهّلنى تجهيلاً جارحاً ، دون أن يترك لى فرصة للرد أو الدفاع . . » .

وبعد أسبوع واحد من هذه الثورة العنيفة ، فوجىء الأسد مرة أخرى بطه حسين يدخل عليه :

« . . فأثنى على الكتاب وما فيه من آراء ، وعلى جهد مؤلفه ومنهجه ، وأشار إلى أن التلميذ يستحق غير ما سمع فى المرة الأولى ، ومازال فى حديثه إلى أن طابت نفس التلميذ وهدأ باله . . . »

لم يفسر الدكتور ناصر الأسد هذين الموقفين المتفاوتين من طه حسين ، حتى حين سئل فى نهاية المهرجان لم تكن عنده إجابة ، ولكنه فى بحثه عن ذكرياته مع أستاذه وضع يده على سبب جوهرى هو طبيعة طه حسين التى حين نعرفها لانفاجأ بأمثال هذه المواقف .

« لم يكن طه حسين يُقصّر فى الرد على ناقديه أو مساجليه ، بل كان يزد الصاع صاعين ويزيد ، وكان هو الذى يبدأ الهجوم أحياناً ، حتى حين كان أحد الكتاب يتودد إليه ، طمعاً فى ملاينته ، وأملا فى كلمة ثناء على كتاب أصدره . . وقد كتب فى مقال عنوانه « أحسنْ إليَّ وأنا مولاك » يقول : فى صيف السنة الماضية أهدى الأستاذ الرافعى إليَّ كتابه رسائل الأحزان فى فلسفة الجمال والحب ، وكتب إليَّ يسألنى أن أقول فى كتابه شيئاً ، وأن أحسن كما أحسن الله إليّ ، وألاَّ أنسى نصيبى من الدنيا ولا أبغى . وإذاً فقد كان يسألنى أن أثنى عليه ، وقد كان على هذا الثناء حريصاً ، وقد كان يدبّر فى نفسه أننى آمن إن أجبته إلى ما يريد ، فأثنيت وأطريت ، وأنى معرّض لحرب شعواء إن أبيت عليه الثناء والإطراء ، وكان فى كتابه أقرب إلى التضرع والتوسل منه إلى الوعيد والنذير . وقد ضحكت من كتابه هذا وأهملته فيما أهمل ، ثم نقدت فلسفته فى الجمال والحب ، فأغضبه هذا النقد ، ويظهر أنه أغضبه إلى حد أفقده رشده وصوابه . . » .

ولا ينفى هذه الحدة عند طه حسين أو حتى يخفف منها أن الدكتور الأسد يجعلها ظاهرة عامة فى نقد هذا العصر ، حين يقول إن طبيعة النقد آنذاك كانت تتصف بالتعبير اللاذع والهجوم العنيف والاقتصار على ذكر المساوىء وحدها وإغفال المحاسن بل تشويهها . . لأن طه حسين كان يضيف إلى كل ذلك سخرية عجيبة تثير أكثر الناس هدوءاً .

وقد تحدثت باختصار عن بحث ناصر الدين الأسد كنموذج للبحوث التى ألقيت فى هذا المهرجان ، ولكن أغلبها مثل هذا البحث كان يتسم بالموضوعية والنظرة العميقة لظاهر الأشياء .

ولم تكن آراء طه حسين وحدها هى التى ركزت عليها أبحاث هذا المهرجان ، وإنما كانت أفكار ناصر الدين الأسد وآراؤه النقدية موضوعاً لأبحاث جادة ألقيت كذلك فى هذا المهرجان ونوقشت .

وكانت جوائز هذا العام من نصيب الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين الذى تربطه بأفكار طه حسين ومواقفه ، كتاباته الجريئة وشجاعته ورؤيته العميقة لهموم الشعب العربى . أما فى الإبداع الشعرى فقد حصل على الجائزة الشاعر محمد عفيفى مطر ذلك الفنان المتفرد المشغول بالشعر وحده ، والذى صدرت له تسعة دواوين كان يستحق من أجلها جوائز كثيرة قبل هذه الجائزة . وحصل الصديق الفنان إبراهيم أصلان على جائزة الرواية عن روايته « مالك الحزين » التى طبعت ثلاث مرات فى عام واحد ، والتى تدرس فى بعض الجامعات العربية .

أما الأمسيات الشعرية ، فكانت صورة أخرى من أمسيات الشعر فى مربد بغداد ومعرض الكتاب الدولى بالقاهرة . . وهذه الصورة لاتتشابه فى أن أغلب المنشدين هنا هم الذين ينشدون هناك فحسب ، وإنما كذلك فى شغف الشعراء الدائم بالوقوف أمام الجمهور أطول فترة ممكنة ونسيانهم لأنفسهم وقسوتهم على المستمعين ، لأن الشعر ، إلا القليل منه ، كان شديد التواضع . وإذا أمكن التسامح مع بعض الطلاب والمبتدئين ، فكيف يرضى الآخرون لأنفسهم أن يُنشدوا شعراً أنشد من قبل كثيراً ؟ لقد تعبت من تكرار هذا الكلام فى كل مناسبة هنا وفى مجلات أخرى ، ولكن « من يقرأ ومن يسمع » ؟ كما يقول الجبرتى ، وليس الذين ينظمون هذه الأمسيات هم المسئولون بالطبع عن تواضع مستوى الشعر ، ولكن هذه مسئولية الشعراء .

تلك بعض أنشطة هذا المهرجان الثقافى الناجح الذى تحملت كلية الدراسات العربية بجامعة المنيا مسئولية إقامته ونجاحه ، ولعل من أسباب هذا النجاح ، بجانب الجهود الكبيرة التى بذلها الأساتذة ، أن مدينة المنيا لم تلوث بعد ، ولم تمتلىء شوارعها بالتراب وأبواق السيارات وزحام الناس ، كما أن السلوك المتحضر التلقائى لطلاب وطالبات الجامعة كان سبباً آخر من أسباب هذا النجاح .

ولا أدرى لماذا لا تقوم الجامعات الإقليمية الأخرى وهى كثيرة بإقامة مهرجانات مماثلة بعيداً عن ضجيج القاهرة الذى لم نعد نسمع فيه بعضنا ؟ ولماذا لا يكلف الطلاب بكتابة بحوث تلقى فى هذه المهرجانات تحت إشراف أساتذتهم بهدف إعدادهم وتدريبهم .

وبقدر ما أسعدنى أن تكون جوائز مهرجان طه حسين هذا العام من نصيب أحمد بهاء الدين ، وعفيفى مطر ، وإبراهيم أصلان ، إلا أننى ظللت أتساءل طوال الوقت : كيف تم اختيار هؤلاء الأساتذة الجديرين بالتقدير والذين لا يختلف أحد على أحقيتهم للتكريم ؟ قال لى الدكتور عبد الحميد ابراهيم إن هناك لجنة من اثنى عشر عضواً هى التى تختار الفائزين . لا بأس . . ولكن أعتقد ـ وأظننى لست وحدى ـ أنه من الضرورى أن يعلن عن الترشيح لهذه الجائزة قبل المهرجان بوقت كافٍ حتى يتقدم لها من يريد ، فهكذا يحدث بالنسبة للهيئات الأخرى ، ويمكن لهذه اللجنة أن تكتفى فقط بترشيح ضيف الشرف للمهرجان . ولعل جامعة المنيا تراعى هذا الشرط الضرورى فى السنوات القادمة .

الذى أدهشنى كضيف فى هذا المهرجان ، فيما بالك بالمشاركين والمنظمين الذين استغرق عملهم شهوراً ؟ أننى لم أقرأ شيئاً عنه بعد عودتى إلى القاهرة إلا بضعة أسطر هنا أو هناك ، كأن أصحاب هذا الجهد الكبير كانوا يصرخون فى وادٍ ، وكنت أظن أننى سأجد الناس مشغولين مثل بهذا الملتقى الثقافى الكبير الذى تحرص جامعة المنيا عليه عاماً بعد عام ، وإلى الآن لا أعرف فإذا كانت الصفحات الثقافية والمجلات ووسائل الإعلام لا يلفت نظرها حدث مثل هذا الحدث ، فما الذى يمكن أن يلفت النظر ؟ .

القاهرة : عبد الله خيرت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

متابعـــــات

وهو فيلمه الأول ، وقد عرض قبل ذلك فى مهرجانات كان وميونيخ وبرجامو ونوزنتو وقرطاج وأدنبره وفاليسيا والاسكندرية ونال عدة جوائز من بعض هذه المهرجانات وبخاصة فى مهرجان فاليسيا والإسكندرية .

سرقات صيفية :

يحاول يسرى نصر الله فى عمله الأول أن يقدم شيئا جديدا متميزا شكلا ومضمونا . . شيئا مختلفا عما تقدمه السينما المصرية بشكل عام . . فهو من أفلام السينما البديلة التى يحاول تقديمها المخرجون المصريون من الشباب . . ومن هذه الأفلام فيلم « الطوق والإسورة » للمخرج خيرى

سرقات صيفية للمخرج المصرى يسرى نصر الله

توفيق حنا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مهرجان لندن هو بحق مهرجان المهرجانات السينمائية الدولية لأنه يأتى فى ختام المهرجانات فى شهر نوفمبر من كل عام . . وتقوم لجنة فنية من النقاد الانجليز من معهد الفيلم البريطانى (BFI) ومن الصحف والمجلات الانجليزية باختيار أحسن الأفلام التى عرضت فى المهرجانات الأخرى . وهكذا أرى فى مهرجان لندن حسابا ختاميا فنيا للإبداع السينمائى العالمى .

كان فيلم الافتتاح هو الفيلم الأمريكى « الأشياء تتغير » للمخرج الأمريكى دافيد ماميت

وكان فيلم الختام هو فيلم « من أجل الملكة والوطن » للمخرج الانجليزى مارتن ستيلمان لندن وهو فيلمه الأول . وقام ببطولته الممثل الأمريكى الأسود ونزل واشنطن الذى قدم لنا شخصية الزعيم الإفريقى الأسود ستيف بيكو فى فيلم « صرخة الحرية » للمخرج الانجليزى ريتشارد اتنبرا .

وبين البداية والنهاية (من ١٠ إلى ٢٧ نوفمبر ١٩٨٨) عرض نحو مائة وخمسين فيلما روائيا طويلا وما يقرب من من أربعين فيلما قصيرا وتسجيليا ووثائقيا ومن أفلام الفيديو وأفلام الرسوم المتحركة .

ومن البلاد العربية لم يعرض المهرجان إلا فيلما واحدا هو الفيلم المصرى « سرقات صيفية » للمخرج المصرى الشاب يسرى نصر الله (من مواليد ١٩٥٢/٧/٢٦) بشارة وقد عرض فى مهرجان لندن السابق (نوفمبر ١٩٨٧) . .

ويعدّ هذا الفيلم بداية طيبة للمخرج يسرى نصر الله الذى كتب أيضا سيناريو الفيلم . . ويبشر بميلاد مخرج مصرى جاد يرتبط ارتباطا حميا بهموم بلده ويحاول عن طريق التشخيص الصادق أن يجد حلا لأزمات الانسان فى مصر . ومخرجا لكل ما يعانيه فى علاقاته الاجتماعية وظروفه السياسية والحضارية من إحباط وقهر وتمزق . . . ومن شعور بالغربة والاغتراب بدفعه أحيانا إلى الهجرة . . سواء أكانت هذه الهجرة إلى خارج الوطن أم كانت هجرة إلى الداخل . . داخل الذات . . ويعيش منفيا فى وطنه . .

وفى حوار الدكتور وفيق الصبان مع المخرج (نشرة نادى السينما) فى ١٢/٢٦/ ١٩٨٨) يقول يسرى نصر الله ردا على سؤال حول موضوع الفيلم وسر اختياره :

« عندما عدت من بيروت إلى مصر (عام ١٩٨٢ بعد أربع سنوات كان يعمل أثناءها ناقدا سينمائيا فى جريدة « السفير ») كان فى رأسى أكثر من فكرة لسيناريو .. وذهبت إلى قريتنا (فى « أكباد » بمحافظة الشرقية حيث صور الفيلم) ورأيت أنقاض البيت القديم والأراضى الزراعية المهجورة .. والغيطان الصامتة والجدران المهدمة ..

رأيت دمارا معينا أحدثته علاقات الملكية الموجودة التى تجعل الفلاح أكثر فقرا وصاحب الأرض أكثر غنى .. بل رأيت ما هو أفجع من ذلك .. لقد اختفى الفلاحون من الريف .. والزراعة لم تعد شغلهم الشاغل ..

سألت من حولى .. ماذا جرى ؟

لقد كان حلم مجتمعنا بأكمله التوزيع العادل للثروات .. كيف دمّر هذا الحلم ولم يبق منه إلا القليل ؟ ومن هنا جاء اسم فيلمى « السرقات الصيفية » . فالناس كلهم يسرقون ، وليس ياسر وحده (وياسر هو الطفل بطل الفيلم الذى نرى أحداث الفيلم ووقائعه من وجهة نظره .

وعندما سئل عن رأيه فى « السينما البديلة » قال « أعترف أن هناك نماذج كثيرة من هذه السينما شجعتنى على عمل فيلمى وأشعرتنى أنى لست وحدى .. فيلم محمد ملص « أحلام مدينة » وفيلم نورى بو زيد « ريح السد » و « عرس الجليل » لميشيل خليفى » (عرضت هذه الأفلام فى مهرجان لندن فى السنوات السابقة) .. وأفلام يوسف شاهين وشادى عبد السلام .. كل هذه الأفلام تعبر عن شىء واحد .. من أناس استطاعوا أن يخلقوا ظروفا بأنفسهم » .

وعندما سئل عن شباب المخرجين فى مصر قال : « أحب أفلام خيرى بشاره ومحمد خان . وأنا أعرف جيداً أن هذين المخرجين بنحتان فى صخر » .

وفى حديث مع المخرج أجراه الناقد السينمائى أمير العمرى (المقيم فى لندن) ونشر فى جريدة « العرب » بلندن يقول المخرج :

« موضوع الفيلم عصر عبد الناصر .. وبخاصة منذ بداية الستينات وبعد صدور القوانين الاشتراكية عام ١٩٦١ وانعكاسات سياسية عبد الناصر الاشتراكية على حياة أسرة اقطاعية ومصيرها وتبدأ أحداث الفيلم من يوليو ١٩٦١ وقت إعلانه للقرارات الاشتراكية .. ويصور الفيلم مواقف أفراد هذه الأسرة والمحاولات المتعددة للتكيف بالوضع الجديد .. حتى تصل إلى بداية الثمانينات ..

كل هذه الأحداث نراها من وجهة نظر الطفل ياسر (١٠ سنوات وقام بدوره الطفل أحمد محمد أحمد وكان الاداء موفقا إلى أبعد حد .. ولعله فاق بعض الكبار) ابن هذه الأسرة والذى يبدو انه كان متمردا منذ طفولته على أوضاع وأنماط حياة هذه الأسرة » .

تقع احداث الفيلم فى البيت الريفى لهذه الأسرة الإقطاعية صيف عام ١٩٦١ .. زمن صدور قوانين يوليو الاشتراكية .. وكانت هذه الأسرة الإقطاعية تحتفل بعيد ميلاد الطفل ياسر (الذى يمثل أحيانا المخرج فى حياته الخاصة وكأن الفيلم ترجمة ذاتية سينمائية على طريقة يوسف شاهين الذى عمل المخرج مساعداً له فى عدة افلام ويقول يسرى نصر الله فى حديثه مع أمير العمرى :

« بداية الفيلم عيد ميلاد ياسر .. وكانت أسرتى يوم ميلادى تواجه اعبارا عصبياً وهذا هو المشهد الوحيد المستمد مباشرة من حياتى » .

وحتى يبعد المخرج شبهة السيرة الذاتية يقول :

« هناك سمات عند ياسر لم تكن عندى .. لم يكن لى أصدقاء من الفلاحين .. كل أصدقائى من المدينة .. والعلاقة بين ياسر وليل (ابن الفلاحين) علاقة منبتة تماما .. ولكن شخصيات الفيلم أعرفها جيداً .. الجدة العجوز هى أم صديق لى وليست جدتى .. وكانت بكماء ومعجبة بملكة بريطانيا .. » ثم يقول : « أردت أن أحكى ما جرى للعائلة مع تغير الملكية والعلاقة بالأرض » .

ويبرر المخرج اختياره لزمن أحداث الفيلم وموضوعه قائلاً : « أنا أعشق تناول لحظات التغير » وأنا أضيف ؛ وبخاصة عندما يكون لهذا التغيير نتائج مباشرة ومدمرة لكل أفراد هذه الأسرة الإقطاعية التى ينتمى إليها المخرج .. ويقول المخرج وكأنه يتحدث عن نفسه لا عن الطفل بطل الفيلم : « إنى أحكى عن طفل يعانى من الوحدة الشديدة طوال الوقت نتيجة اصطدام رغباته مع الأعراف والتقاليد المرتبطة بالملكية والنتيجة انه يتمرد بشكل ما » .

ويعترف لنا بصدق انسانى برغبته فى الكشف عن حقيقة شخصياته وواقعها الاجتماعى والنفسى :

« ان أفراد العائلة عندما يكونون معا يكذب بعضهم على بعض .. وقد أردت أن أضبطهم وهم يمارسون الكذب » والفيلم يصور عن طريق الحوار وعن طريق اللحظات والزوايا الماهرة والماكرة والجريئة أيضا (قام بالتصوير الفنان القدير رمسيس مرزوق .. ولعل التصوير هو أجمل وأبلغ ما فى هذا الفيلم) .. يصور مظاهر متعددة ومتنوعة لفساد العلاقات الانسانية بين أفراد هذه الأسرة الإقطاعية وبدا هذا الفساد بصورة صارخة بعد صدور قوانين يوليو الاشتراكية لهذا كانت ذروة الفيلم هى لحظة خطاب عبد الناصر فى ١٩٦٧/٧/٢٦ .. معلنا هذه القوانين الاشتراكية .

لقد بذل المصور رمسيس مرزوق جهداً فنيا فى تصوير أحداث الفيلم وشخصياته .. ولم تخرج الكاميرا خارج البيت الذى تقع فى داخل جدرانه أحداث الفيلم ووقائعه ويبرر المخرج لماذا لم تخرج الكاميرا الا فى لحظات قليلة من البيت فيقول :

« المنزل سجن .. والولد مسجون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

داخل هذا المنزل .. وهو عندما يخرج يتوجه مباشرة إلى السباحة فى الترعة .. إنها اللحظة الوحيدة التى تمثل له نوعاً من التحرر ، وهو مستعد لدفع ثمن هذه اللحظة ، أى الإصابة بالبلهارسيا » — وكأنه يريد أن يسجل لحظات الحصار لهذه العائلة ولأفرادها » .

قدم فيلم « سرقات صيفية » فترتين من أخطر فترات ثورة يوليو .. فترة الستينات .. (صيف عام ١٩٦١) وفترة الثمانينات (صيف عام ١٩٨٢) ويصور هذا التناقض الواضح بين هاتين الفترتين .. وعن طريق الخلفية يقدم لنا بدايات ثورة يوليو عن طريق رواية « رد قلبى » للروائى يوسف السباعى .. ونحن نستمع إلى إحدى شخصيات فيلم « رد قلبى » يتحدث عن ثورة يوليو فى بداياتها .. ووفّقت موسيقى عمر خيرت فى تلوين جو الأحداث والواقع الاجتماعى وكان اختيار الأغانى المصرية والأجنبية موفقا إلى أبعد حد وبخاصة اختيار أغنية محمد عبد الوهاب « خايف أقول اللى فى قلبى » ولو أن المخرج قال كل ما فى قلبه .. عن طريق الكلمة والصورة والشخصية ! .. والطبقة الاجتماعية (الاقطاعية) التى صورت الأحداث والوقائع من وجهة نظرها .. هذه الطبقة التى قامت ثورة يوليو للقضاء لا عليها — بل على سلطتها وسلطانها .. وعلى تذويب الفوارق بينها وبين الفلاحين .. والواقع ان هذه الطبقة عادت إلى الظهور بشكل صارخ فى عصر الانفتاح فى السبعينات .. ونحن نلمس سخرية المخرج فى هذه الاعلانات التليفزيونية التى قصد بها تصوير الواقع المصرى فى هذه الفترة ...

ويبدو لى فيلم « سرقات صيفية » وكأنه وقفة سينمائية على الأطلال .. بعد أن رأى المخرج أن البيت الكبير أصبح كومة من تراب .

وينتهى الفيلم بسفر « ليل » (ابن الفلاحين وصديق ياسر القديم) إلى العراق . وكما بدأ الفيلم بحادث غرق أحد الفلاحين (وقد توقفت الكاميرا طويلاً عند هذه الكارثة الافتتاحية) ينتهى وقد تهدم البيت الكبير .. وبيعت الأرض إلى أحد تجار بور سعيد (عصر الانفتاح) .. ويرى المخرج كل هذه الأطلال فى سبتمبر ١٩٨٢ ويذكر عبد الناصر .. ويتوالى سيل الذكريات .. والاعترافات .. ويستمع إلى شريط الصوت لفيلم « رد قلبى » وتغلق منى (منحة البطراوى) التليفزيون عندما يكون الحوار عن الفساد والإقطاع بين على (ابن الجنايني) وأحد الضباط الأحرار ... ولكننا نشاهد فى مقهى القرية مجموعة من الشباب والجنود أمام التليفزيون لمشاهدة فيلم « رد قلبى » .. ويصل الحوار إلى ضرورة الثورة ونستمع إلى أحدهم يقول ساخرا « أنت من الأحرار يا على ؟ » .

ولقد استعان المخرج بمجموعة من الممثلين الجدد ولكنه أسند أدوار الفلاحين إلى ممثلين محترفين (مثل شوقى شامخ فى دور سعيد الذى كان يمثل الثورة فى القرية ولعل هذه المجموعة من الممثلين الجدد قد أضافت لمسة واقعية تسجيلية إلى الشكل الفنى لهذا الفيلم .. الذى أرى فيه مرثية تمتلىء بالحزن مشهد موت الجدة (ليلى بليتيس) والكاميرا تتوقف طويلا عند وجه الجدة ونحن نستمع إلى أغنية « خايف أقول اللى فى قلبى » ... كما توقفت الكاميرا فى البداية عند حادثة الغرق .

وعندما عرض فيلم « سرقات صيفية » فى إحدى قاعات مسرح الفيلم القومى ( ) تابعه الجمهور الذى امتلأت به القاعة فى اهتمام وتشوف .. وعندما انتهى الفيلم دوت فى القاعة عاصفة من التصفيق تؤكد مدى اعجاب المشاهدين من النقاد ومحبّى الفن السابع من كل انحاء العالم بهذا الفيلم .. وافتقدنا جميعا المخرج الذى لم يتمكن من الحضور .. ومن تقاليد مهرجان لندن أن يقوم بعد نهاية عرض أحد الأفلام حوارا بنّاءً بين المخرج وجمهور المشاهدين — ولكنى سعدت حقا بهذا الاستقبال الحار الصادق الذى قوبل به الفيلم المصرى « سرقات صيفية » ... وهو العمل الأول للمخرج المصرى يسرى نصر الله .

*

يقول يسرى نصر الله فى حواره مع الدكتور رفيق الصبان :

المعادلة الصعبة هى كيف تدفع الجمهور لرؤية فيلم دون نجوم . أنا لا أريد من جمهورنا أن يحب فيلمى ولكنى أتمنى أن يراه فقط » .

*

لقد أحببت فيلم « سرقات صيفية » لأنه — وهذا ما استوقفنى ودفعنى إلى كتابة هذه الكلمات — فيلم مختلف — وجديد — وأرجو أن يستمر المخرج الشاب فى ابداع أفلام أخرى — جديدة ومختلفة .. شكلا وموضوعا ومضمونا » .

القاهرة : توفيق حنا

ح

قـــراءة فى روايـــة الغـــد والـــغضب : بيـــداء الـــذات الـــرومانسيـــة

حســـين عـــيد

صدر للكاتبة المغربية المعروفة خناثة بنونه رواية « الغد والغضب » عن دار الشؤون الثقافية ببغداد . للكاتبة رصيد من الأعمال الأدبية منها « النار والاختيار » و« العاصفة » فى مجال الرواية ، « والصورة والصوت » فى مجال القصة القصيرة .

فماذا عن روايتها الجديدة « الغد والغضب » .

هدى (الأنا/الذات) .

هدى فتاة نالت البكالوريا وفى طريقها إلى الجامعة للالتحاق بكلية الآداب . وهى قصيرة ، ليست فاتنة ، متقدة الذهن ، أو كما تصفها أمها « من صغرك كنت متعقلة أكثر من اللازم ، بل كنت كأنك تحملين قنوط الكبار » وهى أيضا مثقفة ، وكأنّ الثقافة « سلاح من لا سلاح له » كما يرى أبوها ، الذى يمتلك تأثيرا طاغيا عليها ، تحاول أن تتحرر منه . لها أخت هى عائشة ، طويلة ، جميلة ، متزوجة ، تمثل نقيضا لها ، وكأن الثقافة لا تتسق مع الجمال . ولها أيضا صديقة طفولة واحدة شبّت معها ، هى سلمى ، وتعدّ جانبا مكملا لها .

لهدى هم أساسى ، فهى تقول « علىّ أن أستخلص من أنا » (أو هكذا يخيل للقارىء) ، لأن الأنا/الذات لديها تمتد وتتشعب ، وتستشرى إلى كل أرجاء الرواية ، طارحة رؤيتها السوداوية للحياة من خلال ضمير الأنا/المتكلم ، رغم أن صديقتها سلمى تنصحها أكثر من مرة أن تتخفف من سوداويتها قليلا ، لكنها تظل أبدا ، تتسربل فى صمت قائم ، سادرة دائما فى تضخيم ذاتها .

إزاء عالم مغلق كهذا ، يصبح الواقع الخارجى مجرد وهم وسراب خادع لا تهتم به هذه الذات الراوية ، وبالتالى لا يكون فى رواية كهذه ، تتابع للأحداث ، بل هى الذات ، تتمدد دائما وأبدا ــ فى شتى الاتجاهات ، بفعل خيال جامح ونظرة قاتمة ، وعندئذ لا يحظى المكان (الخارجى) أيضا بأى اهتمام ، حتى لتكاد الرواية تفقد خصوصية حدوثها على أرض المغرب .

والكاتبة لا تتيح أبدا الفرصة لبطلتها للخروج من صومعتها الذاتية ، والاندماج فى العالم الخارجى ، فإذا ما أتيحت لها فى الرواية فرصة ما ، فسرعان ما تجهض الكاتبة هذه الامكانية . « حدث ذلك أكثر من مرة : الأولى عندما دعاهم أبوها لقضاء فترة على البحر ، فجاءت مصادفة ــ بجوارهم أسرة ثرية ، وسرعان ما عمل هذا الجمال والثراء عملهما فى أبيها ، فحدث تقارب معها ، أفاد منه الأب فى اختلاس النظر إلى زوجة هذا الجار « الجميلة » ، كما سبق له أن اختلس النظر إلى الجميلات على الشاطىء . ورغم أنها تدين ازدواجية هذا الأب ، فإنها تلتمس له العذر » فلو كان يملك فى زوجته جمالا فتانا ، لكانت دناءته الآن قد خفتت « لكنها فى ذات الوقت لا تتسامح معه بل تلجأ إلى التعميم (الذى لم تقدم ما يقنعنا به) حين تقول « كنت أحس بنقمة : أى جيل هو ! إنه لا يتلاءم مع أية ظاهرة ! فكل ذنوبه ومباهجه يعيشها فى الظلام ، وكان يرهب الصباح ! » هكذا هى أذن ، تحاكم الآخرين من عليائها استناداً إلى تعميمات غير مبررة ، ولعل موته فى نهاية الرواية كان عقابا اخلاقيا لسقوطه فى نظرها .

ويتكرر الشىء نفسه ثانية حين أحبّت هدى أطفال هؤلاء الجيران (بنبل) : « برفقة صغارهم ، عرفت النشوة البكر ، والجذل البرىء ، والحركات والقفزات والتسكع الباسم . وكانوا يتحلقون حولى فى الجلسة والخطى ، كأننى قائدة سرب من الخالدين . وهاته الرفقة أخرست فىّ مؤقتا الهواتف الداخلية » . هنا لا تدخل القارىء إلى هذه التجربة (الحيّة) . بل تعبرها سريعا بأسلوب سردى يوغل فى بلاغة لغوية مفتعلة ، فهى لا تقنع القارىء بتفاصيل هذه العلاقة ، بل تعمد إلى تعميمات ، بينما

تـدمـج عشـرات الصفحـات لإيضـاح هواجسها وخواطرها وأفكارها على مـذبح الأنا المتضخمة .

وتكـرر الشيء ذاته مـرة أخرى عنـدما التحقت بالجامعة ، فاذا بها تواجه بصخب الحياة فى المدينة الجامعية ، وهى حياة جديدة بالنسبة لها ، لكنها بدلا من الدخول الى هذه التجربة الغنية وتقديمها للقارىء ، تكتفى بمسّها مسا سرديا سريعا ، بعـد أن تقدم زميلة جديدة جميلة متحررة هى هند ، حين تقـول « وهنـاك غيـرهـا . . . جمـاعـة من العطشى : ليلى ، محسن ، محمـد ، سناء فاطمة ومن لا أعرف اسمهم » .

إن هـدى منطوية أبدا عـلى نفسهـا ، متحفظة غالبا ، تتخذ لها لغة رصينة تتصنع الحكمـة ، لكنهـا فى الحقيقـة أسيـرة عـالم رومانسى ، خيالى ، غامض ، قد تتناقض فيه مع نفسها ، فمثلا ، جين تحكى لها هند كل شيء بصراحة عن علاقتهـا بمحسن ، إذا بهدى تقشعر من كـل الوضـوح وتلك الأنباء الضاجة بالفحش ، ولكن الخـلاعة هاته قد تكون طـريق من لا طريق لـه » ! وهى حين تقشعر تناقض نفسها لأنها قررت من قبل « لن أكون غير وجه صريح يعيش حقيقته بوضوح كالصغار » .

والكـاتبة لا تتيـح لهدى أن تـدخـل فى تجارب طبيعية ، بـل هى تعتمد المصـادفة نبراسا لها ، ولا تهتم ببناء أى تجربة ــ إذا اتاحت لها الفرصة ــ بشكل منطقى يقنـع القارىء ، فمثلا علاقتها بمحسن ، زميـل المدينة الجامعية الذى سبق أن قابلته صدفة مع جيرانهم على الشاطىء ، انتقلت معـه فجـأة من الزمـالـة إلى العشق . . هكـذا شاءت الكاتبة ، رغم أنه عـلى علاقـة مع هند ! ، ولنتتبع التجربة كيف تمت : تركت هدى محاضرة ما بحثا عن سلمى لتحتمى بها من أحلامها ، فلم تجدها (لأنّ الاستاذ لم يحضر فخرجت هى وسعد) ، فاذا بهـا عندئذ ــ بالمصادفة ! تقابل محسن ، فينتهى الأمر بهما إلى ممارسة الجنس (!) .

وهى رغم هـذا ، تتعامـل مع الـواقـع بحسّ اخـلاقى ، فلنر مشـاعـرهـا بعـد التجربة : « وحينما وعيت ، هالنى أن أكون من أنا . . ذليلة ملتهبة ، فى حلقى شحنات لـذة مريـرة ، وفى نفسى استفهام : هـذا الالتهاب الذى أوقده فىّ ما هو ؟ وهى تحاول أن تجـد تبريـرها ، أو تلتمسـه ، باسقـاط مسؤولية ما حدث على العـالم : « ما هـذا العالم ؟ اليس سوى إباحية بنقاب ؟ وكان هذا يوقظ فى ألمـا : فهذا العـالم مالـه ؟ لم يستـتر ؟ حتى إذا ما انكشف كـان وجهـا عاهرا » .

وامتـدادا لهـذا الحس الـرومـانسى ، يتجسم شعـورها بـالغربـة فتقـول « ازداد احساسى بالغربة فى عالم تفسّخ فيه كل شيء « كما تستأثـرها الأسئلة الكبيـرة عن العالم فهى تـرى أن القيـود هى الإحسـاس . . والحـريـة وهم . . ومتى يـدرك الكـل خسارته ؟ ، وأيضـا حين يـدعوهـا محسن لقضاء يومين فى الدار البيضاء ليكونا معا ، اذا بها تسأله « كيف ترى العالم » ؟ فيجيبها « العـالم . . هكذا يحـدث ، لا يهمنى منه نـظامه أو فـوضويتـه . . الست أعيشـه ؟ « فتقول لنفسها من أعـلى برجهـا العالى ــ « هـذا وأمثالـه يباشـرون الجـانب الحسّى منه » ، ورغم تعقيبها تقبل دعوته (!) .

وأيضا يطلق فيها هذا الحس الرومانسى الـرغبة المـطلقة فى الايغـال فى الحياة حتى الموت وهو مـا تؤكده حين انـدمجت مـع محسن : « فانسكبت بين ذراعيه . . ففيهما من الثبات ما يؤكـد أن الابتعاد عن هـذا الـرسوخ ضـرب من التسكع فى الـوهم ، وددت لو اعتصرتنى كل الأيدى ، لو تذوقت كل الكؤوس ، لو جررت رقابا رقابا عدة ، لنصنع الواقع . . الاستسلام . . الاندحار النهائى فالموت » .

هى / الأخرى / ــ

فى مواجهة الأنا / الذات لهدى ، يتدفق فى الـروايـة تيـار مـواز لهـا هـو (هى) / الأخـرى ، وهـذان التيـاران يتقـاطعـان بـاستمرار حتى يتـوحدا فى النهـايـة . هى الأخرى : مدرسة (غير محددة الملامـح ، وغير معروفة الاسم) تقوم بعمل ايجابى ــ هى النقيض لهدى السلبية ــ مع مجموعة من الشبـاب ، « من أجـل تحـريـك الـركـود والالسنة والاطراف والجـو العام للصف ، بالاضافة إلى الجوانب التـربـويـة أيضا » ، وأيضا « ربط الثقافة بالـواقع الاجتمـاعى وصراعاته حتى لا تحدث الفجوة بين الفكر والممارسة بـل يتلاحقـان مع بعض ، حتى اعترف لها المفتش بعد أن شاهـد التجربـة « لقـد أحدثت فى التعليم أكـثر مما تحـاول فرنسا مؤخرا أن تدخله من ثورة على طرقها التعليمية ، وذلك بمحاولة جعل الأستاذ فى الـظل ودفع الـطالب إلى الادوار الأولى فى الفصـول . أنت قـد حـذفت الاستـاذ نهائيا ! » .

فهذه أل « هى » / الأخرى ، هى الوجه الآخر للأنا / الذات لهدى ، فمعها تهـرب إلى حلم ، خيـالى ، مثـالى ، يعـزّ عـلى التـطبيق ، بـدلا من الجنـوح الى داخـل الـذات . وعندمـا يتوحـدان فى النهاية ، لا ينصهـران « فى حركـة جمـاعيـة ، حيث يلتقى الفكـر والفعـل فى عـلاقـة جـدليـة يعكسهـا الفعل الجمـاعى الـذى يـرهص بالتغيير » ــ كما تدعى المؤلفة فى توضيحها الذى أوردته فى نهاية الرواية بل يتكامل ــ فقط ــ وجها الشخصية الرومانسية الداخلى والخارجى ، أو الفعلى والخيـالى ، لهدى ، والذى شاءت الكاتبة أن تجهد القارىء فى البحث عنه ــ بصبر ودأب ــ عبر صفحات روايتها البالغة الطول .

وهنـا لا نملك إلا أن نحـاكمهـا بنفس منطقها الذى أوردته ، عنـدما نـاقشت ال (هى) الأخـرى فى مسـرحيـة واحـد من تلاميذها ، وقالت له :

ــ الم يسبق لك أن أدركت أن الفن ، أو أى لون منه ، قد يتحول فى بعض المرات إلى إجرام ؟

ــ كيف ؟ اجرام !

ــ ضد المجتمعات وضد قضاياها

ــ هل معنى هذا أن . . .

ــ نعم ، والى حد كبير ، فمن ناحية ، يجب أن يستوفى كل موضوع عناصره ، كل الحقائق الفرعية : اسبابه بالذات » .

وحين يعتذر الطالب : لقد كنت سليم النية .

تجيبه المدرسة : هذا لايشفع لك . . .

ونحن أيضا نقول للكاتبة ، مفترضين سلامة نيتها : هذا لا يشفع لك !

القاهرة : حسين عيد

قصـــــة

حكـــايـــات الـــبراءة :

ابراهيـــم عبد المجـــيد

- ١ -

« خطابات العشاق التى طيرها الهواء »

انقطع المطر فإذا بالأرض المغسولة تلمع وتنعكس عليها أشعة الشمس التى احتجبت منذ الصباح . صارت أمواج البحر أقل ارتفاعاً وتهادت فى إيقاع رتيب : وفى الجو رقت الريح فصارت نسمة . برز طفل وآخر ثم ثالث ووقفوا يتطلعون إلى البحر الأزرق الفسيح المترامى أمامهم إلى ما لا نهاية وإلى سفينة بعيدة لا يبدو منها إلا صواريها البيضاء تقف خارج الميناء .

ينتهى شاطىء المكس بلسان صغير يقوم فوقه كازينو « زفير » الشهير وقبل الكازينو وعند أول اللسان مبنى منخفض فوقه لافتة تعلن أن هنا « نادى المجد » استدار الأطفال الثلاثة خلفهم إلى شريط السكة الحديد القديم وإلى المحطة المهجورة وتساءلوا لماذا تبقى هذه الأشياء ؟ لم تعد القطارات تمر من هنا . . وضحكوا وجروا ناحية صندوق البريد الصغير الخشبى المعلق على جدار نادى المجد . ضرب أحدهم الصندوق من أسفل وضربه الآخر من أعلى وضربه الثالث من الجانب فانفتح الباب الصغير . امتدت أياديهم وهم يبتسمون ويتلفتون فى زهو ، فلا أحد الآن فى الطرقات . استطاع أحدهم أن يقرأ بصعوبة أحد المظاريف ويهتف « عليه اسم بنت » وقفزوا من فوق السور الحجرى العريض المنخفض إلى رمال الشاطىء الضيقة . كان من السهل أن يتقدموا فى الماء كثيرا فهم يعرفون الشاطىء جيدا ، ولم تكن هناك فرصة للخوف على ثيابهم فهم حفاة شبه عراة .

ألقى كل منهم ما فى يده من خطابات إلى الماء وجروا فوق الرمال يضحكون ثم وقفوا ينظرون إلى الخطابات التى بدا أن الموج ابتلعها . « خلاص . راحت » قال أحدهم . « استنى لما تطلع مبلولة على البر » . قال الآخر . . هكذا يفعلون كل يوم . . لكن الثالث صرخ « بص » . ورأوا الخطابات تحملها موجة فى شكل غريب . صف منتظم متجاور كأنها جنود تصعد إلى الشاطىء وعلى الرمال بقيت الخطابات بعد أن عادت الموجة . أمسكوا بعضها فوجدوها جافة ورأوا العناوين المكتوبة باقية لم تختف أو تتشوه لم يذهب حبرها الذى كان أخضر وأحمر . جمعوا الخطابات من جديد وألقوها فى الماء فغابت فى الموج للحظات ثم ظهرت واقفة متراصة قادمة فوق الموجة لتستقر على الشاطىء جافة من جديد . تقدموا هذه المرة على مهل وترددوا فى الامساك بها إلا أنهم التقطوها فى سرعة وألقوها

ورأوا الموج يرتفع وينخفض بها حتى تكاد تختفى ثم لم تعد إلى الشاطىء . ظهرت متراصة جوار بعضها ثم انفتحت أمامهم وقفزت من داخلها أوراق صغيرة مطوية انبسطت فى الهواء وطارت مرتفعة فى الفضاء لتعبر من فوق رؤوسهم بصوت له أزيز الطائرات فى وقت اشتدت فيه الريح فجأة مما جعلهم ينحنون من الرعب . بعد قليل رفعوا هاماتهم قرأوا الرسائل عالية فى السماء تبتعد وتبتعد متفرقة على جهات الأرض الأربع . .

- ٢ -

« الأشرعة البيضاء »

قلت لها احكى لى ياأخت حكاية أخرى ، فسألتنى أما آن لك النزول من البحر ؟ وأجبتها أن هذه آخر رحلة لى وأنى عازم بعدها على البحث عن عمل فوق البر ، فضحك أولادها الصغار فارتبكتُ وأدركتُ أنى فى كل مرة أقول هذا الكلام ، وابتعدت هى بذهنها وعادت تقول : حكاياتى معك لا تنتهى إذ لم أكن أختك بل كنت أمك رغم أن ما يفصل بيننا خمس سنوات ورأيت الدمع الذى أعرفه يصاعد خفيفا نديًّا لا معاً من جفنيها وخفت أن تتوقف لكنها استمرت . .

قالت : كانت أمك تدفع بك إلىّ أحملك على حجرى أهدهدك وأهزك لتسكت . وتسكت حتى تجوع فتصرخ فتأخذك إلى صدرها ترضعك ثم تعود تدفع بك إلىّ . حتى صار لك من العمر عامان فرحت أعلمك المشى ، آخذة بيدك فى يدى خارجة بك إلى الشارع الذى يفصل البيوت عن ترعة المحمودية ولا أتركك أبدا ولا ألعب مع أصحابى . حتى جاء يوم لم أجد ولداً ولا بنتا فى الشارع أتفرج على ألعابهم : ولا أعرف ما الذى جعلنى أتقدم بك إلى شاطىء الترعة التى كنت أسمع حكايات كثيرة عن جنياتها اللاتى يخرجن بالليل ينادين الأطفال . لعلى قلت إن الوقت نهار ولا يمكن لجنية أن تخرج من الماء . والحقيقة لا أعرف السبب حتى الآن . والذى حدث هو أنى تقدمت بك حتى اقتربت كثيرا من سفح الشاطىء فإذا بك تسقط من يدى تتدحرج إلى الماء . أجل ، رأيتك تسقط تتدحرج وفزعت أنا وعدت إلى الخلف ولم أرك تسقط فى الماء لكنى أدركت أنك سقطت فيه وغرقت . ووقفت ذاهلة غير قادرة على الصراخ والعجيب أنى رأيت الدنيا حولى واسعة والنهار أبيض كما هو وضوء الشمس أوسع من الدنيا وتذكرت أمى فقلت ياويلى ياويلى ! ورحت أبكى والتفت أعود على مهل فإذا بى أرى الشارع قد امتلأ بالأولاد والبنات يلعبون لعبة الحجلة ويشيرون إلىّ ويشيرون إلى الأرض التى خططوها بالطباشير الأبيض فانضممت اليهم ولعبت ساعة وأكثر ثم جلست فوق الرصيف أبكى فالتفوا حولى يسألوننى ثم جروا يسبقوننى إلى أمى التى حين وصلتُ إليها وجدتها تقف أمام باب البيت صامتة رافعة وجهها إلى السماء ، واسعة عيناها . فتوسلت : لا تضربينى ياأمى ! لكنها جرت من أمامى وكانت نساء وبنات ورجال الحى خرجوا من البيوت فجروا خلفها وجرى الأطفال وجريت أنا أبكى خلف الجميع ورأيتهم يقفون لا يستطيعون الاقتراب من السفح المنحدر للشاطىء ويمسكون بأمى التى راحت تصرخ تناديك والماء جار وسفن كثيرة تمر فوق الماء ذلك اليوم لها أشرعة بيضاء كبيرة وأشرعة بيضاء صغيرة ، وعلى الأولى رجال وعلى الثانية رجال ونساء يغنون ويشيرون ويصرخون أيضا وتتداخل أصواتهم فلا يفهم أحد شيئا . حتى خلع على الشافعى جلبابه وتقدم ينزل السفح إلى الماء بسرواله القصير الأبيض ، ولعلك مازلت تذكره وتذكر ابنه الذى كان أجمل الفتيان واستشهد فى الحرب مع اسرائيل فبكى أبوه حتى مات بعده . لكن ذلك حدث بعد وقت طويل من يوم نزوله سفح الشاطىء المنحدر حتى اختفى ولم نعد نرى منه غير رأسه وسمعناه يهتف الله أكبر الله أكبر وحط على الجميع الصمت وكنت أنا كففت عن البكاء لكنى رأيت الناس كلها تبكى بعد أن اختفت . رأسه ولم ينقطع تكبيره ثم ظهر وبان صدره ورأيناك أنت نفسك الذى لا تكف عن ركوب البحر بين يديه حيا إذ وجدك جالسا فى حفرة صغيرة كأنما جعلها الله على مقاسك قرب الماء مباشرة انتهيت جالسا فيها بعد أن تدحرجت من يدى . وقال على الشافعى وهو لا يكف عن الضحك والاهتزاز إنك كنت مرتاحا فى جلستك . ظهرك إلى السفح ووجهك إلى الماء تنظر إلى السفن الصغيرة والسفن الكبيرة ذات الأشرعة البيض وتلوح بذراعك لها وتناغيها بصوتك الجميل وتضحك ولا تعرف بأنه بين قدميك والماء شبرٌ واحد يجلس فيه الموت فاتحا فمه . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- ٣ -

« الشجرة والولد »

خرجا والجو بارد . أبرد من كل يوم . يجب أن يذهب إلى المدرسة . هى تحب ذلك . وهو يحبها . يسمعها دائما تطلب من الله أن يطيل فى عمرها بما يكفيه ليصبح رجلا . ولم يعد يسألها عن أمه وأبيه . بالأمس قرّب الكوب الزجاجى من عينيها . بالكوب ماء حتى منتصفه ، فوق الماء كان قد وضع بصلة صغيرة منذ أيام . رأت بدايات الفروع الخضراء تخرج من البصلة . قبلت جبينه وقالت : « فرع الشجرة أيضا يطلع شجرة » ثم قالت « عندما تكبر يا مصطفى اشتر أرضا وازرعها » وسكتت ثم قالت إنها ستبيع الحلوى أمام مدرسة أخرى فالأولاد ربما يعيّرونه بها .

لماذا لم يقل إنه يحب أن يراها أمام الباب وهو يخرج من المدرسة كل يوم ؟ وكاد يتعثر فى الأسلاك الممتدة فوق الأرض . هذه منطقة يعرفها جيدا مساحة واسعة من السكك الحديدية كاد يحفظها فلم يعد يحفل بالمازوت الساقط على العوارض والزلط ، ولا بالقضبان المتشابكة ، ولا العربات الواقفة فى كل اتجاه يمكن أن تتحرك فى أى وقت . هى أيضا تحفظ الطريق ، ودائما تطلب منه أن يسبقها ولا يحفل بمساعدتها فما يزال فى عينيها بقية ضوء ، لكن ما الذى يجعل السحب السوداء قريبة من رأسه هكذا ؟ وكيف يقترب صوت القطار بهذه السرعة المجنونة ؟ . .

والتفت . كان قد سبقها كثيرا اليوم . . ورآها تسقط وتهوى الصينية التى فوق رأسها وتلمع ألوان الحلوى كقوس قزح فى الفضاء الأبيض . . آ . . لم يكمل لم يستطع الصراخ ، ولا هى استطاعت النهوض . مر القطار الصارخ وراحت العربات تترى كموج هادر عربة فعربة فعربة فعربة . ترك . ترك . ترك . ترك . وبين مرور عربة وأخرى وانفجار الدم وتمزق الأعضاء ينتفض هو ويعود فيتجمد والعربات سيل أحجار لا يرحم يسقط من فوق جبل ، والقطار طويل طويل وانتهى فامتلأ الفضاء برجال طوال أخذوه وحملوه ، واحد . اثنان ، ثلاثة ، أربعة ، أو أكثر ، هم الذين حملوه ، وهو يصرخ بلا توقف ، وفى « البلوك » العالى وضعوه وسقوه ماء وتركوه بعد أن أغلقوا الباب عليه . .

يعرف الجميع القصة إذن . لا هى أمه ، ولا هى جدته ، ويرى الآن من خلف الزجاج ضباطا وجنودا وزحاما لا ينجلى ووقتا لا يمر حتى لمّوا لحمها وعظامها فى قفص غطوه بورق ومشوا . .

لم يحك مصطفى شيئا للجيران فى البيت الذى لن يبقى فيه . أمضى الليل يتأمل أفرع البصلة الخضراء التى استطالت أكثر . « وفرع » الشجرة يطلع شجرة أيضا » . إنها لا تكذب أبدا . فى الصباح الباكر جدا جلس جوار القضيب الذى تعثرت عليه ينظر فى بقع الدم السوداء المتخثرة . فى كوب من البلاستيك راح يجمع فتات عظام صغيرة مغموسة بالدم المتجلط ، ومن فتحة فى السور المحيط بالمنطقة خرج ليرى أرضا واسعة وأشجاراً كثيفة ونباتات شيطانية لا يعرف أسماءها . مشى وكلما توقف رأى سحلية أو حرباء فعاد يمشى . . . ولما وجد نبع ماء توقف . عين ماء صغيرة مثل عينه . الماء أبيض رقراق والرمل حوله أبيض لامع ، والماء المتدفّق على مهل يصنع بركة صغيرة حلوة فى منخفض صغير . بإصبعه شقّ من البركة مجرى رفيعا لمسافة قصيرة وحفر حفرة ينتهى اليها ماء المجرى . فى الحفرة أفرغ الكوب من العظام المغموسة بالدم وغطاها بالتراب الأبيض . رأى الماء يصل إلى التراب فى انسياب ويتخلل ذراته رويدا رويدا ثم وقف هو ينظر إلى الفضاء الواسع حوله . أبيض مثل اللبن هذا الفضاء سماؤه صافية ، ونسمته طرية ، وشمسه لم تزل حانية . لا بد أن الله يرعى هذا المكان . قال لنفسه ومشى يفكر هل يأتى غدا أم بعد غد ليرى فتات العظام وهى تنمو من جديد . . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- ٤ -

البنت الصغيرة التى كانت تجمع السمك الصغير

الجو صاف بديع والشمس تسكب فوق الكون خيوطا من الفضة والأسماك المعروضة فى الصنايق المرفوعة على الحوامل الخشبية تبرق قشورها بالبياض الفضى الذى ينطق بالطزاجة وفى الخلف الفلائك المركونة فوق الرمال والشباك المعلقة على الأسلاك تضفى على المكان حيوية دافقة . ويبدو المشهد كله آسرا يجذب المصطافين ، هامساً أنّ هنا توجد أعظم أسماك الدنيا . . .

محمود يعرف ذلك جيدا ، ويبيع اليوم كثيرا والسيارات تقف متواترة وتمضى حاملة ما تشاء والنقود تزدحم فى الصندوق الصغير المكشوف أمامه ، ولا يفكر محمود أن يحصيها إلا آخر النهار حتى لا يقطع على نفسه رزقا ، لكنه اليوم شارد بذهنه للحظات ، وعلى غير ارادة ، من البسمة العجيبة للبنت الصغيرة التى كانت تأتى مع الأطفال فى الصباح الباكر والشمس بعد لم تترك خط الأفق والنسمة تنعش الأبدان ، لتجمع مع الأطفال الأسماك الصغيرة التى يهملها الصيادون فى الصناديق أو جوانب الغلائك أو يلقون بها مع الأعشاب . هذه « البساريا » التى كان يأكلها الفقراء . .

لم يكن محمود صغيرا ، ولا كان كبيرا ، كان فى الخامسة عشرة لكنه كان يعرف أن الدنيا لا تكتمل للرجل إلا بامرأة . كان يتابعها وهى تقفز فوق الصناديق الفارغة بمهارة ، حافية فى يدها صفيحة صغيرة ، منحنية تمد أصابعها الشمعية تلتقط الأسماك مثل قطة مدربة ، وفى قفزاتها وانحناءاتها يرتفع جلبابها القصيرة الهش قليلا عن ركبتيها من الخلف فيلمح أول فخذيها وامضين بحنو دافىء ، ويتخيلها تكبر قليلا فيزداد امتلاء الساقين ، ويزداد انبهاره فتسرى رعشة فيه ويتقدم نحوها يفكر فى شىء يقوله أو يفعله . أن ينهرها مثلا دون البنات والاولاد ، أو يعطيها سمكا حقيقيا . لكنه ما أن يقترب حتى ترفع إليه عينيها العسليتين وتبتسم تلك البسمة العجيبة المشرقة البهية فيتراجع ويعود يتابعها وهى تقفز ويتطلع إلى شعرها الأسود الغزير المنسكب بفوضى على ظهرها الذى يكاد يشف عن تقسيمة الجلباب الخفيف . .

لقد فكر محمود ويجد أنه بعد خمس سنوات سيكون فى العشرين ، وستكون هى فى نحو الثانية أو الثالثة عشرة ويستطيع أن يخطبها لكن البنت اختفت مع الشتاء ، ولم تظهر فى الصيف التالى ، ولم تظهر لخمس سنوات بعد ذلك . ونسيها محمود ولم يذكرها طوال العشر سنوات التالية التى أمضاها فى الجيش وحارب فيها كلها . ولم يذكرها بعد خروجه ولا يوم زواجه ولا يوم أنجب ولدا سيحضر إليه بالطعام بعد قليل وفجأة تذكرها اليوم فأخذ نفسا عميقا ونفثه بارتياح وابتسم واستقبل شابا فى مثل عمره تقريبا نزل من سيارة بيجو فباع له اسماكا كثيرة حملها بنفسه إلى السيارة وما كاد يلتفت ليعود حتى صوب إليه طفل من النافذة الخلفية للسيارة مسدسا يقذف بالماء فابتسم له محمود وعاد إلى أسماكه وتجمد واقفاً ثم التفت ليجد السيارة قد تجاوزت المكان . كانت المرأة الشابة التى تجلس بالمقعد الأمامى ناحيته قد ابتسمت ابتسامة عجيبة رآها معلقة لم تزل فى الفضاء أمامه ، بل اتسعت مع اتساع الفضاء كرائحة منعشة وأحس ببرودة لذيذة لها مذاق منعش كرائحة الابتسامة وكاد ، حقا ، أن ينادى يصرخ بأى شىء . لكنه لم يعرف اسمها فى أى يوم ، وكانت السيارة تسرع فى الاختفاء فالطريق جديد ممهد ، وينحنى أكثر من مرة ، وكانت هناك عمارات كثيرة جديدة حول الطريق قامت محل البيوت القديمة التى تهدمت . رأى محمود زحام العمارات وتاقت نفسه للأبنية القديمة ولعن رطوبة البحر التى أسقطت كل تلك البيوت التى تاقت نفسه إليها .

القاهرة : إبراهيم عبد المجيد

هـ

قصـــــة

رقـــوء الـــدمـــع

عبد الحكيم قاسم

فى آخر سفرة إلى قريتى ثقل قلبى واستقر فيه الحزن . آخذ القطار فى أسفارى منصرفا عن رفاق السفر ــ منشغلين بشئونهم ، يثقلون على صفو خاطرى بما ثقل عليهم وعثاء الرحلة ــ أخرج بانتباهى من النافذة ، يسيح ناظرى فى مشاهد الريف .

القطار قدرى ، وجريه مزلزل على القضبان ؛ حيثما راحت ؛ سافرت مستسلماً للمشقة ، يأخذنى التطلع إلى الأشياء ، وما تجددت المشاهد ، بينما تستجد فيها أشياء بفرط تأملى . فى آخر سفرة إلى قريتى توهجت أشواقى واحتدم التذكر بمقدار مسافة طويلة قبل أن يدخل القطار المحطة ويرسو جنب رصيفها . أنظر . أعرف الأرض والمحاصيل ، وأعرف الناس ، وأعرف البقرات والجواميس ، حتى الحمير أعرفها ، وأضحك .

وأدهش ، فالأرض تغيرت بما جد فيها من كروم ، والناس عليهم سيماء العزم والجرد . وآلات العزاقة ، يالها من آلات صخابة ! ، تنفث من قلوبها الدخان ، كأنما ملت من صمتٍ بقى يلف الريف دهوراً . والبهائم قلّت ، وما بقى منها مهزول منفى من عناية صاحبه . دهشت لذلك ، وللبيوت المشيدة بالأسمنت المسلح ، إذ يدخل بى القطار إلى قريتى،رأيتها ؛ ملونة عالية صلدة جهمة ، والباقيات من الدور الريفية من اللبن تبدو بائسة متداعية .

أخذنى الاغتراب فى الدنيا سنين طوالاً بعيداً ، والسفر دأبى والقطار قدرى ، والآن يدب على قضبانه كما كان دوما فى اتجاه قريتى . وإذا ما دخل بحثت عن دارها ، من اللبن ، لكنها فى ذلك الزمان كانت وسيمة بما على واجهتها من بياض .

كنا نتردد على المدرسة فى المدينة . ياللعيال من أولاد هذه الأيام ! ، يتخفف البنات والصبيان من التأثم ، ويتحادثون ويتضاحكون وحتى يتعابثون ، لكننى كنت أجلس قبالتها أتأمل حسنها ، فإذا مالا حظتنى هربت بعينى خارج نافذة القطار .

أبوها كان نحالاً مشهوراً . وكان رجلاً نحيفاً وعابس الوجه . كلّمته ممتلئاً بمهابته ، إن أبى كلفنى بحمل هدية من عسل لصاحب له فى المدينة . قلت هذا للنحال ، فقال لى أمرّ بدراهم فى بدرية الصبح ، آخر مطلوبى معى فى القطار الذى يحمل التلاميذ للمدارس . بكرت . طرقت ، وانفتح الباب عن دفء الدار وعتامتها ورائحتها ، وكانت هى التى فتحت لى . لفنا الدفء والغبش وروائح الدار . غرقنا فى عمق السحر . لم أكن أرى ــ فى قلة الضوء ــ سوى وردية وجهها ونعاس عينيها . أخرجت يدىّ تبحثان ــ وأنا مثقل بحلمى ــ حتى وجدا مستراحهما على خدّيها . أغمضت عينيها ، وفرجت بين شفتيها ، وسعى كفاها حتى حطا على كفى فصارا فى دفء . فى لحظات قصار ، لكنها طالت كالعمر .... عمر ضيعته فى الغربة . وحينما رجعت وجدت الأشياء تغيرت ، اختفت الغربان السود ، ومالك الحزين الناصع البياض ، وطرد نحل العسل ، ودراهم زالت وشب مكانها بيت بالأسمنت المسلح ، ملون عال صلد جهم ، وهو معمور بناس آخرين .

وقفت على الرصيف فى ثلوجة الصبح والضباب ، وعسلى بين يدى . فإذا بها آنية ، تمرّ بى ، وعلى وجهها كل حلمنا ، لم ينتقض برد الصبح من دفئه . جلست على الأيكة ، انخت على كتاب دينها تقرأ ورد الصبح ، والصليب الذهبى متدل بما انخنت ذلك كان ، والآن . . ؟

القطار خلاّنى على الرصيف ومضى ، والرصيف مزدحم بالخلق ، لكنه موحش منها ، أفتش عنها ، الخراب يملأ الفراغات . ياليتنى كنت كلمتها ، ياليتها كانت كلمتنى .

آه يا ربى . خلاص انقضى الوقت بمخاوفه والنكوص . فى آخر سفرة إلى قريتى ثقل قلبى واستقرّ فيه الحزن . أخذت القطار عائداً . القطار قدرى ، والترحل فيه دأبى . رجع أصداء ارتطام العجلات للقضبان حزين . هل أبكى . . ؟ ما عاد هذا يليق بى ، لقد كبرت .

القاهرة : عبد الحكيم قاسم

لا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصـــــة

العـــــــودة

سليمان فياض

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قال لأخته :

ــ أعطنى المفتاح . أريد زيارة أمى

عادت إليه بالمفتاح . فأخذه وانصرف .

غادر المترو ، ودخل فى الحىّ العاشر . قادته قدماه عبر منعطفات قديمة . تصعد به الطريق وتنزل . وتوقف أمام الباب . دس المفتاح فى القفل ، ونزع القفل المفتوح من قيده ، ودفع بالباب الحديدى وراءه ، وأعاد القفل إليه ، وأغلقه . نظر إلى أعلى ، كانت السماء قريبة غاية القرب ، والأرض يكسوها البلاط ، وثمة قائمان من الحديد فى الركن ، لا ينقصهما سوى جدارين من قماش .

فى ركن آخر ، رأى حجراً صلداً ، فأخذه ، كأنّ كل شىء كان معدّاً له . أخذ يكسّر به ألواح الأسمنت ، من الجوانب ، فوق الدرج ونزع لوحاً رفعه فوق لوح آخر ، وأخذ يهبط الدرج .

إذ صار رأسه بمستوى الألواح ، أوقد شمعة ، وفرد كفيّه إلى أعلى ، وأعاد اللوح الأسمنتى إلى مكانه .

حمل الشمعة ، وأخذ يهبط الدرج ، فاحتواه الظلام ، وكفّت شعلة الشمعة عن التراقص . وزكمت أنفه روائح هواء حبيس ، وظلام مقيم ، وعفن .

أدار الضوء حوله حتى رآها . هيكلاً من العظم ، قد رُمّ وتفسّخ فى غير اتساق . رأى الهيكل يُكسَىٰ فى ضوء الشمعة الساكن لحماً ، والوجه الذى يعرفه يتجسد ، وعلى الشفتين بسمة ، وفى العينين لمعة ، وسمع صوتها يهمس له :

ــ تعال .

تمدّد بجوارها ، والتفت بوجهه نحو الهيكل ، رأى العينين فجوتين ، والفكين بلا أسنان ، والخدّين هاويتين . وأخرج مسدساً من جيبه .

وضع فوهة المسدس على وذْجه ، فى الوسط تماماً ، بين الأذنين والعينين ، ونفخ فى الشمعة فانطفأت ، وألقى بها فى الظلمة ، ثم ضغط على الزناد .

القاهرة : سليمان فياض

قصـــــة

الـرجـل ذو البـطن المفتوحة

يوسف أبو ريه

هذه المرأة البدينة هى زوجة الحاج صاحب هذا الحوش الوسيع ، هى الآن تعبر من بابه ، لتجلس تحت السنطة التى يمتد جذعها من وراء السور ، لتسمق حتى تتجاوز الدور الثانى لدار أبيها ، تخرج أختها من الردهة المظلمة ، وتربع إلى جوارها باتنظار أن يجتمع باقى النسوة اللاتى يخرجن من دورهن فى نفس الموعد .

كانت قد شوت السمك الذى عادت به من السوق غدّت الأولاد الصغار ، وحجزت بعض « الأمشاط » لابنها الكبير ، كما اعتادت أن تحفظ له نصيبه من كل وجبة ، وقالت لنفسها : ربما يأتى هذا المساء .

ومرت عليهن عربات التجار الغرباء تجرها الخيل محملة بلفائف الأقمشة ، يعود بها أصحابها إلى بلادهم بعد انفضاض السوق ، ومرت عليهن عربات التجار من أهل البلد تجرها الحمير ، ترفع الخيام والبضائع ، وفى النهاية أقبل الحمالون بعربات تدفع باليد عليها بقايا الخضر والفاكهة .

قالت امرأة الحاج لنفسها : وانقضى سوق آخر ولم يأكله قلبه على أمه بعد . .

وتكلمت مع جاراتها فى السوق والأسعار وطبيخ اليوم ، وتفادت الكلام عن الأولاد هناك . حتى قالت أم حسن إن ولدها فى أجازته الأخيرة قال لها يا أمى لا تقلقى إذا طالت مدة الغياب ، فنحن هنا لا نملك من أمرنا شيئاً ، فلسنا غير عبيد مأمورين ، حين يتاح للنفر منا النزول لا نتردّد ، ولكن قد نفاجأ بأوامر تعطلنا ، فادعى لنا ، وادعى لكل الزملاء . فرفعت امرأة الحاج يدها ، ورفعت وجهها إلى سقف أغصان السنطة لتنظر إلى وجه الله من بين الأوراق : أنت أعلم بنا فخذ بيدهم جميعاً ! .

وقطع دعاءها ولدها الصغير قال : ياأمى هناك رجل غريب ينام ببطن مفتوحة وراء السور . والتفتن إليه جميعاً : بطن مفتوحة ؟ .

ـ أين ياولد ؟

قال الولد لاهثاً وهو يشير إلى السور : فى الحوش . . وراءكم تماماً .

وقمن مرة واحدة وسرن وراء امرأة الحاج التى دخلت بكتفها من بين الضلفتين وداست على كومة القش القديم ، ووراءها وقفت النسوة فى نصف حلقة يبحلقن فى هذا الغريب . كان يسند بظهره على جذع السنطة التى تظلل عليهن بالخارج ، وقميصه الأبيض الملوث ببقع دموية مرفوع إلى صدره ، وتبرز بطنه المدلوقة إلى الخارج ، كأنها مبتورة بسكين من الخصر إلى الخصر ، وجزء من الأمعاء انسحب من لفائفه ، وتدلى فوق شعر البطن .

رفع الرجل أجفانه المرخاة ، ونظر إليهن متألماً ، ومد يده الممدودة إلى جوارى .

ـ شربة ماء لاجل النبى .

وخبطت امرأة الحاج يدها على صدرها : عين أمك !

ودفعت أختها صائحة : كوز ماء يابت .

وعادت الأخت على أعقابها لتملأ الكوز ، من صنبور يبرز

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من السور المنخفض ، واقتربت امرأة الحاج من الرجل ، وانحنت عليه لتبلل شفتيه بالماء ، ودمعة كبيرة سالت على خديها جففتها بطرحتها البيضاء .

سألته أم حسن : هل أنت عائد من الجبهة ياولدى ؟

نظر إليها وهو يتوجع ، ثم أدار وجهه بعيداً ، ففهمت أنه غير قادر على الكلام .

قالت الجارة الخبّازة : ياحسرة ! لو أحد من رجالنا هنا لقام بالواجب وحمله إلى المستشفى .

فأدار الرجل وجهه بهلع ، وطقطق بشفتيه : أنا لا أريد المستشفى . . لقد أخرجونى منها ، وقالوا الجنود الجرحى أوْلَى منك .

سألته امرأة الحاج وهى تقوم : لست من الجنود إذن ؟

ــ أنا رجل على باب الله أولاد الحرام تشاجروا معى فى السوق وضربنى أحدهم بالسكين كما ترين .

قالت بحزن : منهم لله . . قم يابنى معنا ربما تكون جائعاً فنطعمك لقمة .

وأمسكته من كتفيه ، وسار بينهن متهالكاً ، يجرجر ساقيه حتى أخرجنه من باب الحوش .

ــ دعونى هنا . . لا أريد الخروج إلى الشارع . ربما يمر أحدهم .

فأرحنه على سور الحنفية الواطىء ، وهرعت الأخت مرة أخرى لتعود برغيفين وطبق قشدة به قطعتان من الجبن القريش .

وجلسن حوله فى حلقة . وهو بدأ ينقل اللقيمات بتؤدة إلى فمه ، ويمضغ على مهل ، وانفردت أجفانه قليلاً ، وصحت عيناه ، وصارت نظرته أكثر قوة ووضوحاً ، وكان الولد الصغير قد عاد بجمع الأولاد ، فتحلقوا حوله ينظرون بشراهة ، ثم ترك أترابه واقفين ، وقبع إلى جوار الرجل ، لا يرفع عينه عن البطن المجروحة وعادت أم حسن تسأل الرجل : لم تقل لنا من أى بلد أنت .

فنظر إليها طويلاً ، وقد توقف عن المضغ ، وسكنت يده باللقمة المعلقة قرب شفتيه ، وهى داومت النظر إليه فى ثبات ، ثم اهتز جفناها ، فأرختهما بحرج . والنسوة تابعن ذلك باندهاش ، ولم يفهمن إصراره .

وأمسكت امرأة الحاج رفيقتها من يدها : الرجل جائع دعيه حتى يأكل . فنقل نظرته الثانية إليها . فمدت يدها إلى قميصه لتسحبه إلى أسفل : دارى بطنك . فعاد يرفع القميص إلى صدره بتحدٍّ وانبعث خوف ضئيل إلى قلوب النسوة ، واستغربن لتصميم الرجل على كشف بطنه .

قالت الجارة الخبازة : كنا نظنك أحد أولادنا على الجبهة .

فسأل وهو يميل برأسه إلى أسفل ليضغط على أمعائه بأصبعه : لكم أولاد هناك ؟

قالت امرأة الحاج : لا عائلة فى البلد إلا ولها ولد هناك .

ــ وهل يسمحون لهم بالإجازات من حين لآخر ؟

ردت أم حسن مستنكرة : أتظنهم يقضون العمر بين الخنادق ولا يحنون إلى أمهاتهم وآبائهم ؟ .

ــ وهل هم سعداء فى مواقعهم ؟ ألا يكتبون الرسائل ؟

قالت امرأة الحاج : حين تطول أيامهم هناك يكتبون الرسائل .

وسأل الرجل بطريقة مباشرة . وكان قد كف عن الكلام : وعن أى شىء يتحدثون فى الرسائل ؟ .

وتابع كلامه بتهكم : طبعاً ليس بالجبهة ما يكتب عنه ؟

سكت فترة ، وهن لم يجدن ما يعقبن على كلامه فقال : أظنهم لو كتبوا سيكتبون عن المناورات ومواقع الصواريخ التى يقيمونها هناك .

فصار الخوف فى قلوب النسوة جزعاً . فسألته أم حسن دون شفقة : ولكن كيف سمحوا لك بالخروج من المستشفى على هذه الحال ؟

وقالت الجارة الخبّازة : كانوا على الأقل ربطوها بشريط .

فأعاد تشكيل وجهه من جديد ، وبدأ يرفع يده متوجعاً .

ــ ماتت الرحمة فى قلوب الناس ، قالوا طالما لست جندياً فلا يحق لك العلاج .

وكان الولد الصغير قد اقترب حتى التصق بالرجل ليداوم النظر إلى البطن المبتورة بتطفل شديد ، وكانت يده الصغيرة ترتفع من حين إلى آخر يقاوم رغبة قوية فى أن يمدها إلى جرح الغريب . ومد إصبعه أخيرا إلى تلك القطعة البارزة من الأمعاء ، والتفت إليه الرجل بعد فوات الأوان ، لأن قطعة الأمعاء سقطت فوق الرغيف ، فجزعت النسوة ، ومدت أم حسن يدها إلى الأمعاء قبل أن يقبض عليها الرجل ، وتلمستها بيدها ، وقلبتها أمام عينيها ، والنسوة كن قد أشحن بوجههن مشمئزات ، ولكنها صاحت فيهن مهللة : انظرن . . . إنها قطعة من البلاستيك .

ــ من البلاستيك !

القاهرة : يوسف أبو ريه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصـــــة

الكـلـــب

طلعت فهمى

لا أتذكر متى بدأت رغبتى الشديدة والتى تحولت بعد ذلك إلى شهوة وأخذت شكل الإصرار فى أن أمتلك كلبا . أن أربى كلبا صغيراً وأراه ينمو أمامى من جرو صغير لا قدرة له ولا باع إلى كلب كبير الحجم ، ضخم . كانت رغبة حقيقية ملكت علىّ نفسى . فما أجمل أن تربى مخلوقاً صغيراً رقيقاً ، حياة كاملة تمضى أمامك . أما كيف أخذت هذه الرغبة شكل الإلحاح فقد حدث ذلك بعد أن تخطيت الثلاثين وبعد أن كففت عن أن أحلم لنفسى . بعد أن تحطمت أحلامى . وأنا أعتقد أن الثلاثين سنّ مناسبة لتحطم الأحلام . فبعد الثلاثين لا تستطيع أن تتساءل عن معنى حياتك وتبدأ فقط فى العيش وفى هذه السن لم أجد أية إجابة مناسبة على السؤال الخالد عن الغاية من الحياة . أنا أعرف أن هذا السؤال ليس متداولاً كثيراً . بل إن كثيراً من الناس لم يسألوه لأنفسهم مرة واحدة طوال حياتهم وأنا لا أزعم أننى شخص غير عادى أو شاذ بمعنى من المعانى .

وهناك ــ بالطبع ــ كثيرون مثلى ولكنهم فيما أعتقد قليلون . أعرف واحداً منهم قرر فى يوم من الأيام وبكامل إرادته أن يدخل مستشفى الأمراض العقلية وكان هذا القرار بمثابة نجاة له ، كان حلاً . فبدلاً من أن يطلق الرصاص من مدفع رشاش على الناس فى الشارع ، وبدلاً من أن يجرى فى ميدان التحرير ــ وقت الظهيرة ــ بمؤخرة عارية ، وبدلاً من أن يقطع شرايين يديه الاثنتين بالكامل قرر أن يدخل مستشفى الأمراض العقلية وأن يبتسم فى وجه معذبيه . فيتلقى صفعاتهم بابتسامة وركلاتهم بابتسامة وعبثهم بمؤخرته بابتسامة . . وهكذا عاش بطريقة ما ! .

وهناك آخر قطع رسالته للدكتوراة فى السياسة . كان قد أتمها تقريباً . وبدلاً من أن يكتب كلمة « تمت » على الصفحة الأخيرة من رسالته ، قام بتمزيقها إلى قطع صغيرة جداً ووضعها فى سلة المهملات . كان واضحاً ، فذات صباح مملوء بالبهجة وقف فى الشرفة وبدلاً من أن يلقى بنفسه منها قال بصوت عال : لن أكون القواد الذى كنته دائماً ولن أكتب عن القوادين .

بعد ذلك . باع قطعة أرض كان يملكها فى قريته وأخذ طوال يومه يأكل أشياء بسيطة تكفى لإبقائه حيا ، راقداً على السرير ، محملقا فى السقف . وكان يرد على سائليه عن معنى ما يفعله بأنه ينتظر . . كان ينتظر شيئاً وكان قد وجد لحياته معنى فى هذا الانتظار .

أنا لا أختلف كثيراً عن هذين الشخصين ، أنا أيضا لم أجد معنى لحياتى ، وهربت طبعاً من الحياة العادية ، المبتذلة . أن أتزوج وأنجب وأساعد ــ بخبث شيطانى ــ على استمرار الحياة . الموت أسهل علىّ من فعل هذه الجريمة . المهم أننى ذهبت لأشترى كلبا . وبعد أن اشتريته لففته فى الجريدة التى كانت معى . وسرت به فى الشارع . . كان هادئاً ، وكنت بين الحين والآخر أنظر اليه فأجده يتطلع إلىّ بعينيه الصافيتين ، مازلت أذكر حتى الآن حديثه الأول لى ، أستطيع أن أقول إنه لم يكذب علىّ أبداً . لم يزعم أنه ابن حسب ونسب أو أنه عريق وأصيل ومن سلالة نادرة أو أنه كلب صيد . لا ، لقد صارحنى فى أول لقاء بحقيقته ، قال بهدوء وأسى إنه فقط كلب ، وإنه كان يشك فى أن أحداً سيشتريه ، بل ان صاحب المحل هدده

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أكثر من مرة بالطرد لأن أحداً لا يقبل على شرائه . وقال أيضا والدموع فى مآقيه إننى تقريبا أنقذته من مصير تعس ، فلو لم أشتره لكان الآن ضحية لقناصة الشوارع والحقيقة أننى لم أدفع فيه كثيراً بل إن صاحب المحل عندما اخترته هو بالذات من بين كلاب كثيرين أكبر حجماً وأكثر ثقة بالنفس نظر إلىّ بازدراء وكأننى أضعت وقته .

وفى مساء ذلك اليوم وضعته معى فى السرير بعد أن أطعمته وسمحت له بالتجول فى غرفتى والنظر إلى أشيائى الصغيرة ، كان بين الحين والآخر يسألنى عن شىء فكنت أجيبه . كان يرقبنى فى صمت ، وأغلب الظن أنه كان يدرسنى بعناية ، والحقيقة أنه قال لى بعد ذلك إنه لم يخف منّى أبداً ، ولم يتوقع منّى أى أذى ، ولما سألته عن السبب قال لى عبارة جميلة:إن عين الانسان تعبر عما بداخله وإن لى عينين حزينتين لا تستطيعان ضرراً لأحد . وإنه لم يخف طوال حياته من أحد له عينان حزينتان . عشنا معاً ، وحدث بينى وبينه تقارب وود عميق . لقد بدأت أشعر أن هذا الكلب قد وضع إجابات كثيرة لأسئلة تدور فى ذهنى وأنقذنى من حيرتى ؛ فبعد فشل مشروعى فى تأليف كتاب ضخم يحاول الإجابة عن الأسئلة الكبرى فى الفلسفة مثل ما الحقيقة ؟ ما الغاية من الحياة ؟ توقفت حياتى تماماً ومازالت أسئلتى داخلى . حتى جاءتنى فكرة تربية كلب . كانت واحدة من أفكارى العظيمة . كانت تحولاً من تحولات روح مهانة ومهزومة . أما عن كلبى . فأجلّ ما فيه أنه ليست له أفكار ميتافيزيقية ، وأن رجليه وروحه أيضا ملتصقة بما هو أرضى . إنه كلب . . كلب فقط لا قدرة له على الكفاح ولا يرغب إلا فى حياة هادئة . وهو لا يزعم أنه أكثر من كلب ، ولا يتمنى غير ما هو عليه ، كما لا يطمح فى أن يكون له وجود أكثر من وجوده ككلب . أحلامه أحلام كلب ، وواقعه واقع كلب . . كلب لا فوق ولا تحت !

لقد تعلمت منه أشياء كثيرة . وأجمل شىء تعلمته أن لا أنظر إلى فوق أبداً . ولا أتمنى لنفسى غير ما أنا عليه . فلم يُضيع الانسان طوال تاريخه الطويل غير نظرته إلى أعلى .

آه أيها الانسان ، ما أتعسك ! . لو لم تكن روحك سامية . . أقدام ملتصقة بالأرض وروح تواقة لكل ما هو أبدى ودائم ! .

خمس سنوات مضت علىّ الآن فى صحبته ، لم يحدث له خلالها أى تغيير ، كبر خلالها ولكن روحه لم تمس . جسده فقط أصبح أكثر ضخامة . . وهل هذا يعدّ تغيراً ! عرف عنى الكثير وعرفت عنه الكثير ، والآن إذا حدثته عن أحلامى الماضية يضحك بملء فمه ثم يأخذ فى التفكير والنظر إلىّ بعينيه الصافيتين الحزينتين ، وكأنه يأسف لى .

أستطيع الآن أن أؤكد أن عينيه تشبهان عينى ، بل إن ملامح وجهى أخذت تقترب رويداً رويداً من ملامح وجهه ، وكثيراً ما أحس عندما ابتسم له أنه يجيبنى بنفس الابتسمة . . لا أستطيع أن أوضح أكثر من ذلك لأن هذا شىء خاص بالروح ، نعم الروح . . وأكبر الظن أننى الآن اذا قمت إلى المرآة ونظرت فيها لوجدته هو ينظر إلىّ . . ولكن للأسف ليس فى غرفتى مرآة !

القاهرة : طلعت فهمى

لا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصـــــة

عربة محملة بالبرتقال الأخضر

اسماعيل العادلى

نافذة مفتوحة فى الطابق الرابع من عمارة الشربتلى ، ثم صالون الكمال ، كانا أول من أضاء المصابيح فى الميدان الكبير . بعدهما ـ فى وقت واحد ـ انبعثت الأضواء من ثلاثة أماكن متفرقة ، ثم من سيارة صغيرة تدور حول الميدان ، ثم من شرفة الخواجة فيليبو ، وبعد لحظات بدت طويلة أضاء قصر الشبراوى باشا الذى تحول إلى مقر للاتحاد القومى أنواره ، وثلثه خمارة الأمراء . وإلى أعلى ـ بين عمارة الشربتلى وقصر الشبراوى ـ كانت أخر أضواء النهار تنسحب ببطء مخادع ، وفى الميدان ـ عندما رددت إليه البصر ـ كانت مثابيح الإضاءة العامة التى تلتف حول الساعة الكبيرة ، وتلك التى تقف فى الشوارع الجانبية قد أضاءت هى الأخرى .

وكنت أنا ما أزال فى مكانى ، أسفل البناية التى يقع مكتب الآلة الكاتبة فى طابقها الثانى ، أروح ، وأجىء ، أراقب الليل النازل ، وأنتظر هبوط سناء ، مفكراً فيما يجب أن أقوله لها اليوم .

عبرت الطريق لأقف فى نفس النقطة التى حادثتها عندها بالأمس ، وأنا أكرر بصوت مسموع ما سأقوله لها بالحرف الواحد . كنت قد قررت ـ بعد مناقشة الأصدقاء ـ ألاّ أدع لليأس طريقاً إلى قلبى ، فمن غير المتصوّر ـ كما قالوا ـ أن تستجيب لمحاولتى الأولى ، بل علىّ أن أحاول عدة مرات أخرى . وفى الحقيقة أن تلك لم تكن محاولتى الأولى بالضبط ، فقد بادلتها الحديث عدة مرات فى مكتب الآلة الكاتبة ، حيث أبدأ التدريب على الآلة الكاتبة بعد انتهاء تدريبها ، وكانت تبدو ضاحكة ومرحبة على الدوام .

فجأة توقف الصوت الأبّح الذى ينطلق من ميكروفون لجنة الاتحاد القومى عن الحديث ، وأخذ فى النداء على شخص يسمى مجدى ، كرر النداء عدة مرات ، ثم عاد إلى حديثه ، قال إن مشروع ايزنهاور مرفوض من حيث المبدأ ، وإن الأسطول السادس ـ أيضاً لايخيفنا . . لسبب لا أدريه توهمت أن وقتاً طويلاً قد مرّ ، وأن سناء قد تأخرت عن موعد هبوطها ، وربما تكون قد انتهت من التدريب وغادرت المكتب .

وبالتالى فعلى أن أترك مكانى وأصعد إلى هناك . قاومت فكرة الصعود لعدة دقائق أملا فى هبوطها ، لكننى فى النهاية فكرت أن الأكثر ضمانا أن أصعد على الفور .

كى تصل إلى ذلك المكتب لابد من صعود درج ضيق ، وعبور ممر طويل معتم محاذراً الاصطدام بأوعية القمامة المبعثرة على الجانبين .

ستجد باب الشقة مفتوحاً ينبعث منه صوت الدق على الآلة الكاتبة ، ويخرج منه ضوء أصفر ضعيف ، يجعلك لا تكاد تبصر العناكب الكثيرة المتناثرة على صفحة الحائط الذى يفصل بين مكتب الآلة الكاتبة ، والشقة التى تواجهه .

كان عاطف يجلس فى مكانه المعتاد فى مواجهة الباب تماماً ، يدق بكلتا يديه على الآلة الكاتبة ، وقد تدلت السيجارة من جانب فمه المطبق .

أحس بخطواتى فرفع رأسه للحظة خاطفة ، حرك خلالها وجهه فى اتجاه حجرة التدريب بما يعنى أن على أن أدخل إلى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هناك . كنت قد أدركت أنها بداخل الحجرة بعد أن تناهت إلى أذنى دقات الآلة المنبعثة منها .

كانت تجلس فى مكانها المعتاد ، ترتدى ملابس المدرسة الكحلية اللون ، كما تفعل كل يوم ، همست لها بالتحية فلم ألحظ أنها تحركت ، ظلت منحنية فوق الآلة الكاتبة تنقل رأسها بين كتاب الدروس وحروف الآلة .

جلست إلى جوار النافذة ، لا يفصلنى عنها سوى منضدة واحدة ، أخذت فى تأمل ضفيرتها السوداء الغليظة ، المجدولة بشريط حريرى أزرق ، تذكرت الدهشة التى علت وجهها الأبيض المستدير وهى تستمع إلى كلماتى بالأمس قبل أن تستدير وتمضى ، ثبت عينى على مشدّ صدرها الذى يبدو رباطه الخلفى تحت قميصها الأبيض .

شعرت برغبة فى التدخين ، ولم يكن معى سجائر ، كان أخى رجب قد زعق فى وجهى فى الظهيرة عندما طلبت منه نقوداً وقال إن على أن أذهب إلى أسيوط لأتسلم ذلك العمل فى مخازن السكك الحديدية هناك . وقبل أن أغادر البيت حاولت أمى أن تطيّب خاطرى ، قالت إن رجب لا يريد لى سوى الخير ، وإن علىّ بالفعل أن أسافر إلى أسيوط .

على العكس منها تماماً كان الرعب يتملكنى كلما فكرت فى ذلك ، كنت أشعر بوخزات الملابس الصوفية الثقيلة التى يرتديها عمال القطارات فوق أكتافى ، وأرى نفسى ضئيلاً كذبابة إلى جوار أبواب المخزن الخشبية ذات المصابيح العالية .

كنت أعرف أن الالتحاق بالجامعة قد أصبح بعيد المنال ، وأن لا مناص من العمل لكنى كنت أرنو إلى شركة من الشركات الأجنبية التى هجرها الأجانب ، حيث القواطع الزجاجية ذات الأضلاع الخشبية ، تفصل بين المكاتب ، والرجال الحليقو الذقون يعملون فى صمت ، ويتحدثون همساً وقد لبسوا الأكمام السوداء فوق أذرعتهم ، بينما تئز المراوح الكهربائية البطيئة السرعة فوق رؤوسهم .

هى غاضبة بالتأكيد ، لم تلتفت إلىّ التفاتة واحدة ، لم تنطق بحرف واحد ، كأننى لست موجوداً معها فى نفس الحجرة ، تذكرت ما قاله أصدقائى وقلت إننى لن أصاب باليأس . بالأمس التقيت بمدحت زغلول على غير ما توقع ، كنت أنحدر إلى شارع الشيخ قمر عندما وجدته فى مواجهتى ، كان يرتدى ملابس طلبة الكلية الحربية ، وعلى كتفيه أشرطة مجدولة مزركشة ، قال إنها إجازته الأولى ، وعدّ لى أسماء بعض زملائنا الذين التحقوا معه بالكلية ، وفجأة سألنى عن الكلية التى التحقت بها ، بلا تردد أجبته بأنها الآداب قسم التاريخ ، ثم أسهبت فى الحديث عن متعة دراسة التاريخ وكثرة المواد وفخامة المراجع ، ولم أنس ــ كذلك ــ ذكر زميلاتنا الحسناوات .

دخل عاطف إلى الحجرة ، نظر إلى ما تدقه سناء ، هز رأسه موافقاً ثم اتجه إلىّ كنت أعرفه منذ سنوات ، كان يكبرنا بعدة أعوام ، وكان صديقاً لنا على البعد لكنه اختفى من الشارع فجأة ، ثم عاد إلى الظهور منذ شهور ، وعندما جئت إلى هذا المكتب فوجئت بأنه يتولى إدراته . قررت عندما رأيته مقبلاً علىّ أن أطلب منه سيجارة لكنه فعل ذلك دون أن أطلب ، جذب كرسياً وجلس إلى جوارى ثم أخرج سجائره من جيب قميصه العلوى وقدم لى واحدة . لم يسألنى عن سبب حضورى مبكراً ، بل نظر عبر النافذة إلى السقالات التى ترتفع فى نفس المكان الذى كان مقهى البوسفور ذو المرايا الضخمة والأبواب الزجاجية قائماً فيه ، وقال إنها ستكون بناية ضخمة من عشرة طوابق .

وبعد لحظة من الصمت ، قال إن البيوت الواطئة الأخرى فى الميدان لن تصمد لسنة أو اثنتين ، سرعان ما تهدم ويقام فى مكانها بنايات أخرى عالية ، ثم عاد ينظر إلىّ ، سألنى عن أحوالى ، فحكيت له عن خطاب السكك الحديدية ، والمخزن ذى المصاريع العالية ، قال لا تذهب ، لو ذهبت ستظل فى أسيوط حتى تحال إلى المعاش .

توقفت الأناشيد الوطنية فى ميكروفون الاتحاد القومى ، وأخذ الصوت الأبحّ فى قراءة قائمة بأسماء الشركات الأجنبية التى تم تمصيرها بنقل ملكيتها إلى الشعب . حرك عاطف أصابع يديه ، وشد كلتا ذراعيه ، وقال إن العمل فى هذا المكتب عمل مقرف وانه قد اشتاق إلى العودة إلى العمل فى البحر . كانت تلك هى المرة الأولى التى أعرف فيها أنه قد عمل بالبحر قال إنه عمل على باخرة ايطالية تنقل البضائع بين أوربا وأمريكا الجنوبية . قال إن البحار فقط هو الذى يعرف معنى كلمة الميناء ، تحدث عن أضواء الميناء عندما تتلألأ على البعد ، وعن الفتيات ، وعن الحانات الصغيرة المتشابهة فى الشوارع الخلفية فى كل الموانىء . قطع حديثه فجأة والتفت إلى باب الحجرة ، كان يقف بالباب غلام فى العاشرة يرتدى منامة بيضاء تقطعها خطوط خضراء ، اقترب حتى وقف إلى جوار سناء ، أدركت بالبداهة أنه أخوها .

ظل ملتصقاً بها حتى قامت فهزت لعاطف رأسها وغادرت الحجرة فى صحبة أخيها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قام عاطف واقفاً ، أمسك بكتاب الدروس الذى كان موضوعاً فوق منضدة سناء ، أخذ فى تقليب صفحاته حتى استقر على صفحة معينة ، وضعه أمامى وغادر الحجرة .

أدركت فور دخول الغلام العلاقة بين حديثى إلى سناء بالأمس ، وبين مجيئه لاصطحابها اليوم ، تساءلت إذا كان ذلك يعنى أنها قد أبلغت أهلها بما حدث بالأمس رغما عنى استعدت ما قاله عاطف عن البحر ، لم أكن قد شاهدت البحر أبدا ، لكنى كنت قد رأيت أمواجه العالية الصاخبة فى السينما عدة مرات تساءلت إذا كان عاطف يقبل أن يأخذنى لأعمل معه فى البحر ، أم أن على أن أرضخ وأذهب لأحال إلى المعاش فى أسيوط ؟ .

أمسكت كتاب الدروس وقلت إن على أن أبدأ التدريب لكنى قبل أن أفعل نظرت عبر النافذة كان الميدان قد توهج بالأضواء المتناثرة ، وقد التف حول قصر الشبراوى عقد من المصابيح المضاءة الملونة ، وفى الجهة المقابلة ، أمام عمارة الشربتلى كانت هناك عربة خشبية محملة بأقفاص برتقال لم يزل أخضر اللون ، يجرها حصان أبيض ، متين البناء ، يتقافز بخطوات رشيقة ، وقد أخذت حدواته تصطك بالأسفلت وتصدر ايقاعا مسموعا بينما أخذ الحوذى ينهال على أردافه بالسوط .

القاهرة : اسماعيل العادلى

غ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصـــــة

الأســـود والأبيـــض

خضيـر عبد الأميـر

غادرتُ محلتى التى ولدت وعشتُ فيها أكثر من خمسة وثلاثين عاماً ، إلى جهة مجهولة بالنسبة لى ، لا أستطيع تحديدها ، هناك عبر سدة بغداد الشرقية ، وحينما كنت أقول مثل هذا الكلام لم يصدقنى أى واحد من أولادى الصغار ؛ كانوا يتلفتون حولهم ، فلا يجدون شيئاً مما أقول ، وحينما كنت أوضح بأن السدة الشرقية هى بمكان الطريق السريع الآن يتضاحكون ويقولون عن أى سدة يتحدث أبى ، فهناك سدة الكوت وسدة الهندية ، و . . . و . وأسكت ثم أردد فى سرّى شيئاً خاصاً بى وأقول : الانسان بلا ذكريات لا يساوى فلساً واحداً .

وعبر تلك السنوات التى مضتْ تحولت الأرض من سمرتها الداكنة وحمرتها الطينية المكثفة بالأشواك إلى خضرة احتضنتها أسيجة البيوت حيث تسامقت بداخلها أشجار النخيل والزيتون وعرائش العنب وامتدت أكف التين الخشنة الداكنة الخضرة إلى كل سياج وعبر الأرصفة ، وتسلقت الجهنميات متعددة الورود فوق الجدران المزججة وعبر أحجار الأسيجة وتلك هى الأرض التى تطلعتُ إليها عبر عقدين من السنين بوجود وحضور يومى لا إخاله قد غيّر من عاداتى وأحاسيسى وتطلعاتى عبر الزمن الذى مضى والذى أكدتُ عليه بحتمية الولادة والتدرج فى النمو داخل أزقة ومنعطفات وتراكمات من زوايا وسلالم وشرفات وسطوح وغرف مغلقة داكنة سوداء وباحات ضيقة عبر مدارات من الظلال والضوء ، والظلمة والإشراف ، وتفتح أبيض صباحى يومى وبأصوات وتطلعات وبقلق لا نعرف ما هيته وما مصدر تكوننا نحن ورزقنا وصلة حياتنا به وكيف تتكون حتى نجد الرجال والشيوخ والنساء معنا وكنا ضمن عالم الأولاد ننعم بفكر طفولى ممتد عبر ذواتنا والمكان ، أزقة بغداد ومحلاتها وشوارعها الضيقة ونحن نلتقى ونفكر وننصرف ثم نطوى الأيام مارين إلى جهة مجهولة ولا إخالها مخيفة أبداً بعد ذاك الزمن الذى تحدّر نازلاً ثم ارتفع صاعداً تذكرت ما كنت بحاجة إليه ، وبعد إلحاح على وقائع النفس وعلى إثارة همتها ردم الهوة التى تكونت عبر وقائع تكاد تكون قاسية سوداء مقيتة عششت فى روحى نتيجة الكبر وما يحيط به من تعاسات نفسية ، تذكرت وكلها رجوع إلى ذلك الماضى الذى انطلقت به حركة الجسد بعزها ورفعتها وشقائها وشكلها ذاك ، وكنت أستعيد من خلال تلك الذكريات الجرداء أشياء جديدة وددتها الآن أن تلتصق بروحى وبحسى وبجسدى وبمجالات متعتى الحالية ، فكنت أبحث عن أولئك الناس وعن الأثر لا كما كان يبحث عنه البعض ، ولكننى فضلتُ العيش هناك من جديد متتبعاً تلك الخطى ، فحملتُ أشيائى الصغيرة وانتقلت بذاتى وحزنى وأفكارى وترددى إلى ما كان فى يوم ما لصيقاً بحيوية الشباب ومتعتها

أقول مرّات بأننى تذكرت وهذه الذكرى حققت لى سكنى محتدمة بروحى ومرتبطة بالمجموع فى المحلة ، فحينما استقرت نفسى فى بيتى العتيق واستطعتُ أن أحصل على غرفة فيه ، خرجتُ إلى الطريق قاصدا المقهى الذى كنت أعيش فيه فى هذه المرة تغيرتْ أمام عينىّ الرؤية ، وشدتنى وقائع مكانية هائلة فى متغيراتها فكانت الأشياء الصغيرة أشياء محطمة ومهدمة والكبيرة صغيـرة وتلك صفعت رؤيتى من خـلال التمثـل المعـمق للمكان ، ثم هالنى ما رأيت ، لقد وجدتُ الجميع يعيشـون

داخل شيخوخة بادية على وجوههم ، تركتهم صغاراً فوجدتهم قد انتقلوا إلى مرحلة السقوط نحو هاوية مجردة اسمها الزمن الذى يحنى الظهر ويذيب البدن ويحرق شعر الرأس ليحوله إلى رماد ، ثم يفتح أخاديده فى الوجوه والأيدى وفوق الرغبات والتطلعات ويطمس الأمنيات ، ثم ، وجدتُ كل شىء يبدو على حاله إلا أن العمق أو الداخل منه قد تحوّل إلى صفة من صفات التآكل ، فهناك أبنية عدة رافقتها وهى تقوم وتشمخ وقد وجدتها تكاد تسقط وهى بحاجة إلى أعمدة تقوم عليها ، وتلك مواقف جديدة بدأتْ تصفع وجهى وإحساسى فهى دقيقة أراها من خلال مرور الأشخاص الذين أعرفهم ويعرفوننى ، والبعض ينسى ، وأنا كذلك تناسيت البعض ، والآخر اقترب منى واقتربت منه وتحدثنا وبمرور الوقت تكشفت تلك الوقائع التى كنت أنظر اليها بعين الصقر وأرصدها تماماً فى تلك السنوات الشحيحة التى مضت ، رأيت نفسى وكأننى أتخبط فى وحدة من جديد ، ولكننى حاولت أن أتجاهل الأمر وأحدد لى بداية جديدة .

هناك جلستُ فى محلتى القديمة ، اقتعدت مصطبة على أعتاب جايخانة الحاج سلمان ، وهو واقف أمامى كليل البصر ضخم الجثة فقد حيويته الأولى ولكنه واصل عبر عدة عقود من الزمان خوضه فى لجة المكان والزمن نفسه ، والحرفة نفسها ، عرف الكثيرين وحفظ الأسماء والأماكن وتوصل إلى مراحل الشباب حيث ابتدأ تماماً منى ومن قاسم وحسن وعبد الخالق وهادى وصاحب وفؤاد وسمير وسالم ، ابتدأ منا نحن الذين كنا نضحك من حوله ، ولأتفه الأشياء وكان يثيره الضحك فيسأل عن السبب ، فكنا نقول له مبررين فلا يجد أمراً لضحكنا فيسكت ويهز يديه متعجباً مستنكراً ، وكان أكبر منا ، وكنا نضحك لصمته واحتجاجه وعندما كنا نتطلع إلى قامات الفتيات المتلفعات بالعباءات وننظر إلى وجوههن الجميلة والقبيحة أحياناً وهن عائدات غاديات من السوق واليه ، يصرخ سلمان بحنجرة مبحوحة قائلاً ، الجالس هنا لا ينظر إلى البنات وإن أحب النظر إليهن عليه أن يغادر الجايخانة ، وكان كلامه مصدراً للتندر ، وأحياناً يجابه بالاستخفاف فيستشيط غضباً ثم يضحك ليقول هؤلاء ربيتهم على يدى ولا أعتقد أنهم يعاندوننى ، ثم يذهب إلى عمله ونبدأ فى استحضار نكتة جديدة ملتصقة بمشهد نخترعه وإن كان له صلة بمرحنا المعهود ، ثم نقوم لنذهب حول العالم ، وعالمنا هو دورة فى شارع الرشيد حتى الباب الشرقى والعودة عن طريق شارع الكفاح المقفر الموحش ، وتلك هى حصيلة ساعات من أوقات نكون فيها مع بعضنا أو مع أنفسنا ، ولذاذات احتسيت منها شراب المرارة وصفاء الماء مع طعم الجنس والمغامرة وحصيلة الأناقة المفرطة والشباب المتوثب وحيوية ما كان يحيط بى مع شىء من سذاجة وعدم اهتمام وغفلة وطيبة وانشغال البال بمجالات أخرى أهمها وجود الاهتمامات التى كانت تشغلنى وتشغل أولئك الأصدقاء ومنذ تلك الرؤى البعيدة أيضاً ، كانت مشاهد ممتعة باردة بيضاء وأخرى دامية صارخة مستجيرة سوداء تتراكم فى المخيلة وتتصاعد إلى الصدر وتقف .

قلت للفتاة التى كانت تمر يومياً ، تقطع رصيف الشارع ثم تدخل إلى فتحة فى الزقاق لتصل السوق :

ـ لماذا تحتجبن عندما تمرين وتبدين مستاءة ، ثم بماذا تتحدين الجميع هنا ، هل أنت جميلة لهذا الحد ؟!

قالت وهى تبتسم ابتسامة خفيفة :

ـ أنا لم أقصدك يوماً بكلام ، وأنا جميلة رضيت أم لم ترض . ثم مرّت وبعدها التفتت وأعقبت :

ـ اسمع ، سأزور والدتك أيها المدلل .

قلبت لها شفتى معبّراً عن عدم مبالاتى وتركتها وأنا لا أشعر بشىء محدد تجاهها ، فهى مجرد فتاة حادثتها فى الطريق كانت تضع على رأسها عباءة سوداء ويبدو وجهها مشعاً فى بياضه وتألقه وصفائه من خلال السواد المحيط بهالة الوجه .

وبعد أيام رأيت الفتاة تدخل علىّ البيت وتسأل عن والدتى ، تسأل ولكن بلا عجيب للفتاة السائلة ، فقد كنتُ وحدى ، وحينما تحدثنا قليلاً ذكرتْ لى كل شىء عن نفسها ووجودها أمامى وموقفها منى حينما ترانى ، ثم طلبتْ منى أن تكون لى كل شىء ، تعيننى فى حياتى الخاصة وتقف معى فى كل الظروف وقالت :

ـ أحببتك أكثر من أى شىء فى الوجود ، وكنت أتكلم من أجلك أنت لأسمعك ، لا ثيرك وأنت تقف على رصيف الشارع مع أصدقائك وقد أفلحتُ فى جرك إلى نفسى .

قلت لها :

ـ أنا وحيد دائماً ووالدتى تتركنى لأشهر طويلة تسافر عند أختها ، تزور القبور والمراقد ولا تتذكرنى ،

قالت متأسية :

ـ ياعينى عليك ، أهكذا تعيش ؟ سأكون معك دائماً ، أنظف لك البيت ، أغسل ملابسك وأكويها ، أغسل لك جسدك بيدى ، أحضّر لك الطعام ، فأنا أيضاً فتاة وحيدة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وليس لى أهل سوى امرأة عجوز اسكن عندها وهى قريبة المرحومة أمى .

كنت أعرف شيئاً عن حياة هذه الفتاة ، وأراها لعوباً ، وعندما تمر فى الطريق تكون محط الأنظار وكنت أجدها جميلة فهى دقيقة الملامح وناعمة القسمات ثم اكتشفت بعد ذلك بأنها هادئة جداً ومسكينة ورائعة فى عطائها فى الوقت نفسه .

لقد شغلتنى حياة متقلبة وعصف من أصدقاء وجولات فى ملاهى الليل وبيوت البغاء وسهرات بسيطة فى ذلك الوقت كنت أرتاد مقاهى محلتنا ليلاً وعند الفجر تتجدد الحياة داخل الأسواق ويتقاطر جلاس المقاهى وتعمر التخوت بالشاى والقهوة وبروائح النراجيل وبدخانها ، وكنا نستمع إلى إذاعات بعيدة تحقق لنا موعداً لقرب العاصفة التى لابد أن تكون فى مجاهل هذا العالم الذى لم يكن غائباً عنا بوجوده .

فى تلك السنوات كانت فاطمة قريبة منى وهى فتاة نشأت معى وكبرت وكم عبثنا فى طفولتنا ، ولكن فاطمة السمراء النحيفة بقيت بعيدة عنى لا تفكر بى ولم أفكر بها ، إذ كنا متلاحمين كصورة تحتوى على شخصين ، كانت تدخل بيتى وترتب مكتبتى وكانت تريدنى ولا تفصح ، وكنتُ أريدها ولا أتكلم ، فقد كانت فاطمة غنية وتعيش فى بيت مرفّه واعتقدتُ بأنها غير راغبة بى ، فهى لم تحدثنى عن مجاهل القلب ولا عن مستقبل عاطفى ولا تضحك معى ضحكة فتاة متفقة مع نفسها ، كانت على طبيعة الفتاة التى لا تفهم شيئاً عن العلاقات العاطفية .

وحينما خطبتُ فتاة بعيدة لا أعرفها ، ندمتْ فاطمة وفاتحتنى بالذات وكان الندم يتآكل داخل نفسى ويتوسع ولا يموت ، هل أقول الآن بأننى جئت إلى محلتى القديمة لكى أرى فاطمة ، مكانها وهى خلف الزجاج تتطلع إلى الطريق ، أو تجلس على سلالم الباب وتتطلع ضاحكة معلقة ، وهل أقول إننى دخلت الزقاق من أجلها ثم توقفت أمام بابها ووضعت قدمى على سلالم موصلة إلى باب الدار وتطلعت إلى الشباك المؤطر بالخشب ورددت اسمها طويلاً ثم رجعت إلى بيتى العتيق وفتحت إحدى غرفه وسكنتها وأنا أنتظر طيفاً منها ، أو صوتاً أو ضحكة ، أو تلك الفتاة ذات الهالة البيضاء التى شاركتنى النوم والمتعة الجسدية لكى أعود بالزمن وبنفسى التى لا تتوقف عن النهل من منابع الطفولة والشباب ، وكنت أحتج حينما أرى الجميع وقد شاخوا وكبروا وفى كل مرة كنت أنسى نفسى ولا أتذكر شيئاً عن وجود الكهل فى داخلى .

هى إذن كهولة أجدها الآن وأنا هناك فى متاهات البيت ولذا فضلت العزلة مع نفسى ومع ما أجده من أشياء تتوافق مع حياتى وهى ببساطتها ، فهناك البيت الكبير وأجهزة يقال بأنها وارثة لحضارة جديدة تساعد الانسان على العيش بشكل أفضل ولكنى لا أجد فيها شيئاً من هذا وعلى الأقل أن تمنحنى تلك اللذة التى سمعت عنها أو الراحة ، أو ، وكنت غير راض ، اذ كنتُ أفكر بعوالم أخرى وأحاول أن أحقق شيئاً يمنحنى هدوء البال ولحظات من صدق ، وهكذا فقد كرهت البعد عن مجالات الهدوء التى تتخلل حياتى ، وحاولت أن أكون مع نفسى ولمرات متباعدة أتكلم مع الذات وأنظر إلى الأشياء فى داخلى وأفكر من أجل أن أكون مع أحاسيسى الخاصة وبالذين عرفتهم واستطعت أن أضع لكل شىء حالة معيّنة فهناك فى زمن الكهولة يمكننى التعويض عن مباهج الصبوات ، وهناك بين بين فى زمن الكهولة ، وياليت الأفكار تتوافق ، فهى متباينة ولكن الذى يتفق هو الثقل المؤشر بعلامة مرسومة على الرصيد ومدى ثقله والإيهام الذى يقع به البعض وتلك مقولات أخر لقد بدأت أثرثر لكى أزيح أشياء ثقيلة ، ومنها ما هو بعيد ومنها ما هو قريب .

انتقلت إلى غرفة كنت أبقيتها مقفلة حينما أجرت بيتى القديم وفى مكانى الأول ومسقط حياتى فى أعماق الواقع ، وها أنا أعود لها وحينما أختلى مع نفسى تهيج علىّ الذكريات ، وتسحبنى لعالمها ، وحينما أنتقل إلى المقهى تتناوبنى الوقائع والرؤى والأحلام والأوقات البعيدة التى أراها قريبة جداً منى فأحاول أن أتمثلها أحياناً اصطدم بوقعها ما دامت ماثلة أمامى بصورتها وبالأثر الذى تركته ، حيث كان أبى وابن خاله والنساء كل فى جهة ، وكل واحد منهم يحاول أن يكتشف أشياءه الخاصة المعمقة بالخوف وبالطمأنينة أحياناً ، إذ ابتدأت طائرات الانكليز تضرب معسكرات المدينة ، وكانت الأصوات بعيدة وقريبة ومسموعة تماماً ، ثم رأيت النساء يهرعن إلى غرفة داخلية مهجورة فدخلن فيها وتكومن فى ظلمتها وجاءت إحداهن بمصباح نفطى وهو مشتعل الزبالة ولم أر أبى أو ابن خاله فقد انطلقا بعيداً نحو أماكن أخرى ودخلنا نحن الصغار فى تلك الغرفة السوداء المعمّقة بالظلمة ويضوء المصباح ، وكنت أخرج فيها من وقت لآخر لأتطلع إلى السماء فلا أرى شيئاً سوى حزم الضوء وهى تجوب السماء بحثاً عن الطائرات الليلية المتسللة .

فى النهار كنا نجتمع لنحكى أشياء غريبة كنا قد سمعنا بها ، وكانت فرق الجيش تمر من شارع غازى بنسق محبب وبعدها تأتى فرق من الخيالة والجميع يرتدون الخوذ الخاكى ومعهم أسلحتهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تسحبها البغال أو تجرها عربات مسحوبة بواسطة سيارات اللورى . وكانت النساء يوقفن الجند المشاة لتسقيهم ماء ، البعض منهن يزغردن والبعض الآخر يبكين ، وكانت الفرق تبتعد ولا ندرى إلى أين تتجه تتبعها سيارات محملة بالجند ومعمّمة بسعف النخيل ، وكانت تلك الصورة مؤثرة فى نفوسنا حيث كنا نجتمع نحن أبناء المحلة الواحدة أو أبناء الأزقة المتجاورة مع بعضنا لنتحدث عن الجند والإنكليز وعن المحاربين وعن مكان بعيد اسمه ، معسكر سن الذبان ، حيث يدور القتال حوله ، لقد غير هذا الاسم أشياء كثيرة فى حياتنا اليومية ، وأصبحنا نستمع لصوت الراديو وللأقاويل وللشائعات ولقصص كثيرة عن إسقاط الطائرات وعن حالات خارقة كانت تنتابها البطولة كالخيال وتتألق بها التضحية كالدماء إذن هو بيت خال أبى الذى أثار فى نفسى شتى الأحاسيس وأدار فكرى إلى الموقف الجديد ، وبيتنا الصغير المركون داخل زقاق الويص . فى محلة الهيتاويين حيث السوق والأزقة والتعات التى تفضى إلى جميع الاتجاهات .

فى المساءات شرعت ألتقى بأشخاص جدد أجلس معهم فى مقهى المحلة ، وأتناول معهم ما كنت أحمله من آراء حول العودة إلى المحلة ، البعض منهم ناقشنى عن أهمية الجديد فى حياة الإنسان ، والبعض الآخر يجد فى المكان القديم مجالاً لراحة البال والنفس والتخلص من وسائط النقل ، ثم تتضارب الآراء ونستخلص جميعاً بأن المحلة القديمة بأناسها وتطلعاتهم ، ووجودها عبر السنوات الماضية كانت أكثر عراقة بتقاليده منها إلى وجودها الحاضر ، وقد آمن الجميع بفكرة الأصل وعدم وجود البديل ، وأن الذى يعيش هناك يحن إلى الداخل ، ومن فى الداخل يود الخروج إلى الضواحى ، ثم استخلص البعض إلى أن التطور شىء محتم ومهم فى حياة الإنسان والجماعات .

وكانت مثل هذه الأحاديث تدخل فى توقيتات زمنية حيث يكون الجالس بعيداً عن انشداد ليس له مبرر لجهاز التلفزيون مثلا أو لبحث مشكلة عادية تتكرر يومياً داخل البيوت ويكون تأثير ذلك فى سلوكية الفرد طوال النهار ، ثم تتشعب الأحاديث وتتلون وصولاً إلى حالات من الضحك حول مواقف وأناس وجدوا على مدار سنوات العمر ، فالرجوع إلى وقائع وحيوات تلك الحالات مع تلوينها يشكل رؤية جديدة لها ما يبرر استعادتها والضحك منها .

وهكذا تبدأ الأحداث اليومية تتكرر أيضاً ويكون لها ما يبرر تكرارها ، فالذكريات لابد لها من الانقطاع ولا يمكن لإنسان أن يعيش على ما تفرزه الذاكرة المستعيدة ، ومثل هذه الرؤية كانت تؤرقنى وانا الآن فى طور الكهولة حيث بدأت أقطع الأرصفة وأسبر غور الطرقات وصولاً إلى شارع الرشيد أو الباب الشرقى تماماً كما كنا نفعل ، وأعود إلى غرفتى ومعى طعامى ، وبعد كل وجبة صغيرة أخرج إلى الطريق وأنا مرتد ثيابى البيتية وأسحب فى رجلى نعالاً من الجلد قاصداً جايخانة سلمان ثم أجلس مقابل أزقة السنوات البعيدة رانياً إلى عمقها وإلى بعض أبواب بيوتها التى شاخت وعتقت ، ثم أدخل إلى تلك البيوت مستحضراً وجودها القديم فى بيت حسن ومهدى ، هنا كانت غرفة على اليسار وهناك غرفة متباعدة أخرى وذلك السقف الذى يسمح لجذع النخلة أن تخترقه ، وكنت أقف متعجباً مردداً : نخلة فى المطبخ ؟! ، كيف يكون هذا ، وإلى البيت الآخر ، بيت حمودى وولديه ، لطيف وكريم ، ونخلتهم المرتكنة قرب جدار واطىء وسعفها ينتشر فوق السطح الترابى ويمتد لتفترش بعض السعفات أرضيته القريبة وفراش كريم تداعبه رؤوس مدببة من خوص تلك السعفات الواهنة المنتشية بمياه الرش صيفاً ، وفى البيت الواسع الذى يبنى الزقاق يرقد بيت جميل الشاب الذى يكبرنا عمراً فهو يقود دراجة هوائية جديدة ثم يدخل الزقاق مسلّما علينا نحن الذين كنا نصغره باعوام ، وكان جميل هادئاً ويبدو مهموماً دائماً ، ومرة سمعنا بان احد الأشخاص قد اعتدى عليه حيث طعنه بنصل خنجر حاد عدة طعنات ، وكانت الأحداث الأخرى تتوالى ، فعند جميل كورة لصنع الأوانى والمشارب الفخارية وعند الآخرين كذلك ، وكانت منافسة العمل قائمة ، ولكن المنافس لجميل كان يمتلك الأرض والمكانة والجاه والقدم فى العمل ، وقد أرسل اليه ولده فطعنه ، ولا أدرى لماذا كنت اتصور ان جميلاً قد طُعن فى منتصف الجسر ، هكذا تصورتُ الأمر ، لقد تسلل المعتدى إلى جميل بينما هو سائر يتطلع للمياه ويرقب الأشجار فى الضفة الثانية ويتطلع ممعناً فى طيران نوارس الماء ثم إلى خفق أجنحتها وهى تعود مرة ثانية ، فإذا بالشاب الحدث يقترب منه ويطعنه فى ظهره وجنبه عدة طعنات ويهرب ، لقد تصورت أشياء أخرى وبدت تلح علىّ فكرة الاعتداء ذاك ولكن الحقيقة ، أن جميلاً طُعن خارج المدينة وعند كور الفخار وقرب سكة الحديد الموصلة إلى بعقوبة وبالضبط عند محطة (كاستل بوست) والتى كان يطلق عليها من قبل العمال (كاسر بوحى) وقد غاب عنا جميل طويلاً ، ثم رأيناه يعود إلى بيته شاحباً ومريضاً .

أحداث طويلة تتوالى على مر الأيام وتتحول إلى شىء لا وجود له فى الذاكرة وتبقى الأشياء التى يتحدد فيها المصير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أو تلك التى لها علاقة بالمستقبل ، ولكن حياة الطفولة والشباب خزين لا ينضب من وقائع صغيرة .

وتلك كانت نظرتى للأمور ، فهى ليست نظرة استحضار لوقائع ماضية ، بل هى نظرة متجددة من خلال تلك المشاهد وتعلقها بحياة انسان يكاد أن يقتعد أمام الصعاب ويختفى ، أو يكاد أن ينحنى ويتلاشى امام العاصفة التى هى الزمن وخطوطه التى تفعل فعلها فى جسد الانسان وروحه .

وحينما خطوتُ الخطوة الأولى وهى العيش بمفردى ولذاق بعد أن تركتُ كل شىء ، وجدت نفسى لم تغيّر من قناعاتى ، وحتى قناعات بعض الذين أعرفهم ، فحاولت أن أدخل فى صميم الحياة اليومية للناس وبدلاً من أن تكون فى دواخلهم وجدت نفسى ضمن هامش صغير فيه استعادة محددة لكى أمنحها لذة التفكير والتدبر والتلبس والتصور وكلها حالات تنتاب انسانا عاقلا مثلى ليست له أطماع أو طموحات للعيش فى حياة مثالية ، وإنما كل طمعه وهمه فى الحياة البقاء والتجدد والتألق بعد أن تراكمت عليه متغيرات زمنية وجدها تحف به وتضعه فى مصاف حالة من حالات الكهولة . هو احساس مبالغ فيه يشير إليه البعض والآخر لا يجد فيه ذلك الكبر ، وانما يجد فيه مرتعاً لتلك الذكريات وأولئك هم اصدقاؤه الذين عاصروا حياته وتوغلوا فى عوالمها الساذجة والصعبة الداخلية والخارجية ، السوداء والبيضاء ، بحرمانها وقحطها وجدبها وبوفرة غناها وعزها وتألقها ، وكلما حاول أن يصل من خلال تصوراته تلك إلى وجود جديد كان يجد نفسه متواصلة مع ذلك الماضى الذى لم ينقطع خيطه ابداً .

بدأت المشاهد تتألق من خلال عالمه الضيّق الصغير وهو الصبى الذى يحيط به أترابه وترفّ حول عينيه واجهات مضيئة أهمها أن يعرف كيف ولماذا وأين تغدو به الأيام ، ومن الذى يحرّك هذا الكون العجيب وكيف تتواصل الحياة ولم تكن تلح عليه هذه المعرفة وإنما كانت تجد نفسها بمواجهته ، وخاصة عندما وقعت حادثة الشاب جميل الساكن فى الزقاق المجاور . .

بدأ جميل يستعيد قواه البدنية ، حيث كانت أشهر الصيف وازدهار العمل فى معامل الفخار وفى دواخل كورها المستجرة دائماً ، وفى ذلك العام جاء شهر رمضان حيث كنا نرى جميلاً يتمشى فى شوارع المحلة وخاصة فى شارع الملك فيصل الثانى ويتملى الأماكن بعينيه ويذرع الأرصفة الخالية ويتطلع المقاهى ليلاً ، وعند ناصية مقهى يطل على رصيف يحاذى سوق الهيتاويين ويتصل بسوق الصدرية ، كان رجال المحلات المجاورة يتجمعون هناك يتمتعون بسعة الفضاء وبوفرة أنوار الكهرباء المشعة ، وببعض الشجيرات المزروعة ، والتى كان صاحب المقهى يهتم بها ، وبالأرض المرشوشة بالمياه ، وعلى امتداد تلك المجالات كانت المحلات الأخرى تُفتح ليلاً ويبقى الساهرون حتى سَحَر تلك الليلة ، يتناولون حلويات رمضان ويشربون الشاى والبعض منهم ينادم النرجيلة والقهوة ورائحة التبغ المخمّر ، بدأ جميل يعد عدته لقتل والد الشاب الذى طعنه ، وهذا الأمر اكتشفناه فيما بعد . كان الرجل فارعاً وسيماً يرتدى العقال ، يقال بأنه حارب جميلاً برزقه ، وبدأ يرسل إليه الأخبار مهدداً بقتله حتى نفّذ الأمر ولده ، وجميل شاب هزّته الاعتداءات وأحس بالإهانة تتلبسه ، وفى ليلة القتل وجدتُ جميلاً يقف قرب محل بائع الحلويات وهو يتناول شيئا منها ، ولكن الأمر حدث بعد دقائق حيث بدأ جميل يتخطى حتى توقف أمام غضبان الذى كان جالساً على التخت الأمامى وبمواجهة الشارع وأمامه الشيشة وبيده فم النرجيلة ثم تقدم جميل وأشهر مسدسه بمواجهة غضبان الذى تحرّك قلقاً وأراد تفادى المواجهة إلا أن الطلقات فاجأته حتى أردته على الأرض ، تدحرجت النرجيلة وسقط غضبان قربها وانفتح حزامه .

وبدا جميل مرتبكاً وحائراً ونادماً وبطيئا فحاول عبور الشارع بعد أن تراجع إلى الخلف ورمى المسدس من يده قرب جثة غضبان ثم تكور وحاول العبور مسرعاً إلا أن سيارة قادمة صدمته فسببت له آلاماً عانى منها ، فحاول تفادى الناس الذين تجمهروا عند سماعهم لأصوات الإطلاقات ، فدخل شارع سوق الصدرية ، ومن هناك طارت الأخبار إلى الأخ الأكبر لغضبان الذى كان يقتعد تحت مقهى فى داخل السوق مرتد (دشداشته) .

تناول الأخ الأكبر مدية كبيرة الحجم وهرول بها مسرعاً نحو الشارع فالتقى وجهاً لوجه لجميل الذى دخل سوق الصدرية قاصداً مركز شرطة باب الشيخ محاولاً تسليم نفسه ، فعاجله بطعنة فى بطنه ثم أعقبها بثانية وثالثة وجميل فى كل مرة يحاول أن يتفادى الطعنات وأن يتشبث بشىء يعيد إليه توازنه ثم يقف مدافعاً إلا أنه هوى على الأرض فانهالت عليه الطعنات مجنونة بعنفها قاسية وحشية صامتة فكانت الدماء كالسعير تبقع الأرض ويسيل بعضها نحو مجرى المياه لتختلط القطرات الحارة بعفونة راكدة سوداء كالاشياء المخيفة المبهمة .

تلك الليلة انفضّت التجمعات داخل المقاهى مبكرة وأغلقت أكثر الدكاكين والمحلات أبوابها وساد المنطقة هدوء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قاس موحش لا يرحم ، وأغلقت بعض المقاهى الصغيرة أبوابها ، ولم يُسمع صوت الراديو ، ولم تكن هناك أغنيات أو ضحكات، واختفى الضجيج وحل محله سكون محمّل بالخوف والضجر والاكتئاب .

وبقيت الأقاويل والأحاديث لعدة أيام مشاعة تنقل أشياء عن القتيلين وعن القاتل وعن السبب ، وقد رددت أكثر من عبارة مع نفسى مجالها القول العادى مثل الضحية ، الحقد ، المنافسة غير الشريفة ، الانتقام ، الطرق الذى يفل اللحام الخ .

وقلت : (كم هى شائعة مثل تلك العبارات ، وكم هى بحاجة إلى رؤية جديدة متصلة بوهدة النفس المظلمة وهى تبحث عن بصيص من الضوء) . يالذكريات التى عشتها ، ويالحياة الأخرى التى هممت أن أعيشها الآن من جديد ، فأكاد أن أشير باصبعى إلى كل زاوية والى كل عطفة وقعت فيها حادثة ما .

تمشيت فى دروب عرفتها ، فبدت لى وكأنها ليست هى ، ودخلت أماكن لأتناول فيها طعامى فكانت أماكن لا حس فيها ولا طعم ، وقلت : العلة فىّ أنا ، إنه الزمن ، وتلفتُ يمنة ويسرة فلم أجد غير البعض الذى راح يذكر لى ، كيف مات فلان وكيف انتهى علاّن ، وقلت : لكل زمن تجربته ، فلقد عشتها صغيراً وها أنا أعيشها فى الكهولة ، وعلىّ أن أبدأ من جديد ، لأحاول أن أتخلص من الوهم الذى عشته ، وهم تلبسنى ، وأحسست بندم حملته لمدة طويلة ، وفى كل مرة كنت أصرخ فى داخلى وأنا فى غرفتى ، وفى بيت أبى ، بيتى القديم ، هل أنظر إلى نفسى فعلاً ، هل بحثت عن منفذ مضىء يقرّب لى تطلعاتى العادية ويحولها إلى رؤية مستقبلية ؟ أم كنت أرنو إلى الساعات وهى تناثر من حولى مكونة الأيام والشهور وحتى العقود من السنى .

ربما بدت مثل هذه التساؤلات فى تلك الفترة زائدة ، وهى حتى هذه اللحظة زائدة حيث رؤيتى إلى الآخرين مكنتنى من استعادة توازنى ، إذن فهى يقظة مظلمة سوداء ، وهى نقطة متأثرة بوهج أبيض .

وكل شىء جاهز ، لقد تجاهلت التوسطات والأقوال والآراء والالتماسات فى عودة رجل غادر بيته إلى جهة مجهولة ، تجاهلتُ كل شىء وبدأت مستذكراً .

فى الليالى الممطرة ، أسمع وقع قطرات المطر فوق السطوح الترابية ، وأرى الأشياء تتلون بمياه الأمطار ، وحينما يهب الهواء أو يعصف تتيبس الأماكن الخشبية ، أطر النوافذ مثلاً ، أسيجة السطوح ، أبواب الغرف المواجهة للعصف ، الحبال المعلّقة والمشدودة بين سعة الفناءات الطينية والمساحات البيضاء المعتمة ، ثم تبدأ الحيطان فتتخلص من مياهها ، وثمة رطوبة وعفونة متصاعدة سوداء وبيضاء كالرغوة المتجمدة تتنقط كفقاعات تقوم من الأرض لتصعد إلى الشرفات حيث تتلون الأرضيات بالمياة وتنغسل بعد كل هطول مياه حزنة عابرة أو سحب سماء ملبدة سوداء معتمةغالرصاص .

علىّ أن أستعيد من مجاهل الطين ووقائع الأرض مع الحفاة ومع الأيدى العاملة به ذكريات لا تحدها قرارة الفضاء .

وتلك مسألة اخرى بعيدة ، فالبياض يحاول أن يجد نفسه عبر ليال سود .

وهكذا لأرجع من جديد حيث أصدقائى وأيام طفولتى وسعادة معمقة بوجود أشياء صغيرة وربما تافهة ، هى استعادة الأشياء . الحديقة فى وسط الساحة ، فهى تقتسم الشا وحيث تقام سينما جديدة وتولّد محلات وتتوسع ، وقد كففنا عن اللعب بالحجر ، اذ دخلت أول لوحة من الزجاج الصقيل عند العطار الذى كان يرقبنا متوسلاً ونحن ندفع بالأحجار كالمطر السام إلى مناطق أخرى عبر الشارع .

ووجدت متعة السكون وسلوى النفس واللعب والتصوف والتهدج والتلاقى وهوى النفس والصد والوصول ، وكنتُ وحيداً أتلمس السواد فى ظلمة الليل ونفسى بيضاء كالحليب وصافية كالمرآة وتحب العَشق ولقيا الأصدقاء القدامى تماماً كفتيان صباح طالعين تجاوزوا ندرة الحلم وانتقلوا إلى زمن الرجولة .

بغداد : خضير عبد الامير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصـــــة

لـيـلـــة الغـــربـــاء

مهداة إلى مى مظفر ،

حسونة المصباحى

كان يوم الأحد ذاك صامتاً وموحشاً وفارغاً . وكانت الثلوج التى بدأت تتساقط بغزارة قبل ثلاثة أيام تغطى المدينة بأسرها ، حتى إنها بدت ببناياتها الرمادية ، وبشوارعها وساحاتها وحدائقها ، شبيهة بمقبرة غريبة لا توحى سوى بالفاجعة والألم . وكل شىء كان يبدو هامدا ومستسلما لذلك الشتاء الضارى . ولا أثر لحياة غير أضواء سيارات تمر بطيئة من حين لآخر ، أو أشباح قاتمة وثقيلة تتململ وسط بياض يبدو وكما لو أنه أبدىّ .

وراء المبسط فى بار « الفرسان الثلاثة » بشارع « غيورغ » كانت السيدة « شتينار » جالسة وحدها أمام كأس « بوجولى » تدخن وتتأمل بهدوء الشارع الفارغ والأبيض ، بينما كانت « اديث بياف » تردد بعضا من تلك الأغانى التى لا تملّها أبدا بل تشعر أنها تثير فيها أحاسيس غريبة تبعد عنها كل ما يمكن أن يكدر صفوها ، أو يوتر مزاجها . « كأنى أنا التى أغنيها » تقول دائماً لصديقتها « أوشى » . ولمدة ساعتين أو أكثر ظلت السيدة « شتينار » وحيدة . ولازبون واحد أطل . حتى أولئك الزبائن الذين تعودت أن تراهم كل يوم أحد تقريبا تغيبوا . غير أن السيدة « شتينار » لم تكترث بذلك ! فهى أحياناً ترغب فى أن تظل جالسة دون زبائن وأمامها كأس « بوجولى » تستمع إلى « اديث بياف » أو إلى « فرانك يسناترا » ، وتفكر فى شؤون حياتها الحاضرة والمقبلة ، وتستحضر ذكريات قديمة ، أو أحداثاً وقعت فى سنوات بعيدة . وقد بدالها يوم الأحد ذاك أقلّ وطأة من تلك الآحاد التى يكثر فيها الزبائن . وتظل هى تلهث من طاولة إلى أخرى ، ومن واحد إلى آخر ، حتى إذا ما حانت ساعة الإغلاق شعرت أنها على وشك السقوط من فرط الإعياء . وعلى كل ، فإن السيدة « شتينار » لم تستغرب أن يظل البار فارغا طوال ساعات عديدة ، ذلك أنها تعرف بالتجربة أن الناس فى يوم أحدٍ بارد وموحش كذاك يفضلون البقاء فى بيوتهم ، يقلّبون المجلات ، ويشاهدون برامج التلفزيون أو يلاعبون أطفالهم أو ينامون . . أو يمارسون الجنس فى الأسرّة الدافئة . .

والسيدة « شتينار » تكره البقاء يوم الأحد فى البيت . ذلك أنها تكون مجبرة فى مثل هذه الحالة على أن تظل يوما بكامله وجها لوجه مع زوجها . وهو ما لم تعد قادرة على تحمله خلال السنوات الأخيرة ، وخاصة منذ أن أصبحت الخصومات بينهما تندلع فى أغلب الأحيان بسبب مسائل تافهة . يكفى أن يقول لها مثلا : « لماذا تأخرت ؟ » أو « أعطينى الدواء » أو « هل أنت متعبة ياعزيزتى ؟ » أو يشعرها بشىء من الحنان أو الحب لكى تنفجر غاضبة ، وتأخذ فى الصراخ مثل مجنونة . ولم تُخْفِ السيدة « شتينار » أمرها على صديقتها « أوشى » العزباء بالرغم من أنها تجاوزت الأربعين . وفى مطعم « غاتو باردو » حيث يلتقيان من حين لآخر ، قالت لها بعد أن وصفت لها طويلا تفاصيل حياتها الجحيميّة مع زوجها ، إنها أصبحت تدرك أكثر من أىّ وقت مضى لماذا تضطر بعض النساء أحياناً إلى قتل أزواجهن ، وخاصة حين يشيخون ويترهلون ، ويصبح مجرد لمسهم مثيراً للاشمئزاز ، وفى نهايات تلك السهرة التى استمرّت حتى ساعة متأخرة من الليل ، أسرّت السيدة « شتينار » لصديقتها « أوشى » بأن زوجها تحول بالنسبة لها إلى حيوان بشع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ونحيف ، وإنها لم تعد تطيق رؤية جسده الشبيه بكتلة من الكارتون المبلل ، وبطنه المنتفخ ، وعروق فخذيه الزرقاء ، وصلعته المنفرة ، وذقنه المتدلى ، وشخيره المزعج ، وطريقته فى الأكل أو فى الحديث ، ورائحته حين ينهض فى الصباح ثم أضافت ملتاعة وحزينة : « لقد أصبحت ياعزيزتى «أوشى » أشعر أنى أنا أيضا أترهل وأشيخ بسرعة . وأن جسدى يتعفن ببطء كأنما هو ملقى داخل بئر عميقة وآسنة ! » . ثم ارتمت فى احضانها باكية . .

وقد تزوجت السيدة « شتينار » منذ عشر سنوات تقريباً . وكانت تعلم منذ البداية أن زوجها يكبرها بنحو عشرين عاما . غير أنها فى ذلك الوقت لم تعبأ بالامر كثيرا . بل إنها كانت تعجب بالرجال الأكبر منها سنا ، وتفتنها تجاربهم ، ومعرفتهم بخفايا النفس ، وقدرتهم على مواجهة الحياة . وكانت فى حوالى الخامسة والعشرين حين تعرفت عليه فى حفل عيد ميلاد إحدى صديقاتها . ومنذ البداية فتنت به ، وبأسلوبه فى الحديث ، وبحركاته المتأنية والأنيقة وخاصة حين يقبل أيادى السيدات ، أو يشعل سيجارة ، أو يضرب كأسه بكأس صديق آخر ، أو يتحدث فى موضوع من المواضيع . وبدا لها جذابا ومكتمل الرجولة أكثر من كل من عرفت من الرجال . وتذكر السيدة « شتينار » أنها بعد انتهاء حفل عيد الميلاد ، قبلت بدون تردد دعوته لشرب الشبانيا فى « مقهى الليل » وأنها لم تستغرب حين وجدت نفسها فى الصباح عارية بين أحضانه !

وفى الفترة التى عرفته خلالها ، كانت « الزا » ــ وهو اسمها قبل أن تصبح السيدة « شتينار » ــ تشعر بالملل والوحدة . وكانت قد عاشت خيبات مرة وقاسية فى الحياة والحب . ولم تعد تطيق تلك القصص العاطفية الصغيرة والسخيفة التى تعيشها مع شبان فى مثل سنها ، لا يعرفون كيف يمارسون الجنس ، ولا كيف يواجهون مشاكل الحياة . وكثيراً ما كانت تشعر بالخيبة والندم بعد أن تقضى ليلة مع أحدهم ، أو حين تنتهى مغامرة عاطفية استسلمت لها بسهولة تماما مثلما تركب الترام ، أو تدخل إلى مقهى . وأكثر ما كان يفزعها أن تجد نفسها ذات يوم وقد ذبلت وفقدت كل فتنتها وشبابها ، ومن حولها انفض الرجال والمعجبون ، فاذا هى فى أقصى درجات الألم والوحدة . وكانت ترتاع حين ترى نساء مضى عنهن الشباب وولّى ؟ فاذا بهن وحيدات ، ذابلات ومتوترات ، يشربن ويدخن دون انقطاع لينسين حياتهن البائسة الفارغة ! .

ولا تخفى السيدة « شتينار » أنها قضت فترة رائعة فى بداية حياتها الزوجية لم تعرف لها قبل ذلك مثيلا . فقد سافرت الى اليونان وايطاليا وتركيا . . وتايلاند وكانت تشعر وهى إلى جانب السيد « شتينار » الغنى الجذاب أنها لم تعد تلك الفتاة الطائشة والضائعة والتى لا تعرف لذة الاستقرار فى الحب والحياة . وفى وقت قصير ، بدت لأصدقائها ولمعارفها من الرجال والنساء سيدة أنيقة ومحترمة وجذابة ، تماماً مثل كل سيدات المجتمع الكبير . وقالت لها أمها وهى تتأملها بأعجاب بعد أسابيع قليلة من زواجها : « ها أنت ياعزيزتى قد عثرت أخيراً على من يوفر لك السعادة والحب ! » .

ثم كما لو أن ريحاً هبت فجأة وأطفأت الشمعة ! وإذا بالسيدة « شتينار » تجد نفسها محاطة بعتمة مثيرة للفزع والرهبة . ومع مرور الأيام بدا لها أن جسد زوجها أخذ يتعفن ويتحلل . ولم يعد باستطاعتها أن تنام ليلا بسبب شخيره الشبيه بصفير قطار قديم . ثم انتشرت فى أرجاء البيت رائحة غريبة وكريهة . وشيئاً فشيئاً ، أصبحت السيدة « شتينار » لا تطيق لمس زوجها أو النظر اليه . واستولى عليها القرف والتوتر . وكثرت كوابيسها ووساوسها . واعترتها حالات تغيب خلالها ، ويتشتت ذهنها ، فلا ترى ولا تسمع من هم أمامها أو حولها . وفى الأوقات التى يشتد فيها فزعها ، كانت تلوذ بصديقتها « اوشى » وترتمى فى أحضانها ، وتصرخ بصوت يخنقه البكاء : « قولى لى ماذا أفعل يا « أوشى » ؟ قولى ماذا أفعل » .

وتنهدت السيدة « شتينار » بشىء من اللوعة وافرغت فى جرعة واحدة ما تبقى من كأس « البوجولى » بينما كان صوت « أديث بياف » يترنح عذباً وحزيناً فى فضاء البار :

بين ذراعيك . . فى سكون الليل
Entre les bras dans le calme des nuits

ما أشتد حاجتى إلى نسيان هذا الضجيج
J'ai tant besoin d'oublier tout ce bruir

خلّصنى من جحيم هذه الحياة
Delivre-moi de l'enFev de cette vie

وهيئا بى ركنا فى الفردوس
Fais-moi mon coin de paradis CI

ولأن لحظات السعادة والهدوء أصبحت نادرة ، فإن السيدة « شتينار » تحرص على أن تهرب من البيت دائما . وكانت نفسها ترتاح لبعض من الزبائن ، يرتادون بار « الفرسان الثلاثة » كل يوم تقريباً ، ويغازلونها فى خفاء وصمت . وكثيراً ما قدموا لها باقات زهور أو هدايا صغيرة ، وواحد منهم ، وهو محام شاب وأنيق ، كتب لها ذات مرة رسالة حب وكانت هى تهدأ وتلين ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتستعيد شيئا من حيويتها ، خاصة حين تشعرها نظراتهم أنها ما تزال جذابة ومثيرة ، وأن عينيها الدعجاوين ما تزالان قادرتين على الهاب قلوب الرجال . .

وفى لحظة ما دخلوا ! .

كانوا ستة من الغرباء بمعاطف ثقيلة وقاتمة ، وبوجوه بلون الرصاص ، وبعيون محمرة ومتعبة . وقفوا أمامها على المبسط . وكل واحد منهم طلب كأس « بوجولى » . ثم ، وفى نفس اللحظة ، أشعلوا سجائر ، وراحوا يدخنون فى صمت .

وفى البداية ، اعتقدت السيدة « شتينار » أنهم أصدقاء تواعدوا على شرب كأس . غير أنها لاحظت بعد مرور عشرين دقيقة على قدومهم ، أن أحدا منهم لم يكلم الآخر ؛ أو حتى التفت اليه . ولاحظت أيضا أنهم يدخنون ويشربون بسرعة ونهم . هل تخاصموا قبل أن يأتوا إلى البار ؟ ثم لماذا هم مهمومون إلى هذه الدرجة ؟ غرباء ووحيدون . وفى يوم أحد بارد وموحش فوق ذلك . ياإلهى ! وأكيد أنهم ينامون فى غرف ضيقة وبلا تدفئة . وبلا حب . غرف فى السطوح ، أو فى دهاليز العقارات . فيم يفكّرون ياترى ؟ فى الشمس ؟ فى بلدانهم البعيدة ؟ فى عائلاتهم التى فارقوها منذ زمن طويل ؟ فى امرأة دافئة وحنونة ؟ ياإلهى كم هم كئيبون ! وكم هم متعبون ! هل تخاصموا قبل أن يأتوا إلى السبار . شىء ما فى ملامحهم يشير إلى ذلك . ولكن لا يبدو أنهم من بلد واحد . واضح أن الأول على اليمين تركىّ . رأسه الضخم ، وجسده المدود ، وشاربه القاسى ، ووجهه الممتلىء العريض . . ولباسه . . وكل شىء يدل على أنه تركى . . والذى إلى جانبه هندى . . أو باكستانى ، أو ربما من التاميل . . التاميل تكاثروا فى السنوات الأخيرة بشكل غريب . . وذاك الثالث كمبودى أو فيتنامى . . والرابع . . . ربّما يكون يوغسلافيا . . والخامس . . لا . . ليس مهما . . كلهم غرباء . . ولكن لماذا دخلوا فى نفس اللحظة إلى البار ؟ . هل تخاصموا فى الطريق ؟ يا إلهى كم هم مهمومون ؟ ولكن لماذا يبدو ذلك اليوغسلافى متوترا أكثر منهم جميعا ؟ . ولكن هل هو يوغسلافى حقا ؟ . . ربما يكون عربيا أيضا . . إنه يتململ طول الوقت . . وذاك الأسيوى . . لمَ كل تلك الشراسة فى عينيه الصغيرتين . . وذلك الآخر . . لماذا ترتعش يداه كلما أمسك بكأسه ؟ ياالهى كم هم مخيفون ! وكم هم بشعون ! ترى من الذى دلّهم على بار « الفرسان الثلاثة » ؟! أمثالهم يفضلون ارتياد تلك البارات القذرة الواقعة فى أحياء الأجانب ، أو بالقرب من محطة القطارات ، ويهابون المقاهى والبارات الأنيقة والنظيفة . .

لا . . لا . . لابدّ أنهم تواعدوا من أجل غرض معين ، ثم تخاصموا فى الطريق ، وربما يتخاصمون هنا من جديد . . . وسوف يهشمون الكراسى والنوافذ والكؤوس . . ويقلبون البار رأسا على عقب . . وهم قادرون على أكثر من ذلك . . ملامحهم وسحناتهم العابسة تدل على أنهم مستعدون لارتكاب جريمة شنيعة فى أية لحظة . ولكن ما الذى يجمع بينهم جميعا ؟ هموم الغربة ؟ الوحدة ؟ اليأس ؟ كل شىء جائز . كل شىء جائز . والتركى يشبه ثوراً هائجاً مستعداً للانقضاض فى أية لحظة . وذلك الأسيوى . . كم هو شرس وقمىء . . وذلك اليوغسلافى . . أو العربى . . يبدو حقودا مثل جمل . . والآخر . . آه ياإلهى ! . . كم هم بشعون ! ترى كيف اهتدوا إلى هذا البار بالذات ؟ ثم لماذا لا يتكلمون ؟ لماذا لا يروى أحدهم حكاية أو نكتة . . أو يسأل سؤالا . . أو يبتسم . . اللعنة عليهم جميعا . . من عادة الأسيويين أن يبتسموا دائما . . غير أن هذا الأسيوى يبدو ثقيلا وفظا . . هل بسبب تلك الحروب الكثيرة فى بلاده . . أم . . لا . . ليس مهما . . على أن انتبه ! . . ولكن لماذا لم يأت أحد من أولئك الزبائن الذين تعودت أن أراهم كل يوم تقريبا . . وكيف يتحملون البقاء فى بيوتهم يوماً بكامله . . كان عليهم أن يخرجوا . . ليشموا الهواء . . وليتسمتعوا برؤية المدينة وهى مغطاة بالثلج . . ولا أحد منهم أطل . . ليساعدنى على تحمل هذه الكتل البشعة المكدسة أمامى . . وأكيد أن التركى يخفى شيئاً فى جيب معطفه الأبيض . . وإلاّ لماذا يدخل يده هناك طول الوقت . . ربما سوف يخرج سكينا فى لحظة من اللحظات ويطعن أحدهم . . وذاك الأسيوى . . لماذا ترقص عيناه الشرستان دون توقف . . هل ينتظر أن يهاجمه واحد منهم . . وذاك العربى أو ذاك اليوغسلافى . . لماذا لا ينقطع عن التململ . . وعن كزّ أسنانه . . وذاك الآخر . . . اللعنة عليهم جميعا . .

وفجأة ارتاعت السيدة « شتينار » وكادت تطلق صرخة عالية إذ تذكرت حلما مخيفا أقضّ مضجعها منذ أكثر من شهر . . رأت نفسها وسط فلاة خالية تماما ، ولا أثر فيها لحياة ، تمشى وحيدة وحافية . وفجأة طلع عليها رجال سود غلاظ ، وركضوا وراءها . وركضت هى بكل ما أوتيت من جهد . غير انهم سرعان ما أدركوها . وفى طرفة عين ، جردوها من ثيابها ؟ وألقوها عارية على الأرض . . و . . آه يا إلهى . . إنهم يشبهون تاما أولئك الرجال فى الحلم . . وخاصة التركى . . وذاك الذى ترتعش يداه كلما أمسك بكأسه . . وحتى ذاك الآخر . . وأحست السيدة « شتينار » بدوار وبشىء يشبه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاغماء . . يا إلهى ! ماذا أفعل ؟ ماذا أفعل ؟ هل تتلفت لأوشى ؟ ولكن « اوشى » ذهبت إلى برلين لتزور أمها المريضة . هل تتلفت لزوجها ؟ لا . . لا . . حتى ولو مزقوها ، لن تفعل ذلك ! هل تتصل بالشرطة ؟ ولكن ماذا تقول لهم ؟ . . . وكانت السيدة « شتينار » ترتعش مذعورة حين دفعت امرأة الباب ودخلت ! .

جلست هناك بعيدا فى أقصى الركن الأيسر من المبسط وطلبت كأس « بولوجى » ثم اشعلت سيجارة وراحت تدخن كئيبة ومشتتة الذهن . وبالرغم من أنها كانت غريبة هى أيضاً ، فإن السيدة « شتينار » شعرت أن فزعها واضطرابها خفا إلى حد ما . . انها امرأة مثلى . . تفهمنى وأفهمها . . صحيح أنها غريبة . . غير أنى لا أعتقد أنها سوف تتركنى وحيدة بين مخالب هؤلاء الذئاب . . المرأة أكثر حنانا من الرجل . . آه يا « أوشى » . . لو كنت معى ! . . لضحكنا منهم جميعا . . وسخرنا من سحناتهم العابسة ، ومن حُزْنهم السخيف . . لا يهمّ . . ها قد جاءت امرأة لتحمينى من شرهم . . ولكن هى أيضا تبدو فى أقصى درجات الهم والوحدة . . هل هى تركية ؟ . لا . . ربما تكون فارسية . أو عربية . . أو . . . ليس مهمّا . . كلهن متشابهات . . المهم أنها جاءت فى اللحظة المناسبة . . ولكن لم هى مهمومة إلى هذه الدرجة ؟ إنها ما تزال شابة . . وجميلة . . ويمكنها أن تضحك وأن تفرح . . وأن تحب . .

وودت السيدة « شتينار » لو تتحدث اليها قليلا ، وتسألها عن أحوالها ، وعن مشاكلها ، وضرب كأسها بكأسها . . وتتسلى معها تماما مثلما تفعل مع « أوشى » . . وحاولت أكثر من مرة أن تلفت انتباهها لتبوح لها برغبتها تلك . . غير أن المرأة ظلت غارقة فى همومها ؟ تدخن وتنظر ببرود إلى الطاولات الفارغة، ومن حين لآخر تغمض عينيها وتنفث هكذا ساهمة أمام حلقات الدخان . . . وحزنت السيدة « شتينار » حزنا شديداً . . وكادت تجهش بالبكاء . . . يا إلهى . . يجوز أن تكون صديقة لأحدهم ؟ . . جائز . . كل شىء جائز . . ويبدو لى أنها غمزت لذلك التركى حين دخلت . . وربما تكون واحدة من تلك النساء الخطرات اللاتى تميل نفوسهن إلى العنف والجريمة . . وجائز أن تكون عضوا فى عصابة هؤلاء الغرباء الشرسين . . شىء ما فى ملامحها يوحى بهذا . . وأكيد أنها جاءت لنفس الغرض . . ولربما كانوا ينتظرون قدومها لكى يشرعوا فى تنفيذ ما جاءوا من أجله . . آه السافلة ! . . إنها تلعب دور المهمومة والمغلوبة على أمرها . . حتى لا يشتبه فيها . . وقد كتبت الجرائد ذات مرة عن امرأة تقود عصابة متخصصة فى ترويج المخدرات . آه . . الفاجرة ـ كان على أن أنتبه منذ البداية . . وألاّ أكون غريرة وساذجة . . إنها معهم . . أكيد إنها معهم . . الفاجرة . . كان على . . .

وفى تلك اللحظة تململ الغرباء الستة فى أماكنهم . . وانتظرت السيدة « شتينار » شاحبة ومبهورة الأنفاس أن ينقضوا عليها ، ويجردوها من ثيابها ، ويلقوها عارية على الأرض . . و . . . غير أنهم اكتفوا بطلب الحساب . . .

دفعوا ، ثم انسحبوا فى هدوء وصمت تماما مثلما دخلوا ! .

تنفست السيدة « شتينار » الصعداء . . وودت لو تخرج الشارع ، وترقص فوق الثلج ، وتصرخ : لقد ذهبوا . . لقد ذهبوا . . . ! » . . .

كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة ليلا . . وكان « فرانك سيناترا » يغنى غرباء فى الليل » ، بينما راحت السيدة « شتينار » ترتب البار استعدادا للإغلاق ، وفى لحظة ما سمعت نشيجا خافتا . ولما استدارت شاهدت المرأة الغريبة دافنة رأسها بين يديها . . تبكى أمام كأس « البوجولى » الفارغ . . وراح بكاؤها يعلو ويعلو حتى غطى تماما على صوت « فرانك سناترا » . . غير أن السيدة « شتينار » لم تشأ أن تسألها عن سبب بكائها . ولم تكن ترغب فى معرفة ذلك . كانت تريد فقط أن تعود إلى بيتها بسرعة لتنام نوما عميقاً وتنسى ليلة الغرباء ! .

ميونيخ : حسونة المصباحى

ى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصـــــة

حيـــوات الضـــــوء

سعيـــد المباشـــر

بعيد هو الزمن الذى كنت فيه أتفرس الوجوه ، أرقب انحناءات الضوء والتواءات الخطوط ، فى تلك الأيام كنت أرتزق من بيع اللوحات الرخيصة ، مناظر ريفيه لم توجد قط إلا فى ذهن سيدات الزهور الصناعية ، وعلى شرف الفن كنت أرسم عمالا مكدودين وشيوخاً ينتظرون على المقاهى بلا جدوى .

لكن الأبيض ــ الضوء على حافة الكوب وعظام الوجنة لم يكن ليرضينى ، كان بداخلى شوق إلى ضوء آخر . رحت أدرس أعمال الأساتذه العظام ، أعيد رسمها بأمانة ، أسير على دربهم لمسة بلمسة وخطا بخط ، أتمثل حيرتهم أمام فيض الخطوط والألوان ، جربت تقنيات عدة ، ومع هذا ظل ما أريد بعيد المنال . كنت أريد الضوء . إلى أن واتتنى الجراة أخيراً لأن أغمر لوحاتى بالأبيض ، أنقش داخلها بألوان أقتم شيئا فشيئاً حتى يبين الوجه بالكاد ، كانت بداية مجدى عندما توقف ناقد أمام لوحة لى ، فى خلال أيام صرت حديث منتديات المثقفين ، وفى المعرض التالى كانوا يرطنون بالفرنسية ، يشيرون هنا وهناك ويخبرونى بأشياء لم تدر بخلدى قط .

مع هذا لم يقدر لى أن أصور ذلك الضوء ، الوضاح وصبىٌ يرقبه آتياً من النافذة العالية ، يزر العينين ويرقب الحيوات التى يموج بها .

وحدهم الهواة يعتقدون أن اللوحة تنجز دفعة واحدة هكذا ، الفنانون والمحترفون يعلمون أنها تنجز أولاً فى ذهن الفنان وتجود عبر عشرات التخطيطات والدراسات قبل أن توضع على القماش المشدود مضافا إليها تلك اللمسة الخاصة ، تلك اللمسة اكتسبتها عبر تاريخى الطويل ، تنسيق رائع بين العقل وعضلات الكتف والذراع واليد ، تأتى الفرشاه خطا أو بقعة لا أحيد عنها ، إلا أن ما كان له ان يبهر الطلاب فى قاعات العرض أصبح مصدر تعاستى . أن أبدأ من جديد لهو حلم العشاق من قديم ، ومع هذا رحت أغمر فرشاتى فى الزيت أعالج اللون أفرشه على القماش مباشرة محاولاً أن أحيد عقلى الواعى مما استطعت ، وأن أستدرج ذلك الصباحالدافىء . . . صباح ذاكرتى البعيد .

مع هذا لم يواتنى القدر إلا بوجوه أعرفها وتكوينات سبق أن ركبتها عشرات المرات ، الآن إذ اضع الفرشاة جانبا أعرف أننى لا أستطيع أن أضيف إليها ، لقد أصبحت لها حياتها الخاصة وتستطيع أن ترحل بعيداً .

يقال إن ما يبقى لنا نحن الشيوخ هو الذكريات ، أما أنا فقد كنت أخاف أن أبحر فى هذا البحر الزاخر أن أفتح هذا الباب فأضيع فى الدهاليز وأهلك قبل أن أرى النور . كأن الشباب والذاكرة على خصام ، كنت دائماً أريد الجديد الآنى ، لم يفزعنى الشعر الأبيض ولا تجاعيد أسفل العينين ، كنت أعرف ، سأشيخ فقط عندما لا يبقى غير الذكرى .

الآن إذ أجلس هكذا أبحلق فى اللاشىء ، استعيدهم واحداً إثر الآخر ، استرجعهم بتلويحات الأيدى ، بالخطوط الغائمة تحاول الإحاطة بالكتلة ، أدهش ، لم أكن أعرف أن بالمقدور اختزان كل هذه الذكريات الأصوات . . .

الألوان . . . الروائح ، وما كان يأتيني رويداً صار نهراً لا ينقطع ، أشياء لم أكن أتصور أني متذكرها وطرائف لا تنتهي ، كنت سعيدا باكتشافاتي ، أحلها لمن بقي من الأصدقاء ، أحكيها للزوجة والأبناء على مائدة الطعام ، كان بي ظمأ لإشراكهم في تلك الحياة التي مضت ثم عادت لتتفتح في روحي من جديد .

إلى أن سئمت لعب دور مخرف الأسرة الذي يندفع فجأة في الحديث عن أشياء لاتهم أحداً وأحداثاً لم يقدر لها أن تحرك التاريخ .

فعرفت ان التذكر والصمت صنوان لا يأتي أحدهما دون الآخر . وأنا الذي كنت أخشى الإبحار في الذاكرة صرت ملاحاً طاهراً أزيح غمامات الشيخوخة ، أكشف عن وجوه أخرى ، أتتبع أحداثا بعينها وإن بقيت بعض أبواب مستعصية عليّ . تلك السيدة تغني بصوت مبحوح والأبخرة تتصاعد من حولها ورائحة توابل حريفة بقيت إلى الآن في أنفي ، وصبي يرقب مستكيناً الضوء الآتي من النافذة العالية .

في تجوالي صادفت رأس دمية محشورة وراء الخزانة ، كم أرهقني البحث عنها من قبل ، خيوط ملونة ، أزرار صدفية ، قطع من مرآة صغيرة ، وعندما قررت التوغل وراء اللذة الأولى ، الألم الأول والدهشة الأولى لم يواتنسوى محض انطباعات حسية مبهمة حتى أن الكلمات تعجز عن وصفها ، وإلا فكيف لنا أن نصف ملامسة الزغب الناعم في الأغطية الشتوية والمقابض الخشبية التي أكسبتها كثرة الاستعمال نعومة البشرة والأزرق الصريحقبيل الفجر وقطرات الندى تشق طريقا لامعا على الزجاج المغطى بطبقة رقيقة من الغبار .

أخرجني من حالي رائحة حريفة ، اتجهت إلى المطبخ ، كان الضوء الآتي من النافذة ذات الحديد المشبك يحدد منظرها الجانبي بدقه ويتخلل شعرها في هالة فضية ، وهي تدندن بصوتها ذي البحة المحببة إلى قلبي التفتت إليّ ، دست قطعة من اللحم المسلوق في قطعة خبز وأعطتني إياها ، سرت متمهلا للغرفة الكبيرة . . . لملمت خيوطي الملونة وقطع المرآة الصغيرة ورحت عبر قطع الأثاث العملاقة أبحث عن الركن الدافيء الذي أعرف ، كان الضوء الآتي من النافذة العالية يرسم على الأرض خطوطاً حادة تجعل كل ما يقع خارجها في ظلام دامس . زررت عيني وأنا أرقب تلك الحيوات الدقيقة تموج في الضوء ، أغلقت عيني وأسلمت وجهي للشمس كانت تحيرني تلك النقط الحمراء تسبح في اللا شيء ، كان يحيرني ذلك الوهج الغامض تحت الجفون لا أعرف من أين يأتي .

القاهرة : سعيد المباشر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ع

قصـــــة

عـــــــودة

ابـراهيم قنـديـل

طوال عدة أسابيع مضت ، كثيراً ما انتابتنى هذه الحالة من الشرود المطول العميق ، خاصة فى أوقات العمل . تظل بعض الأوراق بيدى سانداً ظهرى إلى المقعد ، أو منحنياً فوقها على المكتب ، وحول الأوراق دائماً نفس المشهد الذى أبدأ محملقاً فيه ثم لا أراه : اللون البنى الباهت لخشب المكتب وما عليه ، آثار دائرية لأكواب شاى قديمة ، ذرات دقيقة من رماد السجائر مبعثرة حول المطفأة ، قلم حبر جاف أو قلمان . كل ذلك غارق فى رائحة تبغ محترق مختزنة ولغط مبهم هو محصلة ضجيج الشارع وحركات الموظفين وإضاءة لا لون لها هى خليط من ضوء النهار غير المباشر وضوء مصباح الغرفة الوحيد .

فى المرات الأولى قلت لنفسى . . ربما كان هذا الشرود ناتجاً عن إرهاق زائد ، فقد تزامن أول هذه الحالة مع قيامى بعمل إضافى لمرض أحد الزملاء ؛ غير أن نوبات الشرود استمرت تعاودنى بعد أن رُفع عنى ضغط العمل الزائد . قلت ، حينئذ ، ربما كانت حالة نفسية ناشئة عن فتور العلاقة بينى وبين زوجتى ، خاصة فى الفراش ، ولكنى اكتشفت أن هذا الفتور قائم منذ سنوات ، منذ العام الثانى لزواجنا تقريبا . ربما كان اضطراب المزاج الموسمى الذى كان ينتابنى فى شبابى المبكر أوقات تغير الفصول قد عاودنى ثانية . وبدا لى أن هذا هو أقرب المبررات إلى الصواب ، فقد بدأت هذه النوبات مع نهاية الخريف الماضى . غير أن الخريف انتهى ونزل مطر الشتاء ثلاث مرات أو أربعا ، وها نحن قد صرنا فى نهايات الشتاء ولم تنصرف عنى هذه النوبات بعد ، بل على العكس . . ازداد معدل حدوثها وأصبحت كل نوبة أطول من سابقتها مما جعلنى أنجح ، خلال الأسبوعين الماضيين ، فى التآلف معها واعتياد هذا التوهان الشارد الذى يحتوينى خارج الزمان والمكان . . كأننى فراغ مسجون فى فراغ ـ لو يصح هذا التشبيه . وكنت قد بدأت أرتب حياتى على هذا الأساس حتى جرى ، أمس الأول ، ما جرى .

ففجأة ، وانحنائى الشارد على الأوراق فوق المكتب هو هو كالمعتاد ، رأيت ظلاً يزحف على سطح المكتب قادماً من واجهته ليستقر على الأوراق بين يدىّ . رفعت بصرى فرأيته واقفاً فى مواجهتى ؛ وجهه معروف تماما لدى ـ بل « معروف » كلمة غير دقيقة . . أقل كثيراً مما أحسسته تجاه ملامحه ، غير أن عجزاً حاداً عن تَذكُر من هو تملكنى .

تبادلنا النظرات ، ونطق هو ببضع عبارات وانصرف ووجهه مطبوع على عينىّ وهويته تتململ ، شوكاً ، بذاكرتى وأعصابى . ابتسامته ، التى كانت تحز رقبتى كسكين ، أكدت شيئاً واحداً فقط . . هو يعرفنى جيداً ، يذكرنى جيداً ، ويعرف أيضاً عجزى عن تذكره .

زميلاى بالحجرة كانا حاضرين ، وقام أحدهما وأخذ أحد الملفات من على مكتبى ، ورغم هذا لم يلحظ أى منهما وجوده . . بل أقسما إنه لم يدخل الحجرة أى شخص غريب ، وضحكا حين قلت إنه كان أمامى عارياً تماماً . . عارياً كما ولدته أمه . . عارياً كما كنت واثقاً من أننى قد رأيت منه هذا العرى من قبل .

ـ طبعا لا تستطيع أن تذكرنى ؟!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ . . .

ـ كنتَ تعتقد أننا لن نلتقى ثانية ، أم لم يخطر لقاؤنا ببالك ؟

ـ . . .

ـ كم تغيرتَ وبدا عليك العَجَزُ أكثر مما ينبغى . . !

وعلى الرغم من دهشتى الصامتة ، ومن عجزى عن استجلاء هويته ، انتبهت عند هذه العبارة إلى أنه أصغر كثيراً مما يجب أن يكون .

ـ يبدو أننى أثقلت عليك .

ـ . . .

قالها وانصرف مُمرراً عريّه من الحجرة إلى الخارج عبر الباب .

*

لا أنكر أن زوجتى كانت أقل قسوة من زملائى فى رفضها لتصديق ما جرى ؛ أبدت شفقة وجزعاً حاداً دون تفهُّم أو اقتناع بما أقول ، وأصرتْ على اصطحابى إلى الطبيب بعد الغداء مباشرة على مائدة الغداء ، تجمدت أصابعى فجأة أثناء انتزاع ورقة خس تذكرتْ أنه حين انقطع عن الكلام وسحب ابتسامته الساخرة من عجزى عن تذكره برق بذهنى ـ بينما أحملق فى وجهه مأخوذاً ـ أن على ظهره ، وأسفل عضلة كتفه الأيمن مباشرة ، يمتد وشم بنى حتى قرب عموده الفقرى ؛ وأنه حين استدار خارجاً ، وأصبح ظهره فى مواجهتى ، ظهرت ورقة التوت كما تخيلتها تماماً .

قمتُ عن الطعام ، ألهث فى داخلى محاولاً أن أتذكر ولو اسمه الأول فقط ؛ رئتى تنفجر برأسى وهو يستقر ببصرى واثقاً من عجزى عن تذكره . . ذلك العجز المتضاعف كالحريق منذ رأيته .

كنا على وشك مغادرة المنزل ، وزوجتى توصى طفلنا الأكبر بالهدوء وحسن رعاية أخته الصغرى حتى نعود ، حين دق جرس الباب .

بردهة باب المنزل الضيقة توقف بصرى للحظة عند اللوحة الزيتية على الجدار الأيسر ، وعاء خزفى مزرق تبرز من عنقه زهور فاقعة الاحمرار والاصفرار . تذكرت صورة ملونة ، كبيرة بحجم نافذة ، لمجموعة من خيول بيضاء تعدو باتجاه البحر الذى تستقر على نهايته شمس مغيب أرجوانية بخلفية المنظر . لم يكن هناك وقت لأتذكر أين رأيت هذه الصورة من قبل ، وفتحتُ الباب . طالعنى وجهه مبللاً بالدمع ، ولم أتبين من ملابسه سوى كوفية من صوف خشن . ذات ألوان قرمزية وبنفسجية غامقة ، ملتفة حول عنقه ويتدلى طرفاها إلى صدره . كوفيتى كنت قد نسيتها تماماً منذ سنوات . كانت هدية منها إلىّ فى عيد ميلادى الحادى والعشرين الذى احتفلنا به وحدنا فى حديقة خالية إلا من شمس شتاء رقيقة توشك أن تغيب . لفت الكوفية بيديها حول عنقى وتركتْ كفيها بين كفىّ ، وتركتنى ، أنقل سجود شفتىّ من راحتيها إلى جبينها . كنا فراشتين وحلماً واحداً ، وللمرة الأولى ، قبلة واحدة ؛ وخرجنا من الحديقة لكى تدهمها ، أمام عينىّ ، سيارة مسرعة وهى تلتفت إلىّ مودعة ؛ ورحلتْ . عيناه طافحتان بالدمع فى مواجهتى بباب المنزل ، وصرير عجلات السيارة بأذنى ، والعجز انفجر بداخلى وأنا أذكر ولا أذكر ملامحه ، ورئتى تضيق والهواء ينسحب من كل الدنيا . ولم أشعر سوى ببرودة بلاط الأرضية تحت خدى وكان آخر ما برأسى صورة الجياد البيض والبحر معلقة ، دونما إطار ، إلى جدار غرفة أسفله سرير صغير .

*

بقايا من ضوء آخر النهار كانت تغادر الحجرة حين انفتحتْ عيناى ورأيتُ ما حول فراشى . للوهلة الأولى لم أشعر سوى بآلام تصدع بعظم جمجمتى ، ثم جاء وجه زوجتى ومن ورائه وجه أخى الأكبر حين التفتُ إلى يسارى . تذكرته ودار بصرى بالحجرة ، كنت أعرف أننى لن أراه ، وكانت الكوفية هى ما يشغلنى . اقترب أخى وسألنى بصوت خفيض :

ـ هه . . أفضل الآن ، الحمد لله ؟

أومأتُ برأسى إيجاباً ، وسألت عن أطفالى فعرفت أنهما ببيت أخى مع زوجته التى جاءت معه ورجعتْ قبل قليل . تحت إلحاح شديد من زوجتى وأخى قصصت عليهما باختصار ما جرى حين فتحت باب المنزل ، غير عابىء أن يصدقا ؛ كما لم أهتم بقول زوجتى إنها حين سمعت صوت ارتطامى بالأرض هرعت إلى الباب ولم تجد أحداً على الإطلاق ولا حتى على درج المبنى .

منذ استيقظت كانت تكبر بداخلى رغبة حميمة فى زيارة المنزل الذى عشت به سنوات شبابى ، أيام الدراسة الجامعية مع صديق رسام كان يدرس بالفنون الجميلة وهاجر بعد التخرج إلى أوربا . لم يكن هذا البيت مجرد مسكن لى وله أيام الدراسة فحسب . . بل كان مأوى شبه دائم لكافة أصدقائنا الصعاليك ومحترفى لعب النرد وضحايا قصص الحب الفاشلة وعشاق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السهر ، وكان مرسماً وصالوناً أدبياً ، ولم يخل الأمر أيضاً من استخدامه مخبأ للأصدقاء المشتغلين بالسياسة . بعد تخرجى ، ورحيل صاحبى الرسام ، وانفراط شملنا إلى خدمة عسكرية بلا نهاية أو وظيفة بمكان ناءٍ أو سفر للعمل ببلد عربى أو زواج وعزلة أو انشغال بتجارة أو سجن ، استعنت على دفع إيجار البيت بتسكينه لطلاب العلم الوافدين من بلدتنا ، ثم فكرت فى الإقامة به عند زواجى غير أن أهل زوجتى رفضوا ذلك بدعوى أنه بيت قديم وبمنطقة شعبية غير لائقة . وكنت قد جمعت كافة حاجيات صاحبى الرسام وأوراقنا وكتبنا ، بعد رحيله ، فى واحدة من غرف البيت الثلاث ، وكان البيت مهجوراً ولم ألق عليه نظرة واحدة طوال سنوات مضت .

ـ ماذا . . ؟ أين ذهبتَ ؟!

شدنى صوت زوجتى من صدى الماضى ومن أحضان زمان هرب وهربتْ منى وجوهه .

ـ سأخرج الآن .

فزعت زوجتى وردت على الفور :

ـ كيف ؟! . . كيف وأنت متعب هكذا ؟

ـ لم أعد أشعر بأى تعب . لقد أراحنى النوم وسأخرج الآن . وفيما أنا أتجه صوب خزانة الملابس توقف بصرى على صفحة التقويم . كان اليوم هو عيد ميلادى . . نفس اليوم الذى دهمتها فيه السيارة ؛ وعجزت ثانية عن تَذكر كيف ضاعت منى كوفيتها ومتى !!

*

إلى يمين بداية الشارع الضيق يربض أقدم مساجد الحى ، والمصلون منصرفون بعد انتهاء صلاة العشاء . تحسست مفتاح باب البيت بجيب سترتى ؛ أشعلت مصباح الصالة قبل إغلاق الباب . كان البيت خالياً طوال السنوات الخمس الماضية ، لم تطأه قدم ؛ صمت هنا وغبار هناك ، أيام وسنون تتحول تلقائياً إلى ذرات من الصمت والسكينة رفعت ذراعى إلى عداد التيار الكهربائى ، حيث احتفظت فوقه بمفتاح غرفة أشيائنا المغلقة ، علقت بأصابعى مسحة كثيفة من غبار شديد النعومة . أدرت المفتاح بباب الغرفة . هواء قديم تدافع إلى صدرى كالسجين الهارب ، رائحة عتيقة تفاجىء رئتيك وهى تستطلع من القادم ، فإذا بصدرك يكبر ويكبر . . تذوب الأرض تحت قدميك لتعلو أنت فوقها . . بالونة من بالونات الأطفال ، انقطع قيدها وتحررت فى السماء . امتدت يدى ، تلقائيا ، إلى الحائط ، إلى يسار إطار الباب ، وضغطت على زر المصباح . طبقة رقيقة من غبار ناعم كانت تستقر على الجياد والبحر والشمس بصدر الحائط المقابل ، حيث تتدلى الصورة من مسمار واحد باق بأحد ركنيها العلويين . أصبح شاطىء البحر عمودياً على السرير أسفل الجدار ، غير أن شيئاً من مائه ما انسكب على الأرض ، ولا تحولت عنه نظرات الخيول . السرير ، المعدنى ، الصغير لصق الجدار ؛ ملاءته البيضاء ووسادته النيلية ـ هأنذا أتذكر ـ أحالهما الغبار إلى لونه الرمادى . مكتب صغير ينحشر ومقعده بين رأس السرير والجدار الآخر ، وبين الطرف الآخر للسرير والجدار المقابل منضدة ومقعد يسندها مكان رجل مفقودة . أكوام من الكتب وفُرش التلوين فى كل مكان ؛ لوحات خشبية تستند إلى حافة السرير ؛ علبة اسطوانية من صفيح ـ لنوع من المسلى لم يعد يُصنع الآن ـ تستقر على المنضدة إلى جوار صف من الكتب ، ومن فوهتها تظهر أطراف فُرش قديمة . إلى يسار مدخل الغرفة صوان للملابس تكدست فوقه كتب وصناديق كرتونية وألواح رسم ورقية ملفوفة فى شكل أسطوانى . حامل رسم خشبى يستند إلى أحد أبواب الصوان ـ نفس الباب الذى لم يكن ينغلق تماماً . وحتى على المقاعد الثلاثة المتراصة إلى الجدار المواجه للصوان كتب ومجلات وجرائد راقدة فى حزم متربة ، وعلى إحداها جهاز « راديو ترانزستور » قديم .

رفعت عن السرير رزمة الأوراق الوحيدة المستقرة عليه ، وجلست بها إلى منضدة بمنتصف الغرفة ونفضت الغبار عن الأوراق . مجموعة كبيرة من « بورتريهات » سريعة بالقلم الرصاص . . من هذا ؟ لا أذكر ، هذا ؟ . . آه . أذكر ملامحه فقط ، هذا ؟ رأيته منذ سنوات بمحطة قطار بالمصادفة ولم يكن يذكرنى ، هذا ؟ توفى قبل سنوات ، هذا ؟ يكتب الآن بالصحف عكس كل ما اعتاد أن يقوله هنا ، هذا . . صديقى الرسام نفسه . . رسم وجهه بطريقة كاريكاتورية مبالغ فيها ، هذا من ؟ من ؟ حركت الورقة إلى اليمين قليلاً لمزيد من الضوء فرأيت الظل يزحف متكسراً على الكتب والأوراق فوق المنضدة ، مقترباً منى . رفعت بصرى عن صورة الوجه بالورقة فرأيته عارياً إلى الناحية الأخرى من المنضدة أمامى ، يحملق فى وجهى . ارتد بصرى إلى الورقة سريعاً مرة أخرى حيث كان الوجه المرسوم بالرصاص يطالعنى بنفس النظرة .

كفر الشيخ : ابراهيم يوسف قنديل

قصـــــة

البـــاب الأخضـــر

كمـال مرسـى

فى البداية كان يبدو أن المشكلة سهلة الحل .

المهم أن يروى بالتفصيل كل ما حدث . . . سيتكلم عن ليلة الحادث بكل دقائقها منذ بدأ كل شىء ، وعن مشكلته ومشكلة الآخرين معه . . منذ استلم الوردية فى المغرب حتى صباح اليوم التالى ، وعن زوجته المريضة وملف خدمته والعيال والظلم .

وهو بعد أن طوى تلك المسافات الشاقة المضنية من براري الحامول فى أقصى شمال الدلتا حتى العاصمة ، يحس بأن كل عنائه الكبير قد أوشك على النهاية ، تأشيرة صغيرة أو حتى كلمة واحدة خلف ذلك الباب المبطن بالجوح الأخضر وتنقشع كل البلايا التى خيمت على حياته إثر الحادث ــ المهم أن يروى كل شىء .

المكنة كانت مزودة بالوقود . . زيت وسولار وشحم . . وأذنه عليها طول الوقت ، تتابع فى تلقائية وبلا إرادة كأنها عادة ، دورانها مختلطا بصوت خروج الدخان من ماسورة العادم ، والدنيا من حوله ليل أسود مخيف ، بارد كالثلج ، كالأموات ، سواده كفن حالك كثيف النسج غير شفيف لا ترى كفك فيه .

لكن تدفق المياه فى الماسورة الكبيرة فى المحطة وهدير انسكابها فى الترعة الغربية لم ينقطع عن أذنيه لحظة واحدة وهذا دليل ياسيادة الرئيس على تشغيل المكنة طول الليل .

لابد أن يحكى له كل شىء ، من أول ملف الخدمة الذى خلا من أى جزاء حتى يومنا هذا . .

المهم كل شىء . . .

سهر طول الليل مع الظلام والبرد حتى إذا ما بدأ الميت الأسود يبتسم وقعت الكارثة ، وانقطعت فجأة جميع الأصوات التى كانت مربوطة بأذنية . مات صوت انسكاب المياه فى الترعة الغربية وخمدت نفثات الدخان المنتظمة من ماسورة العادم بينما امتلأت أنفه برائحة المحرك الهامد كجثة فارقتهاالحياة . . . رائحة احتراق مع أن المكنة ــ ياسيادة الرئيس ــ مزودة تماما بالوقود . . زيت وسولار وشحم . (لابد أن يركز على هذه النقطة عندما يدخل) لكن الباب الفخم المبطن بالجوخ الأخضر مازال مغلقا . .

قال الحاجب الأسود لما عرف سبب مجيئه :

ــ ربنا يسهل وينطفىء النور الأحمر فوق الباب . .

وقف فى استكانة قرب الحاجب ينتظر . . .

ــ لا . . اعمل معروف . . وقفتك قرب الباب تقطع عيشى .

انسحب إلى نهاية الطرقة وعينه على النور الأحمر . لو انطفأ الآن يعود على الفور ويدخل . زملاؤه فى الحامول قالوا : إن سيادة الرئيس رجل طيب عادل . . وجهه أبيض . . عنده عيال ويلبس نظارة .

تأشيرة صغيرة أو حتى كلمة منه (خلاص ياعبد القوى) وينتهى كل العذاب والظلم والسعال المشروخ فى صدر صفية . .

المهم أن يروى كل شىء . . .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

هل من المعقول أن يدير المكنة طول الليل دون أن يزودها بالوقود كما ادعوا فى قرار إدانته ؟ إنه ينسى أحيانا عشاء عياله ولا ينساها هى . . يا ناس . . ياعالم المكنة محتاجة صيانة . . لا يمكن أن تدور هكذا مثلى بلا صيانة . .

فى التحقيق ، همس . . قال . . . صرخ بأعلى صوته : الباشمهندس مسئول عن الصيانة ، المسألة أنهم لا يريدون إدانته . . يستكثرونها . . يخشون الباشمهندس لأنه مسنود . . زملاؤه قالوها حكمة : (ياعم . . الميه ما تجريش فى العالى . .) كل شىء يدور ، محتاج لصيانة . لكن آذانهم كانت من طين وعيونهم مغمضة كعيون السماء الملبدة بالغيوم ليلة الحادث .

كانت ليلة سوداء ، حاول فيها بكل طاقته رغم سهره طول الليل مع الظلام والبرد أن يعيد للمكنة الحياة . . غرق ساعداه فى الشحم والسولار الأسود . . تابع بأصابعه النحيفة المدربة جميع الأسلاك وشرايين الزيت بلا جدوى . . وعندما زقزقت العصافير فوق ماسورة المحطة وعلى شجرة الصفصاف العجوز المجاورة أقبل أبو الفتح الصعيدى ليتسلم وردية الصباح منه . . أبو الفتح كان أول من علم بالحادث . .

ـ عملتها يا عبد القوى . . نهارنا أسود . . بكرة يحملونا ثمنها . . . المصيبة إنى شريكك فى العهدة . .

أبو الفتح أول الآخرين الذين عكّر الحادث مجرى حياتهم فهو قد ترك قريته فى قاع الصعيد ليطوف فى الحامول وراء لقمة العيش فى أقصى برارى الدلتا وفى رأسه أفكار حلوة بسيطة صغيرة . .

يدخر من أجره ثمن بقرة ويعود إلى قريته ليستأنف فيها حياته من جديد . . وكان يغنى فى ليالى غربته الشقية ـ رغم تعب النهار ـ مواويله التى تؤرقها ذكرى أهله وأحبابه . . . لكن المواويل ما عادت الآن تسرى فى الليل ، بعد أن صدر قرار الجزاء واخذوا يخصمون ربع أجره كل شهر . . نصيبه فى ثمن المكنة .

حكاية زميله الطيب ، أبو الفتح الصعيدى ، لابد أن يشير إليها فى حديثه عندما يدخل فهو مظلوم مثله . .

أما ثانى الآخرين فهى زوجته صفية . . . كانت راقدة على الحصير فى ركن الحجرة . . مغمضة العينين عندما عاد إلى بيته بعد الحادث . وكان الغطاء منحسرا عن جسدها الرقيق النحيل ، وجهها ـ بالرغم من صفرة المرض والعظمتين البارزتين فى وجنتيها ـ كعادته دائما . . حلو . مسمسم . . مبتسم حتى فى النوم . . كأن فى مكان خفى بداخله . . تحت الجلد . . مصباحا صغيرا منورا لا ينام .

عندما انحدرت عيناه إلى صدرها تذكر ـ ربما لأول مرة ـ صفيحة القمامة الصدئة المطبقة التى كان يتعثر فيها كلما صعد الدرج إلى حجرته . . لكن صدرها الضامر كان يعلو ويهبط فى انتظام . . سار على أطراف حذائه عبر الحجرة حتى لا يستيقظ سعالها المشروخ . . بادر بتغطيتها باللحاف دون أن يفطن إلى ان يديه مازالتا غارقتين فى الشحم . . اتسخ اللحاف فى موضع المسكة . . لو حصل هذا فى غير ذلك الصباح لضايقه اتساخ اللحاف فهو غطاؤ هم منذ سنوات لكنه عندما قعد على الأرض ليخلع حذاءه الثقيل كان يفكر فى أشياء أكثر خطورة . . سيقطعون ربع مرتبه سدادا لثمن المكنة المحروقة . . ربما استمر خصم الجنيهين ، سنة وسنتين . .

فداك ياسيدى . . .

دائما صفية تهون عليه كل مصيبة . . أصحيح أن الأرزاق بيد الله ؟ هل حقا ليس فى الحياة ما يستحق الحزن ؟ .

إذن لماذا ارتعشت شفتاها واختلجت أهداب عينيها وهى تتحامل على نفسها وتغادر الحجر بحجة إعداد فطوره ؟ .

حتى تستطيعين ياصفية ، البكاء وحدك بحرية ، وأنت تكتمين سعالك المشروخ فى صدرك لكيلا يدمى الهم الثقيل قلب رفيق حياتك . . أحب الناس إليك ؟ .

كنت أريد أن يعالجك ياصفية طبيب خاص . . هل يتحمل جسدها الرقيق النحيل ، الداء الوبيل سنة وسنتين حتى ينتهى الخصم من أجره . .

وأحس عبد القوى برجفة بدأت من أخمص قدميهعند الكعبين وسرت فى ساقيه ثم استقرت كلها فى قلبه . . لابد هذا الرخام البارد الذى وقف عليه . . اللامع الأبيض كألواح الثلج يغطى أرض الطرقة الطويلة وفيهايته دائرة من الضوء ، حمراء كأنها بقعة من الدم سالت على الثلج . . تماما أمام الباب المبطن بالجوخ الأخضر . . لوينطفىء المصباح الأحمر سيدخل على الفور . . هكذا قال الحاجب الأسود . . .

المهم أن يروى كل شىء . . .

فجأة اختفت بقعة الدم . . هرول ليدخل الجنة الخضراء ويروى كل شىء . . كشّر الحاج الأسود عن أنيابه :

ـ قلنا المرور أولا على السكرتير الخاص ثم مدير المكتب . . التعليمات هكذا . . افهموها بقى . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اللعين لم يقل شيئا عن هذا من قبل . . جرى عبد القوى كالملتاث . . ياعم ياحضرة الأفندى . . أين هما . . ؟ السكرتير الخاص ومدير المكتب . . ؟

هناك . . . ؟

نعم هناك . . الباب الثالث على يدك الشمالثم الباب الخامس فى منتصف الطرقة تماما . . على يدك اليمين . . . الله يستركم . .

السكرتير الخاص علقه على بابه . . صلبه ساعة ثم سأل :

ــ جهزت ياأخينا طابع الدمغة ؟

(طابع الدمغة ؟ (لماذا . . يظلمون ثم يحصّلون ثمن الشكوى من الظلم ؟) لكن مدير المكتب كان رجلا طيبا . .

ــ على أية حال ادخل مادام النور الأحمر قد انطفأ ثم نستوفى منك الدمغة فيما بعد . .

الله يستركم . . .

عاد عبد القوى جريا ليجد بقعة الدم قد عادت تسيل من جديد على الثلج الأبيض ، فانسحب فى استكانة إلى نهاية الطرقة والحاجب الأسود يرمقه فى فضول . . .

عندما انغلق البابان الثالث والخامس بعد خروجه منهما ازدادت العتمة فى عينيه كأن سحابة رمادية وطفاء ، مسترخية الجوانب لكثرة مائها قد علقت فى سماء الطرقة الطوية وأوشكت على البكاء . .

من بعيد لصق عبد القوى عينيه على الباب المبطن بالجوخ الأخضر . . تلاشت المسافة بينهما . . عقب الباب مرتفع قليلا عن الأرض مقدار قبضة يد . . يستطيع فأر صغير أن يدخلنه بسهولة . . لو مسخت ياعبد القوى فأرا لأمكنك الدخول بالرغم من كل شيء . . . كل السدود المقامة الآن فى طريقك . . وعندما تخبره بكل ما حدث سيبدو الألم على وجهه الأبيض . . وسيقول له بصوت هادىء بات : (خلاص ياعبد القوى . . ارجع انت إلى الحامول . . سنصلح نحن كل شيء . .) دخل من عقب الباب . . يسحب وراءه ذيله الطويل . . رأى بعينيه خلف الباب الأخضر ، حجرة فخمة واسعة . . دافئة دفئا غير عادى . . مفروشة كالجنة ببساط أخضر وكل ما فيها يلمع . . يخطف البصر . . نجفة كبيرة منورة فى السقف كالنجف فى مسجد سيدنا الحسين . . ومكتب هائل مرصع بالياقوت والماس . . دار حوله فى رهبة وخشوع . . وقف قبالته . . رفع عينيه ، لم يجد على المكتب سوى فأر صغير مثله لكنه أبيض كاللبن الحليب . . فى مكان عينيه خرزتان تلمعان كعينى قط لا تريان شيئا . .

أحس عبد القوى بشيء كالنصل البارد يقطع أفكاره ببطء وفى تشف . . وقشعريرة كاختلاجة الطير المذبوح تهزّ كيانه كله كأن قطعة من الرخام الأبيض الثلجى فى أرض الطرقة الطويلة حيث يقف قد استقرت فى قلبه ، فضم اطراف الجاكتة حول جسده النحيل . . وعاد ينظر من جديد إلى بقعة الدم . . والباب المبطن بالجوخ الأخضر . .

القاهرة : كمال مرسى

غ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصـــــة

العـــروس تخـلـع رداءهـــا

عبد اللـــه الماجـــد

ملحـــم

كان « ملحم » يأتى إلينا مرتين فى السنة ، مرة فى الصيف ، وأخرى فى الشتاء ، فى المرة الأولى يأتى محملاً بمحصول « البادية » من « السَّمن » و « الأقط » (معمولاً من اللبن المُجفف بعد أن يغلى) ويعود إلى مضارب قومه فى جوف الصحراء الأليفة إلى قلبه ، حاملاً بضائع المدينة مما يحتاجون إليه فى هذا النصف من السنة : فى الصيف يُحمِّل « جمله » « عِذْلين » من « التمّر » .

(كان يدخل بجمله من باب بيتنا ، ويُنيخه فى « باحة البيت » . يدخل الجمل خفيفاً ، ويخرج محملاً بعدلين على جنبيه من التمر ، وعلى ظهر الجمل حيث « السَّنام » يضع « المَسامَة » ويُهيء لنفسه مكانا يقبع فيه حتى يعود إلى أهله) .

مع التمر يشترى « القهوة البرّية » أو « الهَورى » و « الهَيل » ولا بأس بقليل من السكر والشاى . كان يدفع جزءاً من حصيلة ما باعه فى سوق « البلدة » والباقى يُسجله أبى عليه فى الدفتر حتى يعود مرة أخرى فى الشتاء ، محملا بالحطب و « الفحم » ــ فاكهة الشتاء فى بلدتنا ــ وبعضا من السمن ، و « بَعيراً » أو اثنين ، وقطيعا صغيراً من الخراف ، يبيعها ويسدد « دينه » ويشترى ألحفة الصوف و « البشوت » العباءات المنسوجة من وَبر الجمَال .

كان « ملحم » رجلا فى نحو الأربعين من عمره ، قوى البنية ، عيناه ترسلان بريقاً من دائرتيها العَسليّة كالشهاب تلمعان بالذكاء والمكر ، سحنته لفحتها الشمس ، فأصبحت كأرض الصحراء وصخورها ، سمراء لامعة ، أنفه ينهض كالسيف ، بين وجنتين مسحوبتين بارزتين بعض الشىء ، يؤطر ذلك شعر فاحم متصل بخصلات طويلة من رأسه ، يضفرها جدائل تتدلى على كتفيه .

سألته ذات مرة وأنا أناوله « فنجان القهوة » (كان يرتشف الفنجان مرة واحدة وهو ما يزال ساخناً حاراً) :

ــ ملحم . . كيف تعرف الطريق إلى أهلك فى الصحراء ؟

فرد على متهكما :

ــ مثل ما تعرف الطريق إلى بيتكم من « دكان » أبوك .

لكننى أصررت بفضول زائد :

ــ بالله عليك . . قل لى ياملحم .

وناولته الفنجان للمرة العشرين تقريباً ، وهو يعالج نواة من التمر فى فمه بين أسنانه ويرمى بها ، اعتدل فى جلسته وقال :

ــ أنا والبعير نعرف « الدّرب » بالنجوم فى الليل ، وبالنهار بلون الأرض والجبال والوديان وأنواع الشجر . تعلمنا ونحن صغار مثلك . . ها . . زين عرفت ؟

قلت ولم أكن قد عرفت فعلاً :

ــ إيه عرفت

وعلى غير توقع منه قلت له :

ـ ملحم . . تحب بعيرك .

ـ يا وجه الله ! . إى بالله بحبه مثل عمرى . .

قالها وكانت عيناه وعضلات فى وجهه تتهدج بالصدق ، وكأنما تَذكّر شيئاً قد نسيه :

ـ تدرى فى العام الأول ، أصبحنا والبعير ، بعيرى هذا ، جاه فى عيونه « عَمش » ما عاد يشوف بها ، بكيت عليه حتى احمرت عيونى من كثر الدموع ، ولاهمّتنى عيونى مثل ما همتنى عيون البعير ، ويوم جاء أبوى ، قال لى وكّل الله ، وجاب ملح ، ومسكنا البعير فى الليل ومعه سكين ، ولقى على جفونه حبوب مثل الخرز الصغير ، وشقها بطرف السكين وذر الملح عليها ، وعصبها بعصابة ، وقال : فى الصبح فكّها وان شاء الله « يقوم طليق عقال » والبعير نام ، وأنا ما جانى النوم حتى الصبح ، يوم انفلق النور ، رحت للبعير يدى تنتفض ، ودموعى تهطل من شدة الهّم والخوف عليه ، فكيت العصابة من على عيونه ونفختها ، وبسم الله قام يشوف ، ومن فرحتى بكيت حتى خافوا علىّ إن عيونى من كثرة الدموع تبيض ـ إى والله بحبه أجل يا وجه الله . .

وغبت عن بلدتنا ، ولم أعد إليها إلا كل سنتين أو ثلاث ، بغير انتظام ، ولم يخطر ببالى أن أسأل والدى عنه .

عايض

تعرّفت على « عايض » بحكم عملى ، كإن مصدراً من مصادر أخبارى التى أنشرها فى الجريدة التى أعمل بها ، وحينما تعمقت صداقتى به كنت أزوره فى منزله ، وكان يبادلنى ذلك ، فأصبحنا أصدقاء ، ومع أننى تعرفت عليه مؤخراً فإننى كنت أشعر أننى أعرفه منذ الصغر ، ملامحه محفورة فى ذاكرتى من قبل .

كان « عايض » مديراً عاماً فى وزارة المعارف ، تخرج من كلية التربية ، وسافر فى بعثة دراسية إلى أمريكا لدراسة الإدارة التعليمية ، عاد بعدها ليتسلم منصبه هذا ، ملامحه بدوية الأصل ، لهجته ما تزال مشوبة بتلك اللّكنة البدوية ، حتى طريقة حياته وتعاملاته تذكرك بأبناء البادية . كان ودودا وشهما ، فيه من أصالة الصحراء التى جاء منها الشىء الكثير ، مع ما أضفاه التعليم عليه من عصرية محببة .

فى إحدى زياراتى له ، سيطر الذهول على ، لم أصدق ما رأته عيناى ، لف الزمان دورته ، طوى عشرين عاماً أو تزيد ، ألقت بى اللحظة إلى « بلدتنا » بيتنا . . « البعير » . . . « دكان أبى » . . سيل من الذكريات ، والصور المتلاحقة فى سنة خاطفة من الغفوة . . ها هو « ملحم » أمامى ! أم أننى أحلم . . فقدت صوابى وأنا أنظر إليه : « أأنت ملحم ؟ . أم أننى أحلم يامـلحم ! . . وياللذّهول ، نافورة الذكريات تنفجر ، ها هو « ملحم » . . يقول لى « أنا ملحم وأنت » فقلت : « أنا ابن راشد التاجر » ولم ينتظر مزيداً من المعلومات فقد قفزت الصورة مصغرة ومكبّرة إلى ذاكرته ، فانفجر نهر الذاكرة الذى لا يخطىء ، وهبّ يحتضننى بحنو زائد .

نظرت إلى « عايض » وهو غارق فى ذهوله ، وإلى أبيه « ملحم » نقلّتُ طرفى بينهما فقلت : « لقد كنت أعرفك منذ سنتين ، ولكننى كنت دائماً أحس أننى أعرفك منذ عشرين عاما يا « عايض » . . دون أن تعلم ذلك ، إن اسمك يخلو من اسم والدك ، لم أكن أعرفك بغير عايض الرجبان بالقطع « ملحم » أبوك . . . » .

بعد أن أكلنا وشربنا الشاى والقهوة ، قال لى عايض :

ـ تصور أبوى ما هو راضى يقيم عندنا ، ويترك حياة « البدو » والصحراء . . الله يساعدك ، ساعدنى عليه ، واقنعه كل ما يجى عندنا يهج ويتركنا . . » .

وقبل أن أتكلم كان « ملحم » أسرع منى ، تهدج فى الكلام ، تفجر الحنين كنهر ينساب دون عائق ، وكان متحفزا ، كذئب يهب للاقتناص :

ـ أنا هنا مثلى مثل البعير المسجون بين جدران ، انظر ياولدى ، لوجبت معك « بعير » أخذته من مرابعه يرقع ويمرع على مد بصره ، وصكيت عليه بين جدران حتى لو أطلقته يمشى ، يمشى وين ؟ بين شوارع وسيارات ؟ . أنت نفسك وأى واحد منكم يضحك على منظر البعير . . أنا ياولدى مثل هذا البعير . . .

يعتدل ويُوثق من جلسته فى مكانه ، وكأنما يستجمع مزيداً من قدرته على الاستمرار فى الحديث :

ـ أنا عارف إنك تضحك علىّ فى نفسك ، ولكن اصبر أقص عليك ما حصل لى أول مرة . . . جلست أسبوع عند عايض . . . راح عايض لشغله ، وزوجته راحت لشغلها فى المدرسة ، قَعدت أنا فى البيت لُحالى ، ما معى سمير ولا صاحب ، هاجت نفسى إلى أراضينا ، نُحت مثل ما تنوح الورقاء ، أعطيت لنفسى قيادها ، فكيّت « المِزْودَة » وأخرجت

« المعاميل » . « شبيّت » النار « حمّست » القهوة و « لعْلَع » « النّجر » . دَقيّت القهوة ، حسيت أنى مثل الطير المسجون فى قفص ، رَفعتْ الصوت أغنى . . . أجاوب صوت « النّجر » وأنا أدق القهوة فتحت الباب ، باب البيت ، وأتمنى مخلوق يكون سمع « دقّ النجر » فيدخل « يتقهوى » معى . . . دق الباب واحد ، وهللّت روحى ، قلت يا سبحان الله أعطانى على نيتى قلت للىّ « دقّ الباب » : تفضل يا مرحب . . . دخل على عسكرى عرفته من لبسه ، قلت فى نفسى : أكثر العَسكر من ربعنا البدو ، وأكيد جاء عارف علّتى ويمكن حاله من حالى ، « رجاجيل وعلوم غائمه » لكن يا ولدى . . آه . . . آه (كان يخرجها من جوفه كاللهب) قال لى :

ــ « ضب » معاميلك حتى تروح لديارکم ، الجيران اشتكوا من النّجر . . ومن صوتك يابوى . . إنت فى « الرياض » شايف حولك جيران وبيوت لو كحيّت سمعوا كحتك ، فما بالك برنة « النّجر » .

تدرى يا ولدى . . وش سويت يوم سمعْت كلامه كبيّتْ القهوة على الجمر ، وضبّيتْ « مَعَامِيل » مثل ما قال . . ودموعى تهطل طفيّت بها الباقى من النار ، وهجّيت من البيت مثل الجمل الشارد ، خلّفت وراى البيوت والشوارع والسيارات ، والله . . والله ، كان ما يوقفنى شىء إلا لما أحط رجلّى فى ديارنا . . لكن خِفتْ على « عايض » رجعتْ أسجن نفسى يوم واللا اثنين . لهم حياتهم ولى حياتى . . . هبوب ديارنا أحسن عندى من « المروحة » أو « الكنديشه » . . « أدقّ نْجرى » صوته يجاوب صوت « البَرارى » وعلى صوته يسجينى « رَبعى » لا عسكرى ولا غيره . . قل لى ياولدى دبرنى . . » .

أفقت من الوجوم الذى سيطر على ، و « ملحم » يروى فصلا من « مَلحمته » لكننى لم أتردد فى أن أقول له :

ــ ارحل ياملحم . . عد إلى دياركم ، إلى مضاربكم ، فهناك حياتك تَخضرّ وتورق ، وإذا هفت نفسك لرؤية عايض تعال ، كما كنت تجىء إلينا منذ سنين ، مرتين فى السنة .

ملفى

« مِلفى الحربى » فى السبعين من عمره ، لكنك لا تعطيه أكثر من خمسين ، عوده ناحل ، عيناه كعينى صقر ، غائرتين فى كهف ، شعر حاجبيه لم يبق منه إلا القليل . أما رأسه فكأنها رأس طفل حديث الولادة ، لكنه حاضر الذاكرة ، إذا ما تحدثتْ معه ، كأنك تُقلب صفحات كتاب من كتب التاريخ ، كان شيخا فى قبيلته . أما الآن ، فها هو يعيش فى مبنى من الإسمنت والحديد ــ كما يقول ــ وأمام الفيلا تمتد سيارة امريكية تُدار « أتوماتيكيا » . حينما يجلس على مرتبتها يَنغرس فيها على قلة وزنه : « سَنام » جملة كان احسن منها فهو على الأقل لم يُصب بآلام « الروماتيزم » التى يشعر بها الآن ــ كما يقول ــ حياته تنحصر بين المسجد القريب من منزل ابنته والمكوث طول الوقت فى مجلس القهوة ، ينتظر قادما يُقلّب معه ذكريات خوالى الأيام ومغامرات الشباب فى صحراء تضيع الأسرار فيها ، ولا تحتفظ إلا بما تنطوى عليه جوانح الرجال الذين اكتسبوا منها صفاتها المُتضادة : الإبهام والصفاء . منازل القوم فيها لا وجود لها إلا فى أفئدة أصحابها ، إذا ما ارتحلوا عنها بحثا عن الماء والكَلأ ، وما أكثر الترحال فى الصحراء عبر طرقٍ رسومُها فى عقول الرجال ، تُعبّدها أخفاف صبورة على العطش وقطع الفيافى ، أخفاف الجمل سفينة الصحراء وتوأم روح أبناء البادية .

كنت أحيانا أنبش ، فى ذاكرة « ملفى » وإذا ما كان الحديث عن شبابه فى « البادية » تفجّرت ذاكرته ، وما أكثر الوقائع والحكايات فى عمر « ملفى » ! حينما كان يفتتح الحديث ، يتكلم عن شبابه ، وتلمع عيناه بفرح حنون ، سرعان ما يتلاشى ، عندما يتحسس تجاعيد الزمن على وجهه ، مثلا كان يقول :

ــ كنت أمشى ثلاثة أيام فى الصحراء ، أتنقل بين مضارب رَبعنا ، وأنوّخ عند « آل مقضّى » وَاللاّ عند « آل هضيبان » كنت آكل نصف « الخروف » . . أما اليوم ما أقدر على ملء يدى . . مِنْ يوم جِيتْ وأكلت أكل الحَضر : « الدّجاج ، واللّحم المُجمد » وسَجنتْ نفسى فى بيوتهم ، وركبْت « مواترهم » ضاع كل شىء ، حتى همّتى ضاعتْ . . .

أحسست أنه بدأ يستسلم لحزن ، غَالبَ عينيه بغرغرة طفيفة من الدموع التى احتبست فى حُمرة مآقيها ، فحاولت أن أُبدد سحابة الحزن هذه فقلت له :

ــ لا تزال بخير ، والبركة فى عيالك . . ولكنه ، يعود فيتكابر على حزنه ويقول :

ــ « مقضىّ » أكبر منى ، أنا واحد من عياله لكنه اليوم أنشط منى ، وأصح ، تزوّه متزوج الشهر إللى فات من بنت ،

تدرى ليه ؟ لأنه ما ترك ديارهم مثلى ، « ينط على الفرس و « يلزّ » به مثل الخيال الشاب . . مرتاح هو وعياله ، وعربهم الحكومة فتحت لهم مدرسة ، ولا عندهم خلاف ، أغراضهم تجيبهم كل أسبوع من الديره . .

*

عدت إلى « ملفى » بعد اسبوع ، كنا قد اتفقنا على القيام بزيارة إلى المتبقى من ديارهم فى « عَالية نجد » أُعيد إلى نفسه شبابها ، حينما يمر بملاعب صباه ، ومعاهد شبابه ، تخيلته واحدا من أولئك الأسلاف ممن نقرأ لهم شعرهم من شعراء العرب الأوائل ، تلك القصائد التى كان يبدأها أصحابها بالبكاء على الأطلال ، رسوم المنازل .

ومرابض الجمال ودمنها وقيعانها .

كانت السيارة « ال جى إم سى » تنهب طريق الأسفلت الذى يخترق الوهاد والوديان والجبال ، كأنه/ثعبان لا نهاية له ، ما أن بدت مشارف المنازل ، حتى أجهشت روحه ، تذكرت « مجنون ليلى » الذى أجهش لجبل « التوباد ، حينما رآه . . أجهش » ملفى بصوت حنون رخيم ، وأسلم نفسه لغناء شجى .

*

فى الليلة الأولى ، كان مضيفنا « المُقضّى » كبير قومه ، فى الثمانين أو يزيد ــ كما قال لى ملفى ــ لكنه يبدو أصغر من ذلك بكثير ، حركته دائمة وحيويته لا تحتاج إلى دليل ، فهو الذى يذبح « الذبيحة » ويشرف على كل شؤون الضيافة ، لسانه ما يزال قوياً وأسنانه تلمع بين شفتين صغيرتين سفلاهما تميل إلى التهدل قليلا ، عيناه كعينى الصقر ، « ناحل القوام يمسك فى يده على الدوام عصا رفيعة لا تفارقه ، يتصدر المجلس فى رواق بيت الشعر المخصص للرجال ، وعلى يمينه يجلس « ملفى » وعلى شماله أحد الرجال من عربهم . أما أنا فقد التصقت حذا « ملفى » وقد بدأ الليل يرخى سدوله على الصحراء حتى لا نرى إلا قبسا من نار تتوقد هنا وهناك ، مترامية على مد البصر ، كأنها عيون القطط فى الظلام ، وكلما يمعن الظلام فى نشر سدوله ، تكبر دائرة الرجال والفتيان فى الرواق حول النار التى تضطرم تحوطها « دِلاَلُ القَهوة » . وأنت جالس معهم ، لا تكاد تتحقق من ملامح الرجال إلا حينما تلفح نسمة من الهواء لسان النار المتأججة ، فتلمع وجوههم ، وتترقرق عيونهم كأنها الماء فى قعور الآبار . كان « زَبْن » قد انتهى من « خَمْس » . « البُنْ » ووضعها فى « النّجر » واستسلم لعادته فأخذ يَقرع « الهَاون » بيدٍ مدربة خفيفة متقنة الإيقاع حتى لكأنك تسمع لحناً لم تألفه من قبل ، وحينما تسرح بنظرك وخيالك خارج « الرواق » وتنتقل بكل أحاسيسك عبر المدى اللاّ نهائى ، فى المهاد المُظلمة فكأنك فى بحر ساكن مظلم لا يحركه سوى ما يجيش بداخلك من شواجن النفس . يُخيل إليك ، وأنت فى هذه الصحراء أنك تسمع أصوات « بنات الجن » التى لم تسمعها من قبل ولم تعرف لها صوتا . تسمع « لَعلَعة نجر زين » وتمد بصرك وأحاسيسك خارج الرواق حيث الصدى يسترجع الصوت ، فلا تميز أيها صوت بنات الجن ، إنها الصحراء تكسبنا الرهبة والخوف والتوجس ، فنكسبها تلك الأحاسيس التى ترتد إلى نفوسنا من حيث لا نشعر . . حينما يتولد فيك الخوف من شىء ما فانك تكسبه صفات ربما لا تكون فيه ، وإنما مصدرها الخوف نفسه . . أما منظر « الجمال » فى مباركها قرب بيوت الشعر ، فإنها كملامح السفن فى البحر أثناء الليل . . ها هى وقد توحد لونها بلون رداء الليل ، وامتداد الفضاء الذى لا يكسره شىء ، حتى التلال والجبال أصبحت جزءاً من هذا الاتساع ، حينما يتململ أحد الجمال فى مبركه ويهتز سنامه يبدو كسارية إحدى السفن تتهادى على البعد فى هذا البحر المظلم . ولا تتبدّد هذه الصورة وتفيق من تخيلك إلا حينما يثغو أحد هذه الجمال ، فيجاوبه ثان وربما ثالث .

*

حينما يتحدث « المقضى » فان الكل ينصت ، يصبح هو محور الاهتمام ، ومنه تتشعب أحاديث السمر فى الليالى التى يستقبل فيها ضيوفه وما أكثرها ، وإذا بدأ حديثه تسمع الأصوات من أطراف الصف ومن وسطه تقول : « اسْلَمْ يا طويل العمر » . تلك الليلة ، كان حديثه استعادة لذكريات الشباب مع ضيفه « ملفى » وجرت العادة أن كل ما يقوله « المقضى » فى مسامراته يحفظه الفتيان والشباب ، فهو جزء من تاريخ الصحراء وأهلها . التفت ناحية « ملفى » وقال :

ــ وِيْن أيام الفتوة ياملفى ؟ تذكر « ذيبْ آل ملحم » اللّى كان مروّعهم ، وأكل نصف حلالهم من البهايم ولا قدروا عليه ؟ .

ويرد ملفى بعد أن عدّل من جلسته :

ــ إى والله أذكره ياطويل العمر ، يوم جيتْهم وراهَنتهم على حياته ، وقالوا لك أطلب إللىّ تريد وخلّصنا منه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصـــــة

عـــــــودة

ابـراهيم قنـديـل

طوال عدة أسابيع مضت ، كثيراً ما انتابتنى هذه الحالة من الشرود المطول العميق ، خاصة فى أوقات العمل . تظل بعض الأوراق بيدى سانداً ظهرى إلى المقعد ، أو منحنياً فوقها على المكتب ، وحول الأوراق دائماً نفس المشهد الذى أبدأ محملقاً فيه ثم لا أراه : اللون البنى الباهت لخشب المكتب وما عليه ، آثار دائرية لأكواب شاى قديمة ، ذرات دقيقة من رماد السجائر مبعثرة حول المطفأة ، قلم حبر جاف أو قلمان . كل ذلك غارق فى رائحة تبغ محترق مختزنة ولغط مبهم هو محصلة ضجيج الشارع وحركات الموظفين وإضاءة لا لون لها هى خليط من ضوء النهار غير المباشر وضوء مصباح الغرفة الوحيد .

فى المرات الأولى قلت لنفسى . . ربما كان هذا الشرود ناتجاً عن إرهاق زائد ، فقد تزامن أول هذه الحالة مع قيامى بعمل إضافى لمرض أحد الزملاء ؛ غير أن نوبات الشرود استمرت تعاودنى بعد أن رُفع عنى ضغط العمل الزائد . قلت ، حينئذ ، ربما كانت حالة نفسية ناشئة عن فتور العلاقة بينى وبين زوجتى ، خاصة فى الفراش ، ولكنى اكتشفت أن هذا الفتور قائم منذ سنوات ، منذ العام الثانى لزواجنا تقريبا . ربما كان اضطرب المزاج الموسمى الذى كان ينتابنى فى شبابى المبكر أوقات تغير الفصول قد عاودنى ثانية . وبدا لى أن هذا هو أقرب المبررات إلى الصواب ، فقد بدأت هذه النوبات مع نهاية الخريف الماضى . غير أن الخريف انتهى ونزل مطر الشتاء ثلاث مرات أو أربعا ، وها نحن قد صرنا فى نهايات الشتاء ولم تنصرف عنى هذه النوبات بعد ، بل على العكس . . ازداد معدل حدوثها وأصبحت كل نوبة أطول من سابقتها مما جعلنى أنجح ، خلال الأسبوعين الماضيين ، فى التآلف معها واعتياد هذا التوهان الشارد الذى يحتوينى خارج الزمان والمكان . . كأننى فراغ مسجون فى فراغ ـ لو يصح هذا التشبيه . وكنت قد بدأت أرتب حياتى على هذا الأساس حتى جرى ، أمس الأول ، ما جرى .

ففجأة ، وانحنائى الشارد على الأوراق فوق المكتب هو هو كالمعتاد ، رأيت ظلاً يزحف على سطح المكتب قادماً من واجهته ليستقر على الأوراق بين يدىّ . رفعت بصرى فرأيته واقفاً فى مواجهتى ؛ وجهه معروف تماما لدى ـ بل « معروف » كلمة غير دقيقة . . أقل كثيراً مما أحسسته تجاه ملامحه ، غير أن عجزاً حاداً عن تَذكُر من هو تملكنى .

تبادلنا النظرات ، ونطق هو ببضع عبارات وانصرف ووجهه مطبوع على عينىّ وهويته تتململ ، شوكاً ، بذاكرتى وأعصابى . ابتسامته ، التى كانت تحز رقبتى كسكين ، أكدت شيئاً واحداً فقط . . هو يعرفنى جيداً ، يذكرنى جيداً ، ويعرف أيضاً عجزى عن تذكره .

زميلاى بالحجرة كانا حاضرين ، وقام أحدهما وأخذ أحد الملفات من على مكتبى ، ورغم هذا لم يلحظ أى منهما وجوده . . بل أقسما إنه لم يدخل الحجرة أى شخص غريب ، وضحكا حين قلت إنه كان أمامى عارياً تماماً . . عارياً كما ولدته أمه . . عارياً كما كنت واثقاً من أننى قد رأيت منه هذا العرى من قبل .

ـ طبعا لا تستطيع أن تذكرنى ؟!

كعروس بدوية ، ها هو الليل يتعسعس ، والصبح يتنفس ، وها هى ذى العروس وقد اغتسلت طول الليل بندى النجوم ، وطل شجيرات « الإقحوان » و « البُعيثران » و « الخُزامى » تلف جسمها برداء دثّرته « بالوَرس » وضمّخته بروائح شتى عبيرها ، معجون برحيق هذه الزهور الربانية التى سقاها ، ماء المزن ، وإذا ما ألح ضياء الصبح ، ومزّقت الشمس ما تبقى من رداء الليل ، تكشفت عورة العَروس .

كُنّا قد أمضينا ثلاثة أيام فى ضيافة الأهل والمعَارف ، لكن « ملفى » عاد حزيناً ، تمنى لو لم يقم بهذه الزيارة . . . كنت أقطع معه مسافات طويلة بين وديان الصحراء ووهادها ، كان يحرص على أن يُظهر لى فراسته وخبراته ، حينما كنا نمر بطريق ترتاده « الإبل » كان يقول لى : ــ

ــ هذا البعير ما يشوف إلاّ بعينه اليمين » . . .

(وكنت أندهش لهذا التخمين ، لانه لم يشاهد جملا ، وإنما كان ينظر إلى الأرض وآثار مشى الإبل فقط ، فقلت له :

ــ وكيف ؟ . .

فقال :

ــ لاحظ أنه يأكل من الشجر إللّى على يمينه ، ويترك إللّى على يساره ، وهذه خُطاه على طول طريقه . .

ويمعن « ملفى » كثيراً فى شد انتباهى إلى مزيد من فراسته فيقول :

ــ وهذا « البعير » « ذنبه » مقطوع ، انظر إلى « دِمنه » لمّا « يْغلّى » ينزل « الدمن » متجمعاً ، ولو كان « ذنبه » طويل كان فَرّقْ به « الدمنْ » يمين وشمال على طبيعة الإبل كلها .

*

ونحن نتجول ، كنا نشاهد رعاة لا عهد لهذه الصحراء بهم من قبل ، فيهم « الباكستانى » و « السودانى » و « الهندى » . كانت « الماشية » تأكل أكياس البلاستيك والمعلبات ، التى تتناثر هنا وهناك . . وكان هذا المنظر يؤذى « ملفى » وكنّا قد سمعنا أصواتا لمولدات الإنارة فى الليلة الماضية ، وسألنا عنها فقالوا لنا إن كثيرا من « العربان » أحضروا هذه المولدات للإنارة ولتشغيل « التليفزيونات » و « الفيديوهات » .

ولما سألت « ملفى » ونحن عائدان عن أسباب حزنه الذى يبدو عليه ، لم يجب ، بل هز رأسه تأكيدا لحزن دفين فى نفسه . لكننى عرفت سبب حزنه . . . لقد خلعت العروس رداءها . . .

المملكة العربية السعودية : عبد الله الماجد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ض

قصـــــة

طـــريق العـــودة

ميزونى بن محمد البنانى

الاسم : « بوسروال » ، تغضب ، تفرح ، تتفاءل ، كل هذا لا يغير من اسمك حرفاً واحداً . وما فائدة أن تتساءل كل مرّة : من اختاره لك ؟ أمّك ، أبوك ، أم « على العريان » ؟ ــ تقصد أن تقول : على بوسروال ــ .

المسألة غاية فى البساطة : نامت أمّك وهى حبلى بك ، فجاءها فى المنام رجل عارٍ يمشى الهوينى ، وخيّرها بين بيضتين ، فاختارت واحدة . وعندها قعقع بصوته كما تقعقع سحب الشّتاء ، فجاء رجع الصّدى بكلماته : سمّيه باسمى . . ثم ذاب فى المدى طيفاً زئبقيّا لا يمسك ولا يخلّف أثرا .

لو اختارت أمّك حينها البيضة الثّانية لولدتك بعد مدّة بنتاً . . نعم بنتا . . ولكنت الآن تسير بدلال تُسار قك العيونُ النّظر وتشيّعك كلمات يُودعها الشّباب والكهول أرهف أحاسيسهم وأعطرها ، فتظهر تمنعّا شأن من يدّعى رفض النّعمة حتّى لا تنقطع عنه ، ولعرفت إذا كانت الأنثى شيطاناً أم ملاكاً .

لو كنت بنتا ، لكتب لكلّ المواليد من بعدك العيش ، ولما قال والدك صراحة : انك طالع نحس ــ انحاش عن « سيدى بوسروال » .

هكذا كان كلام الرّجل نافذ المفعول حتى فى الأحلام ولو لم يكن الأمر كذلك لكنت الآن تحمل اسماً آخر . .

حدّثك جدّك ــ لأمّك رحمه الله ــ بعد أن أحكم إغلاق باب الكوخ وجميع ثغور جدرانه الوطيئة قال : « كان نحيفاً طويلاً ، أشعث الشعر مغبرّه لا يخشى برد الشتاء وثلوجه ولا حرّ الصيف وقيظه . . تراه يجول بيننا بثوب آدم يوم خلق . . لا يشاركنا الحديث إذا تحدّثنا ولا أحزاننا إذا حزنّا . . ويوم أن كان يجمع نملا كثيرا من هنا وهناك ــ وهو غذاؤه المفضّل يحشو به أوراق الأشجار وشقّ الحشائش ــ عيّره أحد كبار القوم بالعراء ، فنظر إلى السّماء وبعد أن نبش الأرض ورفسها بقدميه ، نبح وبعثر فى الهواء كمشة من تراب صارخا : اذهب تَرَ زوجتك عارية .

وكان حين رجوعه إلى البيت أن وجدها كذلك فى أحضان راعى أغنامه ، فجنّ وأصبح من ذلك اليوم يشارك من دعا عليه ، عراءه ، أمّا نحن ، فقد آمنّا به وليّاً صالحاً ــ يرطن بكلمات الحكمة والإعجاز ــ ، وبجّلناه وأكرمناه ، وخشية أن يلحقنا ما لحق كبيرنا ، تحاشينا كل ما دلّ من الكلام على عرائه وأبينا إلاّ أن نستر عورته قولاً ، إذ أصبحنا ندعوه بـ : « سيدى بوسروال » .

هذا اسمك ، تصرخ ، تنفجر ، تنطح الصّخر برأسك ، كل هذا لا يغيّر من اسمك حرفاً واحداً .

أدخلك أبوك إحدى مدارس المدينة البعيدة عن بيتكم بما شاء الله من الكيلو مترات ، وفى يومك الأوّل بها ، جلست على المنضدة بقامتك الطويلة المكتنزة لحماً وشحماً وتركت قدميك تطآن المقعد بوقاحة . . لو حاولت يومها أن تسارق زملاءك النظر ، لكنت أحسنت جلوساً وطبت نفساً وأدركت أنك شاذ فيه ولما تركت مجالاً لسخرية بعض التلاميذ منك :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ يا أبانا ، العفو إن أعلمناك أن كلابنا صارت تتقن الجلوس أفضل منك !

سامح الله أباك ، بل جدّتك لأبيك ، لقد كانت غاية لا تطلب ولا تدرك فى طول القامة ، لذلك عرفت فى زمانها بـ : « عيشة الطويلة » !

ويوم فتح كل تلميذ محفظته ، هبّت يداك الكبيرتان ـ كما تهبّ العاصفة بعد طول سكون ـ تفرغان أمامك وعاء من القماش ـ لتقلْ إنّه محفظة تقليدية أو مخلاة أو أى شىء آخر ـ كان مكتنزاً بأشياء كنت تنتظر أن تتباهى بها أمام الحاضرين فتظفر بحسدهم لك على ما لا تملك أيديهم . وكم كنت قاسياً على نفسك حين عرفت أنك تافه وأن هذه الأوراق المكتوبة والملبّدة والتى كنت شغوفاً بجمعها من هنا وهناك ، ليس لها أدنى ذنب فى إثارة قهقهات التلاميذ وهمسات بعضهم :

ـ إذا كانت هوايتك جمع ما فى القاعات من أوراق هجَرها أصحابها فماذا ستترك لحارس المدرسة من الأعمال ؟ .

لو كان الأمر قد وقف عند هذا الحدّ ، لكنت حينها أطيب نفسا وأهدأ بالا . أكان ينبغى أن ينادى المعلمّ كلّ تلميذ باسمه عند نهاية الحصص ، فيتفطّن البعض إلى غرابة اسمك الخرافى ويلدغونك قولا ؟ :

ـ سيقصّ كلٌّ من اسمك شبرا ، حتى تصبح أبا « تبّان » ، فلست أحسن حظّا من « سروال عبد الرّحمان ! .

أيّامها خشيت إن أنت فتحت فاك سقط قلبك من عرشه غضبا ، كما حرصت على التصرّف وفق وصايا أبيك العشر والتى منها : « ليكن قلبك كبيرا ، إن مسّك إنْسٌ بضرٍ ، فاحمد الله على أنه صانك ممّا قد يكون أضرّ » .

ـ يا أبا تبّان ! .

هكذا كان يحلو للبعض تسميتك .

وذات مساء شتوى ثقيل رتيب ، أخطأ فى كتابة العدد : ثلاثة فسمعت لغطاً وهمساً ينبعثان من الأفواه نبالاً لا ترحم كبرياءك :

ـ عيب أن يخطىء أب أمام أبنائه ! .

اقترب منك المعلّم ، ربت على كتفك ، مسح على شعرك بتودّد ، وإذا ما لمس أنك اطمأننت إليه ، راح برفق وسعة صدر يطلب منك أن تنقل « الثّلاثة » كما كتبها على السبورة .

حينها ، بدأت تستعيد وصايا أبيك العشر ، وصيّة وصيّة علّك تقف على ما يخرجك من هذه الورطة ، فلم تجد فيها ما يناسب الموقف إلاّ قوله : « لا ترفع قدما إلاّ إذا أعددت موطئاً يضمن لها السّلامة ! » .

فرحت تضرب أخماساً فى أسداس : لوكتبتُ العدد على لوحتى ملتفتاً إلى اليسار ـ كما هو على السبورة ـ لا ستوى مقلوباً وأنا أرفعها . . . إذن لماذا لا أكتبه مقلوباً أساساً ، حتى إذا ما رفعت اللوّحة رجع إلى هيأته الأصليّة ـ كما هو مطلوب ـ ؟ لو كنت تدرى أن اجتهادك هذا ـ الذى حسبت التلاميذ سيحسدونك عليه ـ سيُخْرجُ المعلّم ـ أحنّ الموجودين عليك ـ لتناسيت البند الثالث من وصايا أبيك ولو إلى حين .

يومها رجعت إلى البيت تجرّ قدميك كما يجرهما شيخ قد أخذت الدّنيا نصيبها منه بقدر ما أخذ نصيبه منها ، ينتابك شعور بأنّك كائن حىّ ما كان ينبغى له أن يكون . كلّ الموجودات إن لم ينفع بعضها اليوم فغدا ، أمّا أنت فرأس فارغ نصفر الرّيح فيه وتمارس طقوسها ، تطوقه السّذاجة بسور تتحطّم عليه معلومات يجهد المعلّم نفسه فى تنقيتها وتشذيبها وترطيبها ، حتى يسهل على أمثالك هضمها . وما إن أسلمْتَ الوسادة رأسَك حتّى راحت مطارق خفيّة تهوى على هامتك من كل جانب فتدمى خاطرك الباكى البائس . وربما استطعت النوم ليلتها لو لم يرح شطرك الثانى المعارض لك والمنشق عنك يعاتبك بصمت بليغ بليغ : كلّ تلاميذ فصلك يستوعبون الدّروس إلاّك لو كنت بلا أطراف ورأس وحواس ومدارك ، لقيل : معذور والله . إنّهم يتميّزون عنه بها . وسريعاً ما ينقذ شطرك الثانى الموقف ، إذ يمضى يدافع عنك : ربّما تعلّم هؤلاء فى منازلهم أساليب التفكير والاستيعاب إلى جانب القراءة والكتابة ، قبل بلوغ سن الدخول إلى المدرسة . لو كان الأمر كذلك فمن حقّك أن تنقم بتشفقة على والديك وهما اللّذان علّماك أصول السبّ والوقاحة : « ابصق فى وجه عمّك واجذبه من شاربيه ، تعال اصرخ فى أذنى ، اشرب الشّاى ياغزال قبل أن يراك أبوك ، سأراقب الآن حصيلة ما حفظته من مفردات السبّ والشّتم » . وهل الذّنب ، ذنبك إن شببت على أن تفكّر أمك بالنيابة عنك وتأتى لك بالأفكار جاهزة ؟ .

وذات مساء أغبر ، رقصت له الأشجار بجنون ، وركبت له السّحب السّماء، دخلت البيت شاحب الوجه ، متوتّر الأعصاب ، تصفعك أياد خفيّة من حديد ، وما كانت أمّك حينها تملك القدرة على انتشالك من كهوف وسراديب تتخللها بمقدار ما تتخلّاك، تحتضنك ، تنام على ركبتيها ، تدندن لك ، تتمتم ببعض الحكايات الملفّقة ، كل هذا صار لا يشفيك . لو كنت متأكدّاً من أنّها كانت ستدرك أىّ الرياح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تستولى على مركبك لكنت صارحتها بأنّك انقطعتِ منذ زمن عن المدرسة ، ولعبّرت لها عن حمدك لله الذى لولا هدايته لكنت لويت أعناق التلاميذ الواحد بعد الآخر كما كنت تلوى أعناق الدّجاج ــ الذى كانت أمّك تجد جثته هنا وهناك ، فتظن أن الوليّ الصّالح : « بوسروال » انتقم منها لأنّها لم تذبح ديكاً أسود اعترافاً ببركته وترحّما على روحه الطاهرة ــ ذكريات تطفو على خاطرك فتتصيّدها ولست تدرى لماذا تعزّ عليك ، ألان الأمس أحلى وأمتع ، أم أنك تختفى عن عيون الآتى فى أحضان الماضى ؟ .

هذه شجرة الخرّوب التى كنت تقضى تحتها أوقاتا كان ينبغى أن تقضيها بالمدرسة ، هى أمّ ثانية إن تحدّثت عن الأمومة ، وبئر عميقة إن خشيت على أسرارك من الإفشاء ، إنها ترنو إليك بعين الرّحمة وتسألك النّظر إلى جذعها العظيم وقد تمكّنت عروقه من أحشاء الأرض فأضحى ضارباً فيها بكلّ ثبات وعزم ، وإلى أغصانها المتشابكة وأوراقها المنسدلة باتئاد وارتياح ، وهذا عصفور ما فتىء يعلوها محرّكاً رأسه ذات اليمين وذات الشمال حتى إذا ما التقت عيناك بعينيه خيّل إليك أنه مأساتك قائلاً : ليت لك من العزم ما تنغلق عليه هذه الشّجرة ! إنّها أفضل منك ، فهى تملك مصيرها بين يديها ، أمّا أنت فمصيرك بأيدى الرياح المسافرة والمجهولة .

تتأمّل جسدك العظيم بكل نقمة . لتقُلْ ما يتمتم به ــ بعد يوم على الأكثر من العمل ــ كل من تشتغل عنده : « ما الفائدة من طول وعرض بلا مخ ؟ » . غير أن العصفور أبى إلاّ أن يمطر وجهك بوابل من فضلاته فأحبط عزمك على الكلام . لو كانت هذه الحادثة قد وقعت لك فى صباك لضحكت كثيراً وأنت تستحضر ما قاله بطل تلك الطّرفة ــ الذى حدث له ما حدث لك الآن ــ للعصفور وهو يخاطبه : « اللّوم على أمّك التى لم تلبسك تبّانا ! » . أما الآن فماذا يضحكك والردّ على العصفور يستوجب ذكر ما كرهت أن يدعوك به بعض التلاميذ أيّام المدرسة ! .

قد تحسّ أنك تحمل فى جعبتك خراطيش على وشك الانفجار وأنت تتذكّر تلك الأيام التى قضيتها بالمدينة . . . ظللت غريباً فيها ، منطوى الطويّة ، ولم تكن تدرى لماذا تُرهبك الأشياء وتثير حياءك الجارف ؟ أتكون قد رُكبت فيك من الأحاسيس مازاد عن اللّزوم ؟ وما من مرّة توجّه فيها إليك شخص بالكلام ، إلا ارتعش قلبك وتزعزع ، وداهم جسمك عرق غزير غزير ! .

الاسم : « بوسروال » ، تغضب ، تفرح ، تتفاءل ، كل هذا لا يغير من اسمك حرفاً واحداً وقد عرفت به كما عرف بك أكثر من أربعين سنة ! .

لولا وصايا أبيك العشر ، لكنت أدّبت الكثير من صعاليك المدينة وأوّلهم « عدنان » صاحب معصرة الزّيتون . ألم يكن جديراً بضربة من قبضتك تذهب صوابه إلى الأبد ؟ الوغد ، لقد شتم عورة أمّك وبعد أن لكمك نحّاك عن طريقه فتنحّيت ! ساعتها لم تدر كيف جالت بخاطرك وصيّة من وصايا أبيك ، فمضيت تحمد الله على أنك لم تتعرّض إلى ما هوّ أسوأ من اللّكم والشّتم والطّرد بدون أن تتسلّم أجر إنزالك أكياس الزيتون الثّقيلة من الشّاحنات ! .

هذه شجرة « الخروّب » تدعوك ثانية إلى تأمّل تمكّنها سن الأرض ، فتشيح بوجهك عنها ، باحثاً فى الفضاء عن أوشاج تنسج بها طريق المستقبل ، عن طرف خيط تمسك به فتتحقق لك العودة إلى شاطىء السّلام ، لكن عينيك تأبيان إلاّ أن تقعا على بيتكم المتربّع هناك على هضبة بشموخ وتحدّ ، أنفه فى السماء ، يهفو إلى المطلق من الكون .

هكذا كان يعجبك منظره من بعيد . أمّا من قريب ومن الدّاخل خاصّة ، فإنك تحاول أن تطرد من مخيلتك صورته بباب لا يسمح لشخص بالدّخول إلاّ إذا انحنى ، وقد يخيل إليه وهو يلج أنه سينزل إلى معلم تاريخى مشيد فى سرداب ، وما إن يمكث لحظات بالدّاخل ، حتى يبدأ الظّلام فى الانجلاء عن الموجودات : هناك فى الركن المقابل حصيرة عليها زربيّة لا يستطيع أن يقف على لونها الحقيقى ، نضّدت عليها ثلاث وسادات صغيرة ، ما تزال صامدة فى وجه الأيّام ، ولا يخفى المصباح النّفطى العتيق نفسه ، إذ سريعاً ما يجلب انتباهه وقد اسودّ من جرّائه وجه الجدار ، وإذا شاء أن يقدّر عمره بالسنوات فعليه أن يعرف تاريخ كارثة الجراد التى تعتمدها أمّك العجوز فى تبيان متى تزوّجت ، إذ شراه أبوك آنذاك احتفالا بمناسبة الزّواج . ولن يطول به السّؤال : ممّا تقتاتون ؟ فسريعاً ما تجيبه الأخشاب الطويلة التى التحمت بأسفل جدارين متقابلين لتشكّل سدّة ترفع على ظهرها « حارة » من الأكياس الصغيرة وبعض الأدباش والأغطية التى فقدت ألوانها الأصلية نهائيا ، ولابد أن تقطع أمّك العجوز عنه فرجته ، فتقسم بأغلظ الأيمان أن يشرب عندكم كأساً من الشّاى أو القهوة على الأقل ، وحينها لن يجد مفرّاً من الخضوع لمطلبها ، غير أنّه يتراجع لا محالة ، إذا ما لاحظ فجأة ما نتج عن الموافقة من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ارتباك ، فيفهمُ قانون اللّعبة : ما كان ينبغى أن يوافق دون أن يتبادر إلى ذهنه انكم لا تملكون شايا ولا قهوة ، وأن ليس فى حوزة أمّك سوى طبخة شيح وزعتر ! .

هكذا كان يعجبك من بعيد منظر بيتكم المتميّز عن مناظر البيوت الأخرى المنتشرة هناك وهناك تحرسه . . إنّه يبدو دائماً فى أبهى أوضاع الشموخ ، فتروح تستمدّ منه كبرياء عشت تفتقر إليها ، وإذا عجزت ، رحت تسارقه النظر بحسد ينفذ إلى أعماق الجلود فيفتّته . وسريعاً ما تقفز إلى ذهنك مرّة أخرى صور من الدّاخل تحاول تنحيتها فتنحّيك . . ذاك أبوك الشّيخ ما إن يسأله أحد عن أحواله ، حتّى تنفرج شفتاه لتسمحا بظهور لثّة فكّه العلوى ، انفرد بها ناب أصفر طويل يتحدّى سبعين حولاً ، وبعد أن يستردّ أنفاسه ويستجمع قواه ، يبدأ فى الحديث وبدون مبّرر من يوم ولادته إلى السّاعة التى يقف فيها أمامه ، وقبل أن ينصرف يصبح فى وجه أمّك عتبا : « ايتى بالدّجاجة تبيض واجعلى بيضتها فى رماد الكانون ، فلا يمكن لزائرنا أن يمضى هكذا كأنه قد مرّ بأهل المدينة ، ومازلت تحاول تنحية صور تكتسح خاطرك المتهرئ ، وبقدر ما تحاول ، بقدر ما تزداد عيناك إصراراً على تطويق بيتكم المتربّع على الهضبة منفرداً بشموخ وتحدّ . . لقد شيّده أبوك أيّام الشّباب ، أما أنت أيّها الفيل ، فماذا شيّدت فى شبابك ؟ كل بناءاتك كانت من الرّمال وعلى الرّمال . . نعم أيّها العاجز ، إلى متى يظل العجز يقيّدك ؟ لماذا تصرّ على أن تبقى طفلاً مدلّلا تؤخذ الأشياء من بين يديه ، لا هو يعرف كيف يحافظ عليها ولا كيف يستردّها ؟ .

الاسم : « بوسروال » وكان يحلو لبعض التلاميذ أن يدعوك بـ « أبى تبّان » . . لتجعل غضبك فى قرن من « الخرّوب » تطحنه دون أن تبالى بالحبّات الصّلبة التى تتخللّه ، لو كنت تملك عصا « موسى » لشققت بها الأرض ثم لأمرتها بأن تنغلق عليك إلى الأبد بعد أن تستوى فى أعماقها ، أمّا الآن ، فترفض ، تنكر ، تستنكر ، كل ذلك لا ينفع وهذه « عائدة » بجدائل شعرها الغجرى تمتلك عليك النفس حبّا وكراهيّة ، فما عدت تدرى لماذا تحبها ولماذا تكرهها آه لقد كانت تريدك أنت ! أكان ينبغى لك أن تحدثها عن فرش عمك ومهرتها الصفراء ، وعن دجاجتكم التى باضت بيضة ذات « فصّين » ؟ أهذا كل ما كنت تعرف ياعديم الذوق ؟ ولماذا تصّبت عرقاً وأحسست بالدّوار واختلط قلبك بامعائك وهى تقترب منك ؟

سامح الله أباك ! . لقد جاء فى إحدى وصاياه أن المرأةكماء مرقوب ، ظمأ إليه ألذّ وأشهى من ارتواء ! .

لولا مقولة أبيك لرحت يومها تلقّن « فتحى » درساً لن ينساه إلى يوم لحده ، الوغد ! لقد فاجأته يومها مع « عائدة » عارية على أرضيّة المدجنة المتعفّنة التى كان يعمل معك فيها بالمدينة . أمّا بقيّة الأيام فقد أصبح الأمر عادة . سامح الله أمك هذا الصّباح ، ألم يحن لها وقت نسيان ذلك السؤال الذى تهرّأ من كثرة ما طرحته عليك : « بوسروال ، لماذا لا تتزوّج فأفرح بك قبل أن أموت ؟ ؟ » لو كانت تدرى أن كل النساء صرْن عندك « عائدة » التى لا ترفض أن تتمرّغ على فضلات الدّجاج ، لما راحت تلحّ به عليك وهى تهمس فى أذنك كما كانت تفعل معك وأنت طفل ، لكن هذه المرّة بأشدّ جرأة وتوتّر : « قلبى عليك ياولدى ، أتكون لا . . ؟ » .

الاسم : « بوسروال » ، تغضب ، تفرح ، وتتفاءل ، كل هذا لا يغير من اسمك حرفاً واحداً ، وما فائدة أن تتساءل كل مرّة : من اختاره لك ؟ أمّك ، أبوك ، أم « على العريان » ؟ ـ تقصد أن تقول : « على بوسروال » .

وهذه شجرة « الخرّوب » تدعوك ثالثة إلى تأمّل تمكّنها من الأرض ، فتلقّح هذه الدّعوة شعوراً بالنّقمة على نفسك وعلى أوضاعك ، تنظر إلى الأفق ، تتيه فيه محاولا أن تنسج بعينيك أوشاج المستقبل والطريق التى تعود بك إلى شاطىء السّلام . لكن عينيك أبتا إلا متابعة خيط كأنّه من دخان يصعد التلال تارة ويتخلّل المنخفضات طورا إلى أن يصعد الهضبة ليمرّ بين يدى بيتكم ثم ينتهى إلى أسفلها متفرّعاً حيث بيوت كثيرة تنتظره من هنا وهناك . إنه طريق العودة الذى سئمت أن تأخذه كل يوم بنفس حالك وطمّ طميمك .

حين نظرت إلى جذع الشجرة لآخر مرّة ، كان النّمل الذى يكتسح شقوقه الغليظة والكثيرةفى حركة مجنونة يسابق الزّمن ، وفجأة خيّل إليك أنّه يدعوك إلى خوض تجربة ، سريعاً ما بدأ احساسك يعتادها ويتمرّس عليها ، وحين وضعت كمشة ثانية منه فى فيك ، كان نداء مجهول ينبعث من داخلك يطلب المزيد ، ومع كل كمشة يتضاعف جوعك وإحساسك بأن كل نمل الدنيا لن يكفيك وها أنت الآن لم تعد تمتلك مقود نفسك ، ليسقط عماد السّماء ، ليجرف الطّوفان الدنيا وما عليها ، المهم عندك أن النمل ما ألذّه حين تحشى به أوراق الأشجار وشتّى الحشائش اليانعة . وأنّه غبىّ من لم يأكل فى حياته نملا قط .

وحين بدأت تتخلّص من ثيابك قطعة قطعة ، كنت تتنفّس بنهم كمن عاش غريقاً وتتحرّك باعتباط كم شبّ مصفوداً .

وهذه طريق العودة ملتوية كخيط دخان ، وأنت بجسمك العارى الطويل تمشى الهوينى ، تصعد التلال تارة وتنزل المنخفضات طورا ، تنبح أحيانا وتصرخ فى المدى أخرى فيأتى رجع الصّدى بكلماتك : « الدّنيا غمل وعراء ونباح يا ناس . . . الدّيا غمل وعراء ونباح يا ناس . . . » .

* طرفة شعبيّة تروى أن عبد الرّحمان شرى سروالا تبيّن له فيما بعد طوله ، فطلب من زوجته ان تقصّ منه شبرا فأخبرته أنها ربّما تفعل ذلك لو أتمّت ما بعُهدتها من عمل ، فمضى يعرضه على أمّه ثم على أخته فأخبراه بما أخبرته زوجته ، وعندما أنهت الزوجة عملها قصّت من السّروال شبرا ، وكذلك فعلت كل من الأمّ والأخت دون أن تعلم الواحدة بما طُلب من الأخرى ، إلى أن أصبح السّروال قصيراً كالتبّان .

القصرين تونس : ميزونى محمد البنانى

س

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المشـــاهـــدة

طارق عبد الوهاب جادو

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- شفتوه يا ناس ؟

التفتت إليها عيوننا المحدقة فى لا شىء . .

طويلة كانت . . حادة الملامح . . تكشف رأسها عن شعر أسود فى أبيض وترتدى « جلابية » من القماش الرخيص . . تقف فى الممر الضيق من العربة ذاهلة كالتائهين . . تعلقت بها نظراتنا لفترة ثم تحولت عنها .

- شفتوه يا ناس ؟

وصوتها حزين عميق يقطر فى الأذان دمعاً لم تره عيوننا ينحدر على وجنتيها المتورمتين .

على ظهرها ربتت إحداهن وقالت :

- خير ؟

فلم ترد ، واهتزت مع العربة التى تسير فوق الأسفلت غير المستوى .

فى المحطة . . صعد شاب يرتدى زى الجيش « الكاكى » ويبدو على وجهه الأرق والهزال . . فاجأتنا منها شهقة أمسكت بعدها بذراعه الأسمر وهزته فى شدة :

- إنت قابلته ؟

حدجها الشاب بنظراته . . وجهها عريب لكنه مألوف . . يحس أكثرنا أنه رآها مراراً تقطع هذا الطريق ذهاباً وعودة ، وزعم البعض أنه كان يسمعها فى كل مرة . . تسأل عنه الهواء الرائح والغادى .

همس العجوز الذى يجلس بجوار النافذة بأن ابنها ـ على ما يبدو ـ قد تاه ، ثم عاد ينظر إلى الشوارع الصاخبة والعمارات العالية والناس . . الذين يراهم يتحركون فى سرعة . . فى عكس اتجاهه .

مرة أخرى . . .

عادت تهز فى كفها ذلك الذراع الأسمر :

- إنت كنت معاه ؟

لمح فى صمتنا إشفاقاً عليها . . أجاب :

- كنت .

وانتظرنا أن نعرف عنه أكثر لكنها استدارت . . . رأينا وراءها نسوة يمصمصن بشفاههن الغليظة يحاولن تهدئتها . . برزت منهن واحدة أمرتها أن « تعقل » وتستغفر الله ثم رأيناها تنشج وتوارى عينيها فى الطرحة . .

مسكينة . . »

تمتم بها الجالسون على المقاعد المبطنة بالإسفنج الممزق . . أما الواقفون فى الممر الطويل فعلت أصواتهم :

- ربنا يصبرها

حين وقفت العربة نزل الكثيرون .

شاهدها من كان يسمع صوتها ولا يراها تتقدم نحو السائق الذى داس على « البنزين » فتأرجحت . . أمسكت بالعمود الحديدى المثبت فى السقف . . اتزنت ، حاول أحدهم أن يقوم لها لتقعد . . رفضت . . أشارت نحو السائق المختفى وراء زجاج بنى غامق . . سألته :

- إنت رايح له ؟

وتشاغل عنها . . . ضغط على زر فصرخ بوق العربة . . أخذ

يلعن ذلك الزحام الذى يعكر عليه مزاجه ولا يترك له الفرصة لأداء عمله . زفر . بهدوء تحركت أصابعه لتدير « الراديو » الصغير بجانبه . تصاعدت موسيقى أغنية شعبية تراقصت معها شفتاه ، واستراح بجذعه على الكرسى الذى لا يشاركه فيه أحد .

- هاتخدنى ليه ؟

انتبه . .

تفحصتها ملامحه الجامدة . . رجاء أحد الواقفين عند باب النزول أن يطمئن قلبها المتلهف فأدار عجلة القيادة فى يده . . سلك طريقاً ملتوياً . . قال لها :

- ماتخافيش .

تعبت . . تهاوت على أحد المقاعد الخالية . . أمامها كانت هناك فتاة مليحة الوجه بيضاء تنام برأسها على زجاج النافذة . . مالت هى تقلدها . . تلقتها صاحبتها على صدرها . . هدهدتها كطفلة . . كانت تشخص ببصرها نحو الفتاة الناعسة كمن تتذكر شيئاً . . سمعناها تصدر صوتاً مكتوماً :

ده كان . .

وقاطعتها صاحبتها فى حزم :

- اعقلى بقى . . استغفرى الله

عند آخر الخط . . أوقف السائق المحرك .

هدأ المكان ،تدافعت الأجساد للنزول . . فى مكانها قبعت . . قرقعت الأقدام على أرضية الممر . . نظرت إلى كل النازلين المتحركين كالعرائس :

- شفتوه يااناس ؟

اختلط صوتها بالضوضاء فى الخارج .

كانت العربة قد أفرغت من فى بطنها وسكنت . . نزلت هى تستند إلى النسوة اللائى أحطن بها . . مرت أمامنا كطيف . . تابعناها حتى اختفت فى أحد المنعطفات . . بعد فترة قصيرةانفرط عقدنا . . انتشرنا فى الشوارع المختلفة . . تدور رؤوسنا فى كل اتجاه تصنع عيوننا دوائر مكتملة . . نبحث . . قد . . . نجده .

بنها ــ طارق عبد الوهاب جادو

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ص

مسـرحية

وجهان لامرأة واحدة

مسرحية من فصل واحد

تأليف الكاتب المسرحى التركى عزيـزنسين

ترجمة : د. مصطفى يوسف منصور

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حجرة كبيرة بنافذة واحدة عليها ستارة حمراء كثيفة . أرفف للكتب على الجدران . تتبعثر الكتب والمجلات والجرائد على الأرض ، كما توجد ساعة حائط على إحدى الحوائط تبدو واضحة جيداً للمشاهدين وتشير إلى الحادية عشرة والنصف ليلاً .

تتجمل صاحبة البيت أمام المرآة ثم تنظر إلى الساعة وتبدأ فى تنظيم الحجرة . مرة أخرى تذهب إلى المرآة فتعدل من فستانها وتنظر إلى الساعة . يبدو القلق واضحاً عليها كأنها تنتظر شخصاً ما . تذهب إلى المرآة فترتدى عقد خرز وتثبت « بروش » يسمع جرس الباب فتنظر صاحبة البيت باستغراب إلى الساعة . يسمع الجرس مرة أخرى . تبدو المرأة مترددة للحظات بعدها تتناول سترة من على الكنبة ، تضعها على كتفيها وتذهب لتفتح الباب . تدخل السيدة الغريبة وخلفها صاحبة البيت .

السيدتان تبدوان كنسختين متشابهتين ، إنهما ترتديان ملابس واحدة ولهما تسريحة شعر واحدة . تحمل السيدة الغريبة فى يدها حقيبة صغيرة وعلى رأسها إيشارب » .

صاحبة البيت : (تلقى السترة على الكنبة) تفضلى

السيدة الغريبة : (أعتقد أننى لم أخطىء ؟ هل هذا منزل « فاسين » ؟

صاحبة البيت : (مندهشة من عدم احترامها للزوج وبغضب)

نعم ، نعم ، هذا منزل السيد فاسين .

شخصيات المسرحية

١ ـ صاحبة البيت

٢ ـ امرأة غريبة

السيدة الغريبة : (تتأمل كتاباً) إذا لم أكن مخطئة . . أعتقد أنك زوجة السيد فاسين ؟ .

صاحبة البيت : نعم أنا زوجة السيد قاسين .

السيدة الغريبة : فى الشارع الجوُّ بارد . . .

صاحبة البيت : (تأخذ الحقيبة منها) اخلعى السترة . . (تشير إلى الكرسى) هنا ، من فضلك .

(تخلع السيدة الغريبة السترة والإيشارب وتجلس فى الكرسى)

السيدة الغريبة : كنت أخشى ألاّ أعثر على منزلكم فى هذا الظلام الدامس . .

لكننى عثرت عليه بسهولة .

(تتأمل صاحبة البيت السيدة الغريبة)

أسألك المعذرة لأننى وصلت فى وقت غير مناسب . لا أريد إزعاجكم فى منتصف الليل . لقد جئت إلى هنا مباشرة بالطائرة . أنا لا أعرف غيركم فى مدينتكم . . نعم . . حقيقى لم أرد الذهاب إلى الفندق لأنى لن أرى فاسين هناك . .

صاحبة البيت : ماذا ؟ أتنوين رؤية فاسين ؟

السيدة الغريبة : نعم . . . أليس فاسين بالمنزل ؟

صاحبة البيت : السيد فاسين ليس بالمنزل

السيدة الغريبة : هل سيأتى قريباً ؟

صاحبة البيت : (تنظر إلى الساعة) سيأتى . . هل حضرتك من مكان بعيد عنّا ؟

السيدة الغريبة : نعم بعيد . لقد جئت إليكم مباشرة من الطائرة . . لكن هل رحل فاسين ؟

صاحبة البيت : إلى بعيد ، بعيد جدا ـ أبعد كثيراً من هذا المكان ، وأبعد من المكان الذى أتيت منه .

السيدة الغريبة : أتعرفين من أين أتيت أنا ؟

صاحبة البيت : لا ، لا أعرف . لكن مهما يكن المكان الذى أقلعت منه فان فاسين رحل إلى أبعد . . .

السيدة الغريبة : أيعنى هذا أننا لا يمكننا أن نلتقى به ؟ عندئذ يكون من العبث أن أنتظر .

صاحبة البيت : ألا تعرفين شيئاً ؟

السيدة الغريبة : ماذا ينبغى أن أعرف ؟

صاحبة البيت : أن فاسين قد مات .

السيدة الغريبة : (صارخة) ماذا ؟ مات ؟ متى ؟

صاحبة البيت : منذ عام

(تشرع السيدة الغريبة فى البكاء وتتجه صاحبة البيت نحو المرآة حيث تتجمل وتنظر إلى الساعة . تدوّى دقات الساعة) .

السيدة الغريبة : هل أنت ذاهبة إلى مكان ما ؟

صاحبة البيت : لا .

السيدة الغريبة : من الواضح أنك تنتظرين شخصاً ما ؟ ، لذا سأرحل .

صاحبة البيت : أنتظر ضيفاً (تنظر إلى الساعة) فى الوقت متسع لتشربى فنجان قهوة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السيدة الغريبة : شكراً ليس لدىّ رغبة
(تقدم صاحبة البيت سجائر لها)
شكراً . . لا أدخن .
(تشعل صاحبة البيت سيجارة)
أنت أرملة مع أنك صغيرة وجميلة .
(تواصل صاحبة البيت هندمة نفسها)
مع الموق لا يموتون . . انك لم ترتدى ثوب الحداد طويلاً على فاسين . . . إضافة إلى ذلك شبابك . . لعلّك تنتظرين رجلاً ؟

صاحبة البيت : (منتعشه) لماذا تظنين هذا ؟

السيدة الغريبة : هذا واضح لأنك قلقة وتنظرين فى المرآة . . .

صاحبة البيت : أنت على حق . . فى كل مساء أنتظره وأكون دائماً مضطربة عندما يحين موعده . مضى أكثر من عام وأنا فى اضطراب وقلق .

السيدة الغريبة : (بنظرة عتاب ولوم) مازال فاسين حيّاً (صاحبة البيت صامتة)
هل تحبينه ؟

صاحبة البيت : من ؟

السيدة الغريبة : الرجل الذى تنتظرينه

صاحبة البيت : جداً

السيدة الغريبة : وهل هو يحبك ؟

صاحبة البيت : لا أعرف . . .

السيدة الغريبة : أرجوك . . لا تظنى أنى أدينك فأنت أرمل شابة . . . لكن زواجك أمر صعب ، فأنت أرملة فاسين الرجل المشهور . وبعد فاسين لن يعجبك أى رجل آخر . . .
كما أنك لو تزوجت ذلك الرجل الذى تهفو إليه نفسك فربّما أدانك الناس وقالوا إنها خانت فاسين . أنت لا يمكنك ممارسة حياة حرة لأنك مازلت أرملة فاسين المشهور . . ومن الصعب أن يقترب منك الرجال : لأنك كنت امرأة هذا الرجل .
(تصب صاحبة البيت الشراب فى كأسين وتقدم واحد للسيدة الغريبة) شكراً . اعذرى تطفلى . . أيمكنى أن أسأل حضرتك سؤالاً . هل هو رجل ؟

صاحبة البيت : من ؟

السيدة الغريبة : ذلك الذى تنتظرينه

صاحبة البيت : أنت لا تصدقينى

السيدة الغريبة : أنا ذاهبة ولا أريد أن أزعجك

صاحبة البيت : لكن أليس من الضرورى لك أن تشاهديه ؟

السيدة الغريبة : من ؟

صاحبة البيت : فاسين

السيدة الغريبة : ضرورى جداً ، لكنى جئت متأخرة . . (تنهض من الكرسى)

صاحبة البيت : (تنظر إلى الساعة) انتظرى قليلاً ، إنه سوف يأتى خلال عشرين دقيقة . .

السيدة الغريبة : (تتراجع هلعة إلى الخلف) أنا ذاهبة . .

صاحبة البيت : أنت لا تصدقين . . إنى لم أستطع حتى هذه اللحظة أن أخبر أحداً . . أنت أول إنسان أخبره بذلك .

السيدة الغريبة : تخبرينى بماذا ؟

صاحبة البيت : بأن فاسين يأتى كل ليلة . . . لو أنى تفوهت بذلك لاعتبرنى الناس مجنونة . لكنك أتيت من بعيد . . ومن المؤكد أنك تريدين رؤيته . (تبتسم السيدة الغريبة وتنظر إلى صاحبة البيت فى رعب) . لماذا تنظرين إلىّ هكذا ؟ أنت لا تصدقينى ، أليس كذلك ؟ (تأخذ منها السترة) انتظرى . . سيأتى قريباً وسترينه .

السيدة الغريبة : (تسقط فى الكرسى) . هل تنتظرينه ؟

صاحبة البيت : نعم . . .

السيدة الغريبة : ولأجله تتزينين ؟

صاحبة البيت : نعم . . .

السيدة الغريبة : لكن كيف يأتى إلى هنا ؟

صاحبة البيت : بكل سهولة . . كما كان يأتى من قبل . إنه لم يمت حتى الآن

السيدة الغريبة : ألا تخافين ؟

صاحبة البيت : فى تلك الليلة التى مات فيها أصابنى خوف هائل ولم أستطع البقاء معه فقضيت الليلة عند الجارة . . كم يبدو ذلك غريباً عندما يموت أقرب الناس وأعزّهم لدينا . يبدو ذلك غريباً ويثير فينا الرعب . . الآن أنا لا أخاف منه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المرأة الغريبة : ألأنك اعتدت ذلك ؟

صاحبة البيت : موته أصابنى بالموت . . لكنه ليس بميت

المرأة الغريبة : أيعنى ذلك أنه لم يمت ؟

صاحبة البيت : لا ، انه مات . حقا مات لكنه يأتى ثانية .

المرأة الغريبة : (فى دهشة) كيف يأتى ؟ أفى كفن ؟

صاحبة البيت : (بهدوء) عزيزتى . . عن أى شىء تتحدثين ؟ أنا لا أحكى لك قصة فيلم مرعب ولا أقول لك خرافة . . إنه يأتى فى ملابسه التى كان يرتديها فى آخر يوم له . .

المرأة الغريبة : إذن ، كان يرتدى هيكل عظمى ؟

صاحبة البيت : (بابتسامة تهكمية) . لا ياعزيزتى . . يبدو أنك تخيفيننى . . إنه هكذا تماما كما كان فى الماضى ، يسعل كثيراً إنه لا يطرق الباب لكنى أعرف أنه أتى من خلال سعاله . .

المرأة الغريبة : وهل شفى كتفه من المرض ؟

صاحبة البيت : (بغيرة) ومن أيت عرفت أن كتفه مريض ؟
هل أخبرك بذلك ؟

المرأة الغريبة : لا ــ سمعت من إنسان ما . . .

صاحبة البيت : انه لم يتكلم عن كتفه المريض لكنى رأيت كيف تغضّن وجهه من الألم . . .
(يدق جرس التليفون . تنظر السيدتان فى وقت واحد نحو التليفون ثم تنظر كل منهما إلى الأخرى) .

السيدة الغريبة : (بفزع) هو ؟

صاحبة البيت : لا أعتقد . . أنه منذ مات لم يتصل تليفونياً قط . . إنه إنسان آخر (بتردد تأخذ سماعة التليفون) . . ألو ــ و ــ و . . إنى أسمعك . .
(يُسمع صوت شاب مرح)

الصوت : أسألك المعذرة لاتصالى بك فى وقت متأخر . .

صاحبة البيت : (ببرود) أهو أنت ؟

الصوت : ألم تعرفينى ؟

صاحبة البيت : أعرفك من الصوت

الصوت : شكراً لك . . طوال الليلة الماضية ظللت أتطلع باحثاً عنك . . أنتظرك وها أنت ثانية لم تأتى . .

صاحبة البيت : لقد قلت إننى لن آتى . .

الصوت : نعم قلت كالعادة لكنى كنت آمل . . .

صاحبة البيت : (تبدى اشارات لتوحى للسيدة الغريبة أن تلك المحادثة مزعجة) إننى لم أعطك الأمل . .

الصوت : بكل أسف . .

صاحبة البيت : أعذرنى . . لدى ضيوف . . .

الصوت : لكن هل من الممكن أن يرى كل منا الآخر ؟

صاحبة البيت : لا .

الصوت : أتمنى لو أستطيع التحدث معك بقدر من الجدية . .
(يعبر وجه صاحبة البيت عن المعاناة)
ألا يمكننى زيارتكم ؟ طبعاً ليس بمفردى ولكن مع أختى . . .

صاحبة البيت : قلت لك دائماً إنى مشغولة . . لا وقت لدىّ على الإطلاق

الصوت : ولا حتى خمس دقائق ؟

صاحبة البيت : (تغطى السماعة بيدها) أوف . . (فى السماعة) غدا لن أكون فى البيت .

الصوت : أرجوك لا تغضبى منى ، إنى آسف على إزعاجك

صاحبة البيت : (بعدم مبالاة) ارحمنى لوجه الله !

الصوت : سأتصل بك مرة ثانية . . لعلّك تغيّرين موقفك ! شكراً كثيراً فأنا حقاً محظوظ لأننى سمعت صوتك . . . تصبحين على خير .

صاحبة البيت : تصبح على خير . . (تضع السماعة بضجة) إنه لا يعرف أن فاسين يأتى كل ليلة ، فأنا لا أستطيع أن أخبر أحدا بهذا ، وإلاّ ظنوا أننى جننت . .

السيدة الغريبة : وعندما يأتى ماذا تفعلين ؟

صاحبة البيت : كما كان حيا . . لقد كان فاسين متعلقاً بالتقاليد الأسرية . بمجرد دخوله البيت يقبلنى وعند خروجه يقبلنى . . حتى لو تخاصمنا فإن هذا السلوك لا يتغير . . انه يفعل ما كان يفعله .

صاحبة البيت : بعد ذلك يحبس نفسه كالمعتاد فى غرفته . . . هذه ، حيث يعمل وهو عندما

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يعمل لا يحب أن يكون أى كائن موجود بالقرب منه . . . إنه يغلق الغرفة ويصمت كأبى الهول . . .

السيدة الغريبة : كما كان يفعل فى الماضى ؟

صاحبة البيت : لا ، فى الماضى كان متذمراً أول عام تزوجنا فيه كان يفعل ذلك باستمرار . . ثرثارا . . كان صوته مضجراً ، كان كفأر يقرض مخى كنت أصيح فيه « أصمت ! كفى ! » .

السيدة الغريبة : والآن ؟

صاحبة البيت : الآن لا يتكلم إلا « نعم ، لا ، طيّب » . . إنه يعمل . . وكل ما أفعله هو أن أقدم إليه الشاى . . أضع أمامه كوب الشاى بينما يجلس كتمثال بوذا . . لقد مات لكن عاداته لم تتغير . .

السيدة الغريبة : وماذا يفعل الآن ؟

صاحبة البيت : (باستغراب) ألاَ تعرفين ؟

السيدة الغريبة : لقد كان أستاذا لل « تولفا[1] »

صاحبة البيت : نعم مرة أخرى يعمل الـ « تولفا » وقد مات عندما كان يعمل فى آخر « تولفا » والآن عندما يأتى ليلاً يسعى جاهداً لإنهاء هذه الـ « تولفا » .

السيدة الغريبة : الـ « تولفا » التى لم ينهها فى ذلك الوقت عندما مات .

صاحبة البيت : الأمر على ما يبدو غير واضح .

السيدة الغريبة : لماذا ؟ ألم تقولى إنه كان يعمل طوال الوقت ؟

صاحبة البيت : نعم كان يعمل لكنه فى كل مرة كان يمزق ذلك الذى فعله فى اليوم السابق . . يمزقه قطعا صغيرة ثم يبدأ من جديد . . إنه يتوقف دائماً عند منتصف الطريق وحينئذ يبزغ الفجر .

السيدة الغريبة : وماذا يحدث عندما يبزغ الفجر ؟

صاحبة البيت : يقبلّنى ويرحل . . هكذا . . (تنظر إلى الساعة) بعد ذلك يأتى ويمزق الـ (تولفا) ويبدأ من جديد مستمراً طوال الليل

السيدة الغريبة : وهل يأتى أمامى ؟

صاحبة البيت : لا أعرف . . أعتقد أنه سيأتى . .

السيدة الغريبة : أتمنى أن أشاهده مرة أخرى . .

صاحبة البيت : اعذرينى لتطفلى . . ماذا تريدين من فاسين ؟

السيدة الغريبة : أريد أن أراه ، هذا كل ما فى الأمر .

صاحبة البيت : (بغيرة) إنه لم يتحدث معى عنك ولا عن أية امرأة أخرى .

السيدة الغريبة : الآن غيرتك لا داعى لها . . فقد مات

صاحبة البيت : كيف تعرفت بفاسين ؟

السيدة الغريبة : ذات مساء . . سرنا معا على الشاطىء . .

صاحبة البيت : (بغضب وغيرة) على الشاطىء ؟

السيدة الغريبة : لا ، لا . . تنزهنا فى الطريق المشجّر

صاحبة البيت : فى الطريق المشجر ؟ . . تنزهتما ؟

السيدة الغريبة : لا كنا معا فى الحديقة . .

صاحبة البيت : إذن كنتما فى الحديقة

السيدة الغريبة : لا . . نحن بالتأكيد كنا فى مكان ما . . فالأماكن تتساوى . .

المهم أن فاسين قال لى شيئاً واحداً . . أخبرنى عن ذلك الشىء . .

صاحبة البيت : أين ؟ أخبرينى بالحقيقة

السيدة الغريبة : كنا فى مطعم . . وقال ، إن . .

صاحبة البيت : قال لك ؟

السيدة الغريبة : سيدتى . . إننى امرأة متزوجة ، ولم يكن لى عشيق فى أى وقت .

صاحبة البيت : أنا أيضاً لم يكن لى عشيق ولم يخطر ذلك على بالى . . أخبرينى ماذا قال فاسين ؟

السيدة الغريبة : كانت بالقرب منه امرأة أخرى . قال لها . .

صاحبة البيت : ماذا قال ؟

السيدة الغريبة : لا شىء . . (فترة صمت) . كان فاسين يحبك . .

صاحبة البيت : (من خلال الدموع) كان يحب . .

السيدة الغريبة : لقد كان يفتخر بك

صاحبة البيت : (تصيح من خلال الدموع) نعم كان يفتخر بى ، لكنى عندما كان يقدمنى إلى آخرين كنت أشعر كأنما يقول « أنظروا إلى فازتى »

إلى مكتبتى . . إلى آلتى ! . . كم هى

(١) تولفا مصطلح من تعبيرات المؤلف .

جيدة ! كم هى بديعة ! . » وكأنه يريد القول « أنظروا إلى ما أملك » .

السيدة الغريبة : إنك مصدر إلهامه فى عمله الـ « تولفا » . . اسهامك واضح

صاحبة البيت : لقد فعل فقط ما أراد . .

السيدة الغريبة : قد تكونين على صواب لكن الحقيقة أنه كان محظوظاً وان كل ما حققه يرجع الفضل فيه إليك .

صاحبة البيت : وأنا ؟من أنا؟ أنا لا شىء ؟ لقد كان أنانياً لا يفكر إلاّ فى نفسه .

السيدة الغريبة : لقد كان رجلاً طيباً يحسن عمل كل شىء .

صاحبة البيت : نعم أحسن عمل كل شىء ، لكن لماذا ؟ إن ذلك يرجع إلى أنانيته . هذه إجابة مناسبة ، فمن يصيبه بشر لابد أن ينتقم منه . . إنه لا يعرف إلا الانتقام(منتحبة) أهذا زوجى الذى حلمت به أيام الشباب ؟

السيدة الغريبة : إنك تحدثت معه عن ذلك عندما كنتما ضيفين . .

(تقف السيدة الغريبة وراء ظهر صاحبة البيت وتمسح على شعرها . ترخى صاحبة البيت رأسها . يُسمع صوت رجالى منخفض . .)

الصوت الرجالى : يوم ما سوف أموت . وسيأتى الطبيب يجس النبض وهو مستغرق التفكير كأنه يكتشف شيئاً هائلاً ، ثم يقول : « لقد مات » . . أنت تنتحبين . . واثقة من . . ماذا تقولين ؟ تكلمى ؟ . واثقة أنك لن تستطيعى الحياة بدونى . .

السيدة الغريبة : بأى شىء مات ؟

صاحبة البيت : لا أعرف . .

السيدة الغريبة : من قرر الموت يموت .

الصوت الرجالى : فى تلك الليلة ، عندما بلغ توتر أعصابى أقصى مداه ، رأيت حلماً . . رأيت نفسى وسط مروج خضراء متدثراً بالضباب ــ وكانت هناك امرأة ما ــ ممكن أن تكون أمى . .لا أعرف بالضبط ــ قالت لى « لا تخف » . . هذا شىء بسيط جداً » .

صوت نسائى رقيق لا تخف ! . . هذا شىء بسيط جداً . . تافه . . اطرح ذراعيك جانبياً . . أنظر ، هكذا . . عندما تزول القوة تدريجياً من قدميك فأنت تبدأ فى الموت . . فى الموت لا شىء أبداً مرعب . . أنت تسقط استجمع شجاعتك وبعد ذلك لن تتذكر أى شىء عن هذا الأمر . . لن تعرف شيئاً أنت هادىء ، . هادىء تماما . . .

الصوت الرجالى : كيف لى أن أعرف أننى كنت هادئاً ؟

صاحبة البيت : (من خلال الدموع) إنه يحب الجدال حول الموت فهو معجب بذلك . . .

السيدة الغريبة : وهكذا مات . .

صاحبة البيت : كل عام فى عيد ميلادى كنت أنتظر منه أية هدية . . . هدية صغيرة . . زهرة واحدة أو وريقة سقطت من شجرة . لكن عبثاً (بغضب) إنه لم يتذكر حتى يوم عيد ميلادى . .

السيدة الغريبة : لقد كان دائماً يفكر فيك كل يوم وكل ساعة ، كان أسيرك

صاحبة البيت : تركنى وحيدة . . لقد وعد بالحضور ولكن ها هى الساعات تمرّ فى الانتظار .

السيدة الغريبة : لكنه الآن يأتى كل ليلة . .

صاحبة البيت : نعم يأتى بعد أن مات . . لكننى وحيدة . انه مشغول فقط « بالتولفا » . . لا يوجد لديه الا التولفا . . سئمت كونى زوجة فاسين ــ أستاذ التولفا ، كنت أتمنى أن أكون زوجة فاسين فقط . . .

السيدة الغريبة : أتعتقدين أن فاسين بدون « التولفا » يكون فاسين ؟ إنه لو لم يبدع « التولفا » فإنك نفسك لن تحبيه لأنه حينئذ لن يكون فاسين وإنما شخص آخر . . .

صاحبة البيت : إنه لم يحبنى على الأطلاق .

السيدة الغريبة : لقد أحبك بشدة

صاحبة البيت : لا . . فى الحقيقة إنه يحبك أنت

السيدة الغريبة : (تتذكر وهى مستغرقة فى التفكير) . كنت أسعى للاقتراب منه ، وكلما اقتربت منه قليلاً هرب منى بالحديث الدائم عنك ، عن لطفك وشفقتك . . عن حبه لك . . كان يرتمى فى أحضانك . . .

صاحبة البيت : لو كنت أعجبت به لكنت قد انتصرت ، فهو يحب من يعجب به

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السيدة الغريبة : لـو كنت أعجبت بـه . . حتى الحكـماء يريدون أن تؤمن بهم زوجـاتهم أكثر من إيمانهم بأنفسهم . .

صاحبة البيت : لأن الحكماء رجال !

السيدة الغريبة : إن فاسين غير مذنب . . .

(يبـدأ بين المـرأتين حـديث غـير مترابط وحيث لا تـواصـل بينهـما . لا تنصت إحداهما إلى الأخرى بل تقاطع كل واحدة حديث الأخرى) .

صاحبة البيت : كان يطعم الـطيور التى كـانت تحبه أكـثر منى . . .

السيدة الغريبة : الدنيا برد ، أليس كذلك ؟ . .

صاحبة البيت : إنى أتعلم اللغة الإيطالية . . .

السيدة الغريبة : أفندم ! إن لبن الأم شىء لا نظير له

صاحبة البيت : طبعا . . آه لو انكسـر الزجـاج فى الوقت المناسب . . أين تعيشين ؟

(تقف فجـأة ناظـرة إلى الساعـة وكـأنها عادت إلى الوعى) الساعة الحادية عشـرة

(بخـوف) . . سيحضـر الآن . . الآن سيضرب جرس الباب . . .

(تدوى دقات الساعة عالية ، تهدأ الدقات إلى حـد ما فيسمـع صوت صـرير آلات صدئة تأتى رتيبة من بعيد ، ويعود صوت الرجل) .

(تغطى المرأة أذنيها بيديها وتبكى)

اسكت ! . . كفاية ، اسكت ! . . أريد أن أرتاح . . .

(يهدأ كل شىء تدريجيا)

صوتك كصوت فأر نفذ فى أذنى ، يتجول فى مخى . . يـطاردنى فى نـومى يكـدر أحلامى ، اسكت ! . .

(يسود السكون . . تبكى المرأتان)

السيدة الغريبة : الحادية عشرة . .

(يرن جرس التليفون فتهرع صاحبة البيت الدامعة العينين نحو التليفون وكأنها تبحث عن الخلاص) .

صاحبة البيت : (بأمل ولطف) ألو . . إنى أسمعك ! . .

(يُسمع صوت الشاب)

الصوت : اعذرينى لأننى أسبب لك القلق مرة أخرى فى هذا الوقت المتأخر . .

صاحبة البيت : اغفـر لى . . أى قلق تتحـدث عنـه . . بالعكس إننى مسرورة جدا . .

(تتمشى فى أرجاء الغرفة ساحبة وراءها سلك التليفون الطويل وهى لا تلاحظ أن السلك قد انفصل عن المصدر الكهربائى وتواصل الحديث)

الصوت : إننى طول الليل أبحث عنك . . انتظرتك طول الوقت لكنك كالعادة لم تأتى .

صاحبة البيت : أأنت هناك ؟ سآتى إليك إذا أحببت .

(تتحدث بابتهاج ولا تلاحظ أنها انتزعت السلك من جهاز التليفون .

تقتـرب والسماعـة فى يدهـا ــ من المـرأة الغريبة وتقف فى منتصف الغرفة) .

الصوت : لا تأتى . . لقد قلت لى من قبل لا تأت لهذا رحلت . . اننى الآن بعيد . .

صاحبة البيت : كيف تكون بعيدا !! . . سنتقابل غدا

الصوت : لقد قلت إنك غدا مشغولة . . .

صاحبة البيت : لا يهم (تلقى السماعة على الأرض)١

(يستمر الحوار)

الصوت : أستطيع الحضور ؟

صاحبة البيت : كما تحب . .

الصوت : حسنا أنا قادم مع أختى . .

صاحبة البيت : يمكنك أن تأتى بمفردك أم أن هذا ممنوع ؟

الصوت : حسناً جداً سآتى بمفردى . . تصبحين على خير

صاحبة البيت . تصبح على خير . . إنى منتظرة . .

(تظل على حالتها المغتبطة)

(تنـظر المـرأتـان إلى السـاعـة ، يتـوقف البندول فجأة)

السيدة الغريبة : توقفت الساعة . . .

صاحبة البيت : يبدو أنى نسيت أن أملأها . .

السيدة الغريبة : لقد تحررت . .

صاحبة البيت : إنه لن يحضر مرة أخرى . . .

(تقف السيدة الغريبة وراء ظهر صـاحبة البيت . يظلم المكان تدريجياً ولا يبدو أمام المشاهدين سوى امرأة واحدة) .

ســتــار

ترجمة : د. مصطفى يوسف منصور

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفنان عمر النجدى

فن تشكيلى

الأصولية الإسلامية ومشكل الحروفيين

عز الدين نجيب

كانت سنوات الخمسينات فى مصر بوتقة لفكر وإبداع جيل من المثقفين ، حلموا بتغيير الواقع ، الذى ثارت عليه ثورة يوليو ٥٢ ، وانبثقت من هذه البوتقة مواهب كبيرة فى الأدب والفن بفروعه المختلفة ، وإن اختلفت أحياناً مع نظام الثورة ، ورسخت اتجاهاً ينحو إلى استلهام الحياة الشعبية ، وإلى أن يكون المواطن البسيط هو البطل الجديد فى الأعمال الفنية والأدبية .

والحق أن ذلك لم يكن اتجاهاً جديداً فى الحركة التشكيلية بوجه خاص ، بل كان تتويجا لاتجاه بدأه ، منذ نشأة الحركة ، جيل الرواد العظام (مثل عياد وناجى ويوسف كامل) ، ثم عمق مجراه فى نهاية الأربعينات جيل الجماعات الفنية الشابة ، خاصة « الفن المعاصر » و « الفن الحديث » ، وقد واصل فرسانها تجربتهم الإبداعية فى هذا الاتجاه بعد قيام الثورة ، بأعمالهم التى تفاعلت أو تعارضت مع فكرها وقضاياها . . (منهم الجزار وندا والسجينى وجاذبية وعويس وحسن فؤاد وداود عزيز ويوسف سيدة) ، وقد أعطت الثورة بعضهم ما استحقوه من تشجيع واهتمام ، وأعطت البعض الآخر ما استحقوه من عقاب على اختلافهم معها . . قبل أن تتفرق بهم المذاهب والمشارب مع مرور الأيام . . . وكان موازياً لهم ـ ومستمراً بعدهم فى تأصيل هذا الاتجاه التعبيرى الشعبى ـ الزوجان سعد الخادم وعفت ناجى ، اللذان كرسا حياتهما لقضية الفن الشعبى ، استمرارا لرسالة محمد ناجى .

كان ذلك هو المناخ الذى تفتحت فيه موهبة الفنان عمر النجدى ، حتى قبل أن يتخرج فى كلية الفنون التطبيقية عام ١٩٥٧ ، (إذ أنه حصل على جائزة فنية فى عيد العلم ١٩٥٦) ، وهو أيضاً نفس الاتجاه الذى سار فيه لفترة طويلة أسس فيها وجوده ، كواحد من ألمع فنانى الجيل الثالث بالحركة الفنية المعاصرة بمصر ، لم يترك وسيطاً تقنياً إلا وأبدع من خلاله ، وتكاد تتوازى خطوط إسهاماته فى التصوير والنحت والحفر فى مسار مستقيم ، لكنها تمثل وجوها متعددة لشخصية فنية واحدة ، وفكراً تشكيلياً واحداً ، ولو تعددت ألسنته ! .

وقد درس عمر النجدى بالقسم الحر بكلية الفنون الجميلة وتخرج منه عام ١٩٥٣ ، أى قبل تخرجه فى كلية الفنون التطبيقية بأربع سنوات ، وهكذا تم تأسيسه تأسيساً أكاديمياً على مرحلتين مدرسيتين ، وبمنهجين تعليميين مختلفين ، هما الفنون الجميلة والفنون التطبيقية ، ولعل ذلك مما ساعد ـ فيما بعد ـ فى تنوع أدواته وخياراته التعبيرية : فبينما لقنته الأولى كيفية احترام أسس الرسم والنسب الطبيعية وقوانين المنظور وحبك التكوين وتدرج الألوان والظلال ، كشفت له الثانية عن أسرار عالم الخامات بأنواعها ، من خزف وفسيفساء ومعادن وأخشاب وأصباغ ، وما يصاحبها من ملامس وإيحاءات بثراء الطبيعة الخام .

إلا أن معلّمه الأول الذى يدين له باتجاهه الفنى المبكر ، هو حى باب الشعرية ، الذى ولد وعاش فيه طفولته وصباه ، وترسبت فى وجدانه ، قبل أن يعى ، الروح الشعبية الأصيلة ، ومعالم البيئة المليئة بالمأثورات التشكيلية ، فى تعايش حميم مع الحياة اليومية بالشارع

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

والحارة : المقاهى البلدية .. النقرزان .. الزار .. الباعة الجائلون .. عربات اليد المزركشة .. المساجد والأسبلة والحمامات الشعبية .. وحدات الخرط العربى والكليم الملون .. الأراجوز وصندوق الدنيا .. كل ذلك العالم السحرى الذى يمتزج فيه الماضى بالحاضر ، فى وحدة عضوية ذات مذاق حريف لا ينسى .

* التزام الخمسينات *

وتشهد أعماله التصويرية ، فى مرحلة الخمسينات ، ملامح قوية من ذلك العالم ، بنزعة تعبيرية بدائية ، تميل إلى المبالغة والخشونة وعنف الألوان واللمسات ، وكان رفيقه فى تلك المرحلة وصديق رحلته الطويلة هو الفنان صالح رضا ، حيث اشتركا معا فى التعبير عن عالم المقاهى البلدية والنقرزان والعفاريت ، ويذكر عمر النجدى أنه كان فى تلك الفترة من المعجبين بالأدب الروسى المعبر عن الطبقات السفلى فى مجتمعه ، خاصة روايات دستويفسكى وجوركى ، والتى قاده إليها صديقه الأديب أمين ريان (الذى بدأ فنانا تشكيليا) ، ولا ننسى أن ذلك قد توافق مع المد الثورى الذى أشرنا إليه فى الخمسينات ، وفى زخم هذا المد اقترن الفن عند النجدى بالواقع ، وبالتعبيج عن الطبقات المطحونة .

وشيئاً فشيئاً أخذ العنصر الأدبى والتراجيدى يخفت ، بينما ينمو أكثر فأكثر العنصر التشكيلى فى رؤيته التعبيرية ، فانتقل إلى استخدام عناصر معينة من البيئة الشعبية تتميز بسمات تشكيلية خاصة ، مثل ما يظهر فى عربات « الكشرى والبطاطا والنيشان » .. حيث تحتوى زخارفها البدائية الصريحة على كلمات مكتوبة تحمل قيما جمالية ... ومنذ ذلك الوقت دخلت « الكلمة » عالمه التشكيلى كعنصر وظيفى لغاية أصولية ، ! وليس كمجرد شكل ، أى أنها أصبحت هى و « المعنى » شيئاً واحداً ..

ومع تخرجه من كلية الفنون التطبيقية ـ قسم الخزف ـ بدأت مرحلة مصيرية فى حياة عمر النجدى ، لعب فيها « القدر » دوراً مهما ... كان يتنازعه بعد تخرجه نزوعان هما حصيلة دراساته وميوله : الأول يدفعه إلى التفرغ للبحث الفنى ، وقد ساقه ذلك للالتحاق بمرسم الأقصر ، ومعايشة الفن المصرى القديم عن قرب ، والثانى بدأ عندما عين معيداً بكلية الفنون التطبيقية (قسم الخزف) ، وحسم أمره بقبول الوظيفة ، لما تمثله من إغراء اجتماعى وأكاديمى ، وفى ١٩٥٩ حصل على منحة لدراسة الخزف بالاتحاد السوفيتى ، وكان يمكن ـ لو قدر لتلك المنحة أن تستمر لنهايتها ـ أن يسلك طريقا يرتبط بفن الخزف رباطاً وثيقاً ، لولا أن تدخلت ظروف سياسية مفاجئة ، فغيرت مسار جميع الدارسين المصريين ، فى جميع المجالات ، من موسكو إلى أوروبا الغربية ، وكان نصيبه التوجه إلى إيطاليا ، ليقضى بها خمس سنوات فى دراسة التصوير والجرافيك والموزاييك الجدارى والنقد الفنى ، بين فينسيا ورافنا ، حتى حصل على الدكتوراه عام ١٩٦٧ .

* مرحلة إيطاليا *

فى سنواته الدراسية تلك لم يكف النجدى عن الإنتاج ، ولم يغير أسلوبه الذى بدأه قبل البعثة ، مثلما يفعل أغلب المبعوثين ، انبهارا بالنموذج الأوروبى السائد على الفنون العالمية ، بل فضل أن يكون تطوره تأصيلا لهويته المصرية ، وهكذا عاد إلى نفس المنابع .. أعنى إلى عناصره الشعبية الأولى ، لكن بوعى تشكيلى جديد ، ورؤية تأملية لفنون الشرق عامة ، لا سيما فى اقتصارها على بعدين اثنين للوحة ، وفى ميلها إلى التسطيح والترديد الزخرفى ، وفى شمولية نظرة الفنان ، حيث لا تنقل ما يراه بعينه ، بل تصور ما يدركه بوعيه ، وقد اكتشف الناقد « روبن جوردن » هذه السمة فى لوحاته خلال تلك الفترة ، وذلك فى دراسته التى نشرت عام ١٩٦٢ ، فكتب يقول : كل شىء عائد إلى الشرق من جديد ! .

ولا غرابة فى أن يحظى بتقدير أدبى كبير عن تلك الأعمال ، تمثل فى حصوله على جائزة بمعرض الحفر السنوى بفينسيا ١٩٦١ متفوقا على الفنانين الإيطاليين . (وقد توالى حصوله على الجوائز فيما بعد حتى بلغت خمس عشرة جائزة !) .

والمتتبع لمسار النجدى وتطوره يجده قد اتخذ خطا متموجا فى صعوده ، بمعنى أنه تقلب بين عدة أساليب فنية من ابتكاره ، دون أن يبالى بتثبيت قالب معين لأعماله فى نظر متابعيه ، مثلما يفعل أغلب فنانينا ، خشية المخاطرة بالدخول فى طريق غير مألوف ، قد يفقدهم ما حققوه من مستوى فنى واجتماعى ، فيؤثرون السلامة ، قانعين بتعرف جمهورهم على أنماطهم الفنية من الوهلة الأولى وكأنها علامات مسجلة ، حتى لو ظلوا محصورين داخل هذه الأنماط عشرات السنين ، وهذه إحدى آفات حركتنا الفنية المعاصرة ، التى تضيق فيها مساحة الاجتهاد الذهنى والمغامرة الخيالية إلى أقصى حد ، ويشير فزع غواصيها خوض أعماق البحار بحثا عن اللآلىء المجهولة ، فيقنع الغالب الأعم منهم بما يلقيه البحر الأوروبى إلى شواطئهم ، ولو كانت صدفات فارغة ! .

ولعل النجدى يتمثل فى عملية تجديد دمائه بالفنان العالمى بيكاسو ، الذى لم يكن يقنع بالاستقرار عند أى أسلوب ، ولو حقق له شهرة مدوية ، فكان دائما يقفز من تجربة إلى أخرى ، والنقاد والفنانون يلهثون خلفه مفسرين ومؤولين ومقلدين ! .

لكن الفرق كبير على كل حال ، باختلاف حجم العبقرية وطبيعة المزاج بينهما : فعلى حين كان بيكاسو يبدع وفق ما يثيره فيه انفعال اللحظة واكتشاف الطفل وجرأة الغواص المحسوبة فى اقتناص محارته ، فإن النجدى ذهن حاسب تأملى تأصيلى ، لا يقنع بحدود الشكل الخارجى ، بل يسعى دائماً إلى الرؤيا والجوهر ، وهذا ما يجعل كل مرحلة من مراحله بحثاً فلسفياً وتشكيلياً معا ، له إطاره ومنهجه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* عالم من الحروف *

ففى السنوات الأخيرة من الستينات ، بدأ النجدى مرحلة الحروف العربية ، ليس من منطلق « الموضة » التى أخذت فى الانتشار بعد ذلك ، بل من منطلق « أصولى » نحو العثور على معادل من التراث لما يشغل فكره وروحه ، وإيجاد قاموس للغته التشكيلية والموسيقية أيضا (ذلك أنه عاشق للموسيقى العربية عزفاً وتذوقاً) . . كان الحرف هو « ضابط الإيقاع » فى ألحانه المرسومة ، ومنه أيضاً يتشكل « التون » وتتكون الجملة الموسيقية تشكيلياً ، وعن طريقه تستمد اللوحة حركتها الداخلية : سرعة أو بطءاً ، وتستمد شحنتها التعبيرية : هدوءاً أو صخبا . . رقة أو عنفا . . . وكان الحرف أصلح صيغة لجعله حميم الصلة بجذوره الاسلامية ، وبروحانيته المائلة إلى الصوفية ، لما يملكه من طواعية للترديد المنتظم اللا نهائى فيما يشبه الذكر والتسبيح .

وهكذا بدت « حروفياته » ـ أحيانا ـ دعاءات وابتهالات ، تتوالى فى إيقاع يعلو وينخفض كالنبض المنتظم ، لكنه دائما يدور حول محور ثابت ، أو لعله ينبثق منه مثل شعاع كونى ، وأحياناً أخرى مقطوعات عربية أقرب إلى آلة القانون ، تتصاعد مرة وفق صفوف أفقية رتيبة ، وأخرى فى خط حلزونى لاهث ، وثالثة فى شكل « مفروكى » متعارض ، لكنه متلاحق المحاور ، مستمد من الشكل الاسلامى الشهير فى الخرط العربى على الخشب .

ولم يكن فى ذلك مدفوعاً بموقف معادٍ للمشخصات فى الفن ، فقد اتسع أفق رؤيته لاستيعاب « جوهر » الفكر الاسلامى وليس مظهره ، وهو فكر من الشمول حتى ليرى الانسان بوجهيه معا . . المادى والروحى ، ومن الحرية للدرجة التى تجعله يسمح للفنان باختيار ما يشاء من عناصر يؤمن فى داخله بأنها لا تناقض مثله العليا ، وهذا ما أثبته التراث المتنوع للفن الاسلامى فى عصر الازدهار . . . من هنا فإن النجدى فى بعض لوحاته « الحروفية » لم يتردد فى أن يضيف أشكالاً آدمية مكتملة ، وفى لوحات أخرى يشكل من الحروف عالماً يبدو فى مجمله أشكالاً آدمية .

والحرف العربى ـ إلى جانب خواصه الجمالية السابقة ـ يملك خاصية فريدة أخرى ، وهى أن الفراغات التى يتركها فى تجاويفه ، أو الناتجة عن تجاور الحروف وتداخلها ، تشكل فى حد ذاتها أشكالاً جديدة ، تعادل جسم الحرف نفسه وتكوّن معه علاقة ديناميكية ، وقد أفاد النجدى من هذه « التعادلية » بين جسم الحرف وفراغاته أكبر فائدة ، فى إقامة نسق موسيقى وجمالى منتظم ، وفق مقاييس حسابية يقاس بها حجم الشكل والفراغ ، كما يقاس الزمن فى النوتة الموسيقية . . . وربما كان ذلك مدخله أيضا إلى اكتشاف هذا القانون « معادلة الكتلة بالفراغ » فى أعماله النحتية .

* التعادلية ! *

إن الطبيعة التأملية للنجدى تتخذ موضوع بحثها من الفكر والمادة معا . . . فإذا كان الجوهر الأصولى للفكر الإسلامى قائماً على الوحدانية لله سبحانه ، وعلى تكامل المخلوقات وارتباطها فى كل ، وتغلغل روح الخالق فى كل جزء منها ، حتى يصبح الجزء فى ذاته تعبيراً عن الكل وعن وجود الله فى اتساعه اللا نهائى ، فإن عناصر وصياغات الفنان المسلم القديم كانت تعبيراً عن ذلك الفكر ، ومن هذه العناصر ـ الفنية المادية ـ التى تأملها النجدى طويلاً : عرائس المسجد ، التى تحدد إطاره العلوى من الخارج ، وخرج من تأمله بأن حجم الشكل الحجرى للعروسة مساوٍ لحجم الفراغات الناجمة عن أطرافها فى جوانبها المختلفة ، بل وجد أن هذه الأطراف الحجرية وكأنها « معشقة » فى الفراغ فى وحدة لا تنفصم ، وكأنها ابتهالات أو تعانق روحى ، وهذه الفراغات تبدو ـ فى نفس الوقت ـ ثقوباً تعطى بعداً اتساعياً للشكل . . وهكذا أمسك النجدى بخيط نظرته خاصة « للاتساع » الذى أطلق عليه « البعد الخامس » بعد بُعدَىْ : العمق والحركة .

وصفة الاتساع هى من صميم الفكر الإسلامى ، والاتساع هو بعد يمتد فى المساحة ، ويمكن حسابه ـ وفق ما يرى النجدى ـ بوحدة قياسية ، وفى هذه الحالة يتجاوز حجم الشكل ، بل وقد يختلف عنه وهو يمتد متسعاً فى اللا محدود ، مثل الحجر الذى تلقيه فى الماء ، فتتولد عنه دوائر تتسع متوازية إلى ما لا نهاية ، برغم أن شكل الحجر قد لا يكون دائرياً .

وهذا ما حاول أن يثبته فى لوحاته الحروفية وفى منحوتاته أيضاً ، التى غالباً ما تجمع أكثر من شكل فى علاقة عضوية حميمة ، تنتج عنها فراغات وثقوب فى متواليات متصلة ، وتعادل محسوب مع الكتلة ، يهيء الشكل للانطلاق من المحدود إلى اللا محدود .

وهذه « التعادلية » بين الكتلة والفراغ فى النحت ، تختلف عن فلسفة النحت المصرى القديم مثلا ، حيث يبدو الفراغ فى الأخير دائراً حول الكتلة ، وقد سار النحات الفرنسى الحديث « جياكوميتى » على هذه النظرية فى أعماله ، على عكس النحات الانجليزى « هنرى مور » ، حيث نجد الفراغ عنده نسبياً إلى الكتلة ، يصنعه فى شكل ثقوب ضيقة فى التمثال ، محسوبة بدقة بالنسبة لحجم الكتلة الضخمة .

وكما تأمل النجدى شكل العرائس ، فقد تأمل أيضاً شكل البراعم والزهور ، سواء فى الطبيعة أو فى الفن الإسلامى ، وتأمل كذلك فى عملية نمو الجثة والجنين ، واستوحى من كل ذلك فكرة النمو والتفرع والتوالد والاتساع فى كل الاتجاهات اتصالا بالخالق ، لكنه فى تعبيره عن هذه التجليات لم يلجأ إلى استعارة تلك العناصر مباشرة ، بل استعاض عنها بالحروف ، وأحياناً بالأرقام . . . إن ترديد حرف الألف أو الرقم «١» كثيراً فى لوحاته بشكل لا نهائى العدد ، هو تعبير عن معنى النمو والتوالد والاتساع . . والوحدانية أيضا ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولعلنا نلاحظ أن الحروف تتوالد من بعضها البعض ، كدوائر الموجات فى الماء إثر إلقاء حجر ، ونلاحظ أيضا فى معظم لوحات هذه المرحلة ، محاولة منه للخروج من حيز السطح المحدود إلى الاتساع اللا نهائى ، وهى على أية حال رؤية لا تقتصر على الفن التشكيلى وحده ، بل نجد ترديداً لها فى الفنون الأخرى . . كالموسيقى والشعر .

* عودة إلى المشخصات *

وفى معرضه الأخير الذى أقيم بالقاهرة منذ شهور ،رأينا فى أعمال النجدى عودة قوية إلى رسم المشخصات ، وإلى استرجاع أصداء البيئة الشعبية التى بدأ بها حياته الفنية . . أبطالها من أولاد البلد ، والدراويش ، والمغنين ، ومن صندوق الدنيا ، ورسوم الحج على واجهات البيوت . . . ونظراً لأنها « أصداء » فإنها توحى بكل ذلك ولا تصرح ، وتبدو كأطياف غائمة أو شذرات خشنة ، متداخلة أو متجاورة ، فى مربعات ساذجة ، كذكريات الطفولة البعيدة ، وكأن الفنان يستعيد فى كهولته زمن البراءة الأولى ، فى عالم خلا من البراءة ، وهو هنا يستعير أسلوباً تراثياً يلائم هذه البراءة الطفولية ، وجده فى معالجات الفنان المسلم للمخطوطات القديمة ، مثل الواسطى وبهزاد ، وفوق ما نجده فى هذه اللوحات من عذوبة وعفوية ، فإن بها من التقسيمات الهندسية ، القائمة على وحدتى المربع والمستطيل ، ما يوحى لنا بحشوات الأبواب الإسلامية أو بتشكيل عربات اليد الشعبية ، وفى نفس الوقت ، لو أننا أغفلنا التفاصيل تماماً ، فإنها تعطينا حسّ السجاد الفارسى ، وملمس الجدران الأثرية المتآكلة .

وفى ظنى أن هذه العودة ــ بعد رحلة الحروف الطويلة ــ تحمل معنى أعمق من مجرد استرجاع براءة الطفولة ، وهو أن « الحرف » قد أوشك أن يستنفد أغراضه الجمالية بنوعية المعالجات التى تناوله بها الفنانان المصرى والعربى ، ومهما كانت درجة « الخلاّقية » فى استلهامه وتطويعه فى بناء تجريدى معاصر على يديهما ، أو كانت درجة توظيفه كعنصر تعبيرى ورؤية تأملية وجدلية ، مثلما فعل النجدى ، فإنه يقود حتما إلى « الشكيلة » الفارغة ،التى تصلح لأحد غرضين : أداء وظيفة الزينة ، أو شغل وقت الفراغ بالرياضة الذهنية والجمالية ، بالتلاعب بالأشكال والخامات والملامس ، دون استثارة فكرية أو ملامسة وجدانية ، مثلها فى ذلك مثل « شكلية » لوحات النماذج الهندسية ، ما سُطح منها وما جُسّم ، ما كان منها قائماً على علاقة عناصر (هندسية ــ هندسية) أو على علاقة عناصر (هندسية ــ عضوية) ، هاتان العلاقتان اللتان خاض فيهما فنانون مصريون وعرب ولم يستطيعوا منهما خلاصا ، وكلتاهما استهلكتا فى الحركات الفنية الأوروبية قبل أواسط القرن ، فانتهوا إلى أن يكونوا أقرب إلى المصممين الزخرفيين ! .

* مشكل الحروفيين *

إن « الحروفية » التى بدأت فى أواخر الخمسينات ، على يد فنانين مصريين وعراقيين ، كنوع من التمرد على التشخيصية الأوروبية ، وعلى العلاقة الأبوية المستبدة للفن الأوروبى ، انتهت بعد ثلاثين عاماً إلى تأكيد هذه العلاقة ، دون أن تنجح فى تأصيل هوية معاصرة قابلة للنمو للفن المصرى أو العربى ، لأنها دخلت فى طريق مسدود ، باتخاذها منهج التجريدية الأوروبية وإن اختلفت « نوتتها الموسيقية » .

وقد كانت محاولة عمر النجدى محاولة جادة وعميقة بالفعل لتجاوز هذه « الشكلية » الأوروبية ، بربطها بجوهر الأصولية الاسلامية ، التى أنتجت جمالية الحرف العربى ، وليس بمجرد الشكل الأجوف كما فعل أغلب الحروفيين ، لكن تجربته التى امتدت عشرين عاماً أدت به فى النهاية إلى « النمذجة » والتكرار ، وربما كان حرياً بفنان غيره أن يواصل مشواره وفق نموذجه الأثير ، الذى حقق به شهرة واسعة ، ولكن لأنه فنان حقيقى يتمرد على النمذجة ، وحيث تقوده نزعة تأملية ذاتية لا تكف عن البحث ، وترى « الشكل » وظيفة لا غاية . . . فقد عاد يبحث من جديد عن رؤى أخرى ، ولو من الماضى وتراث الحارة ، ليدفع بها نحو الاتساع اللا محدود .

القاهرة : عز الدين نجيب

فى علياء عبد الغنى السيد الخطيب فى إسراء عبد الغنى

الفنان عمر النجدي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

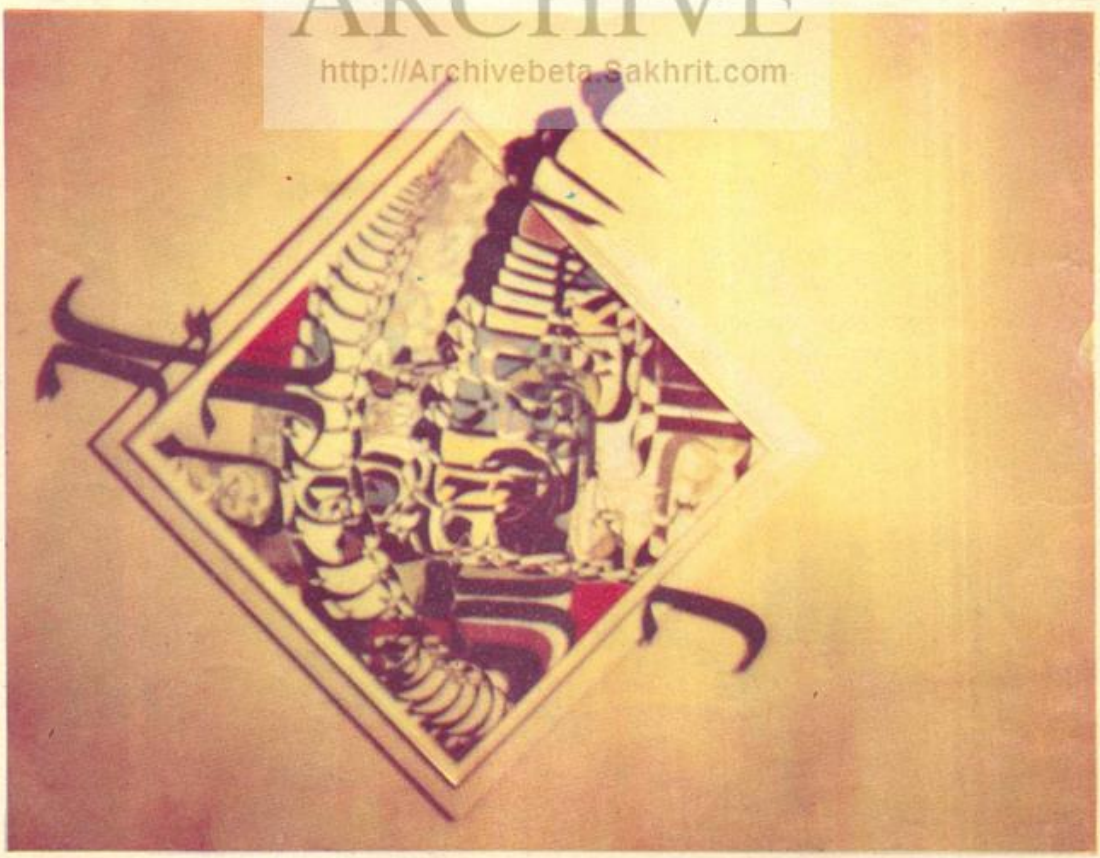

وأعدوا لهم ما استطعتم

من قوة

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد رسول الله والذين معه

أشداء على الكفار رحماء فيما بينهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

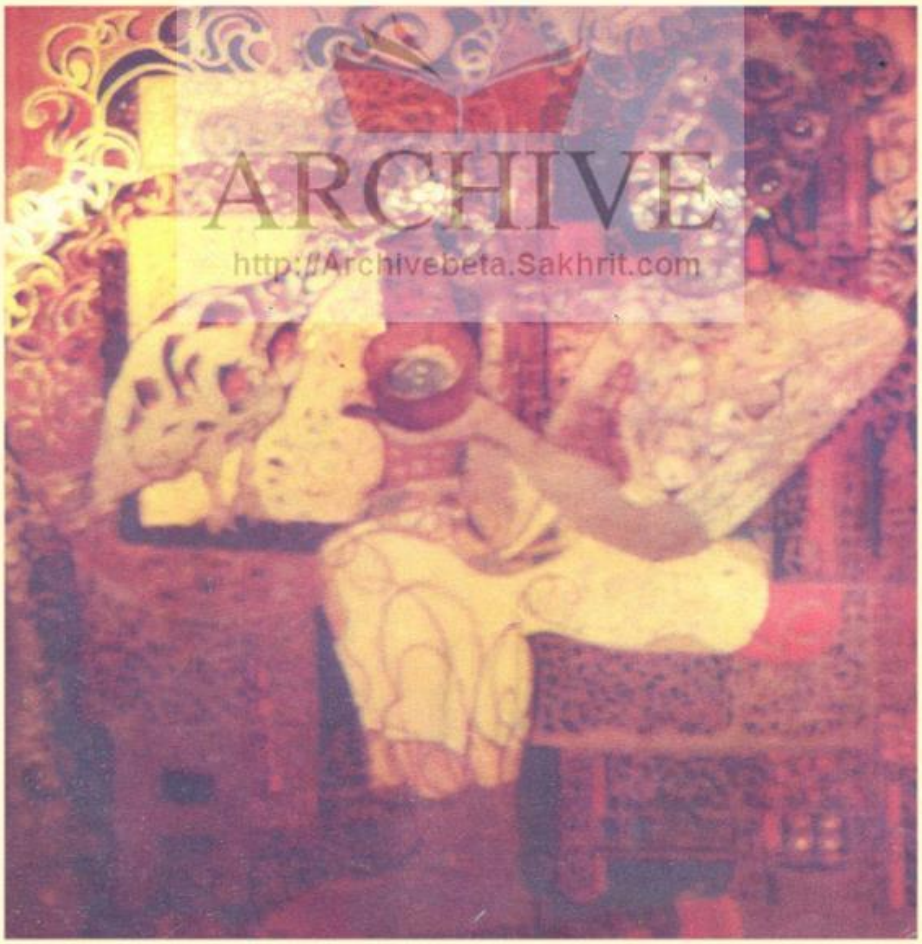
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد

فرءيتم الماء الذى تشربون .

محمد محمد

ءنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون .

صدق الله العظيم محمد

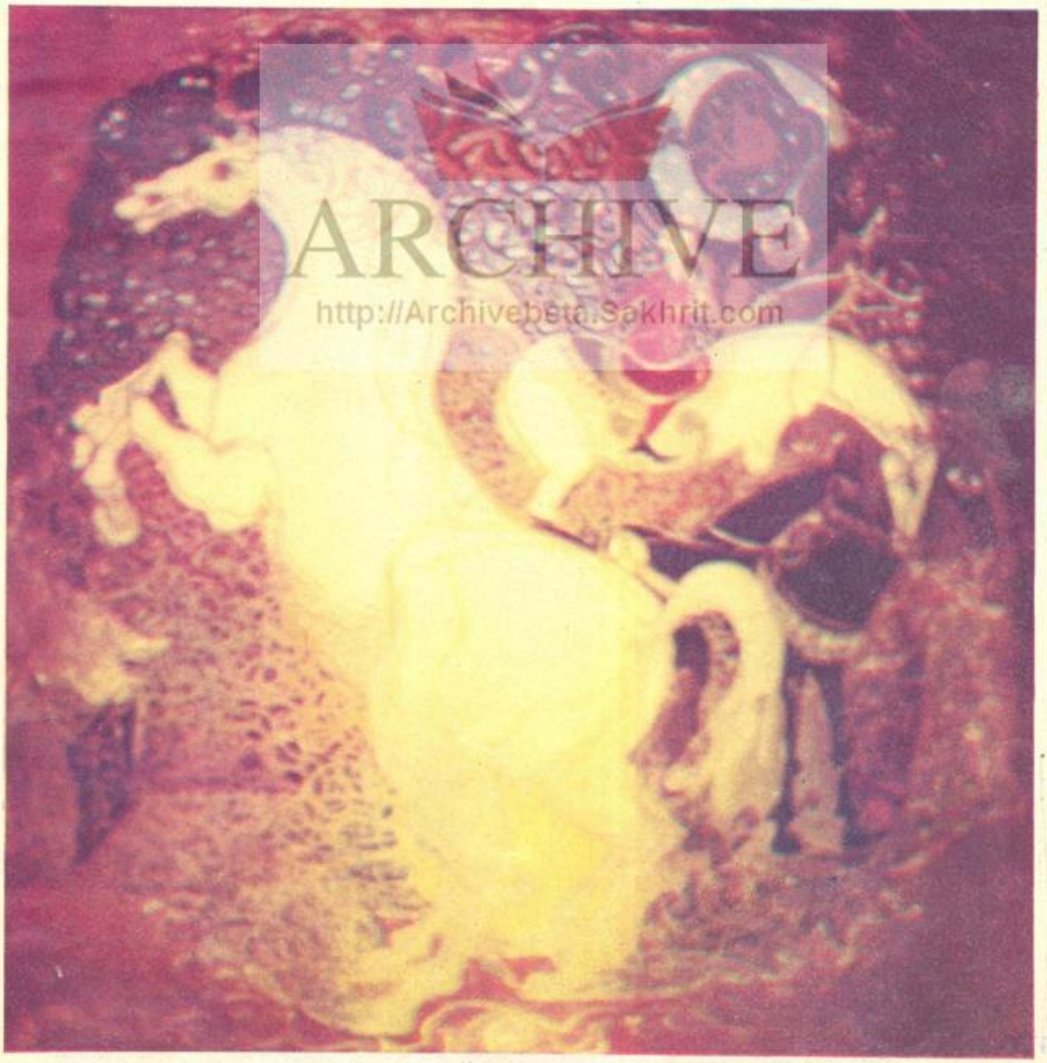
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

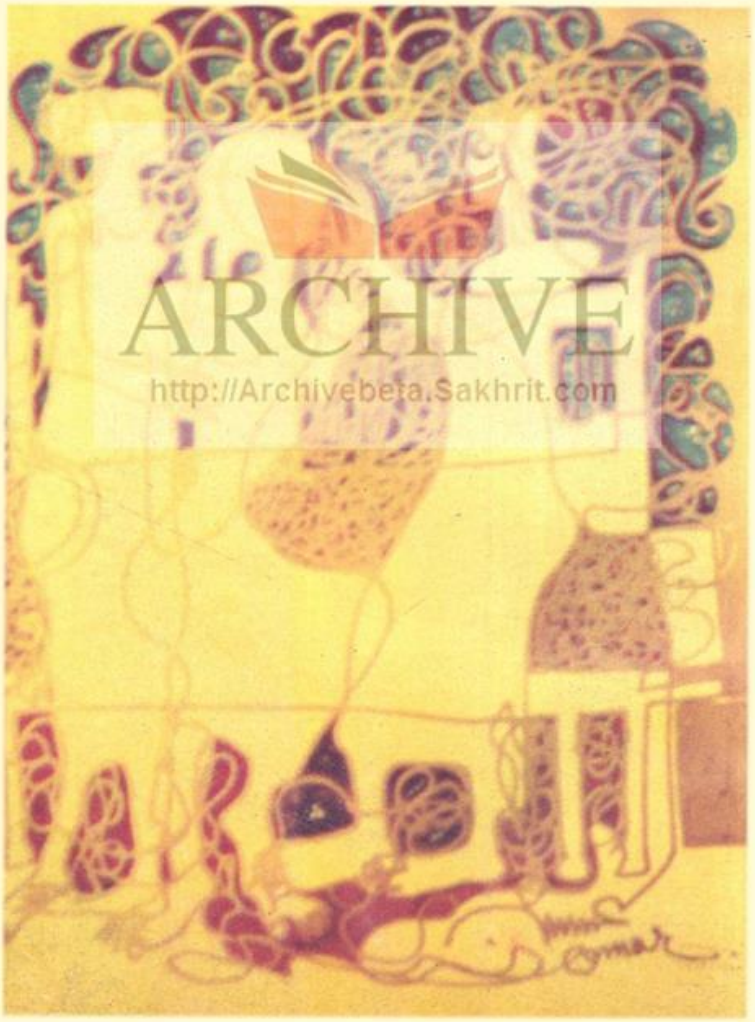
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي بيده الملك وهو

على كل شيء قدير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

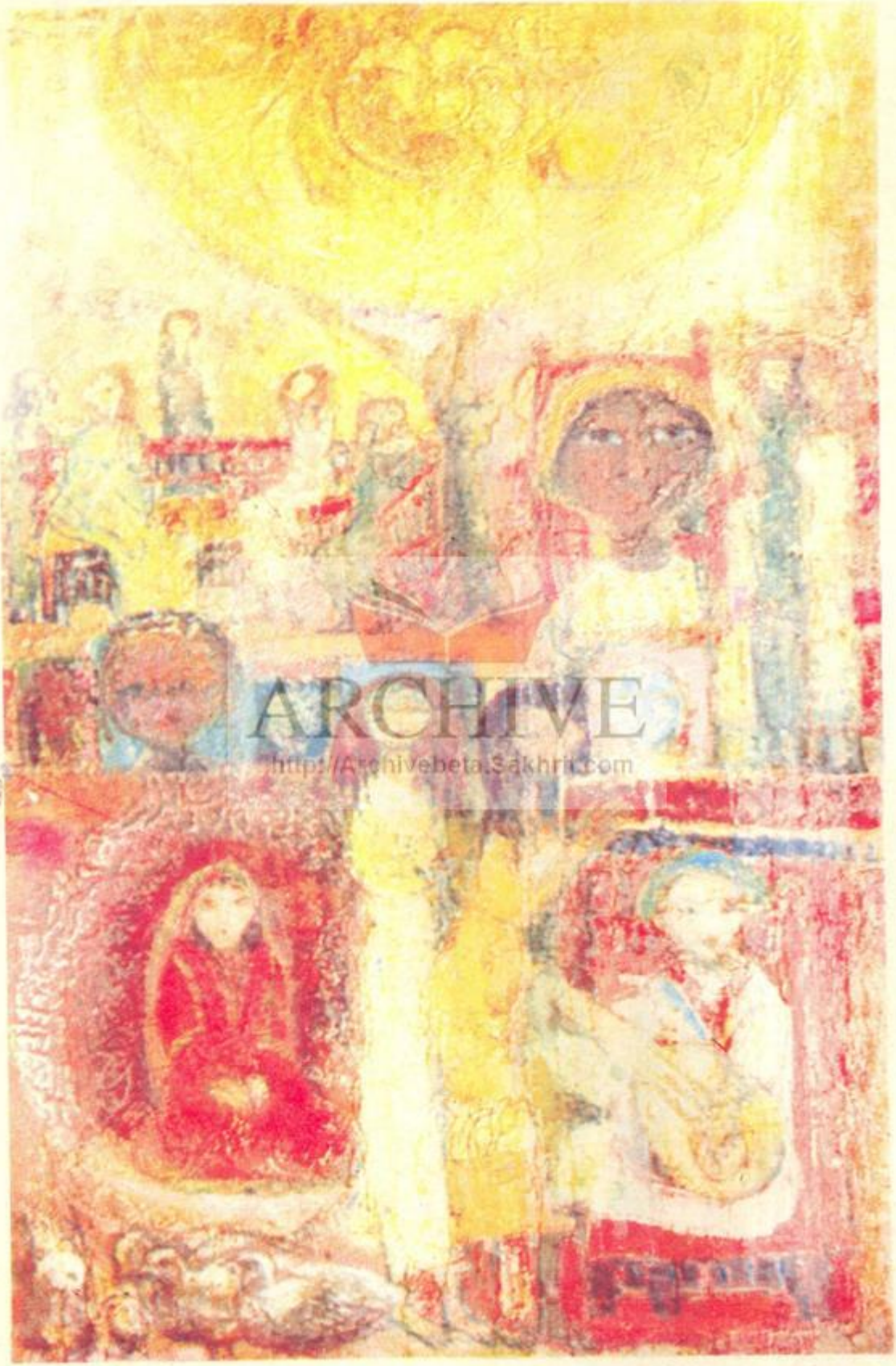
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صورتا الغلاف للفنان عمر النجدى

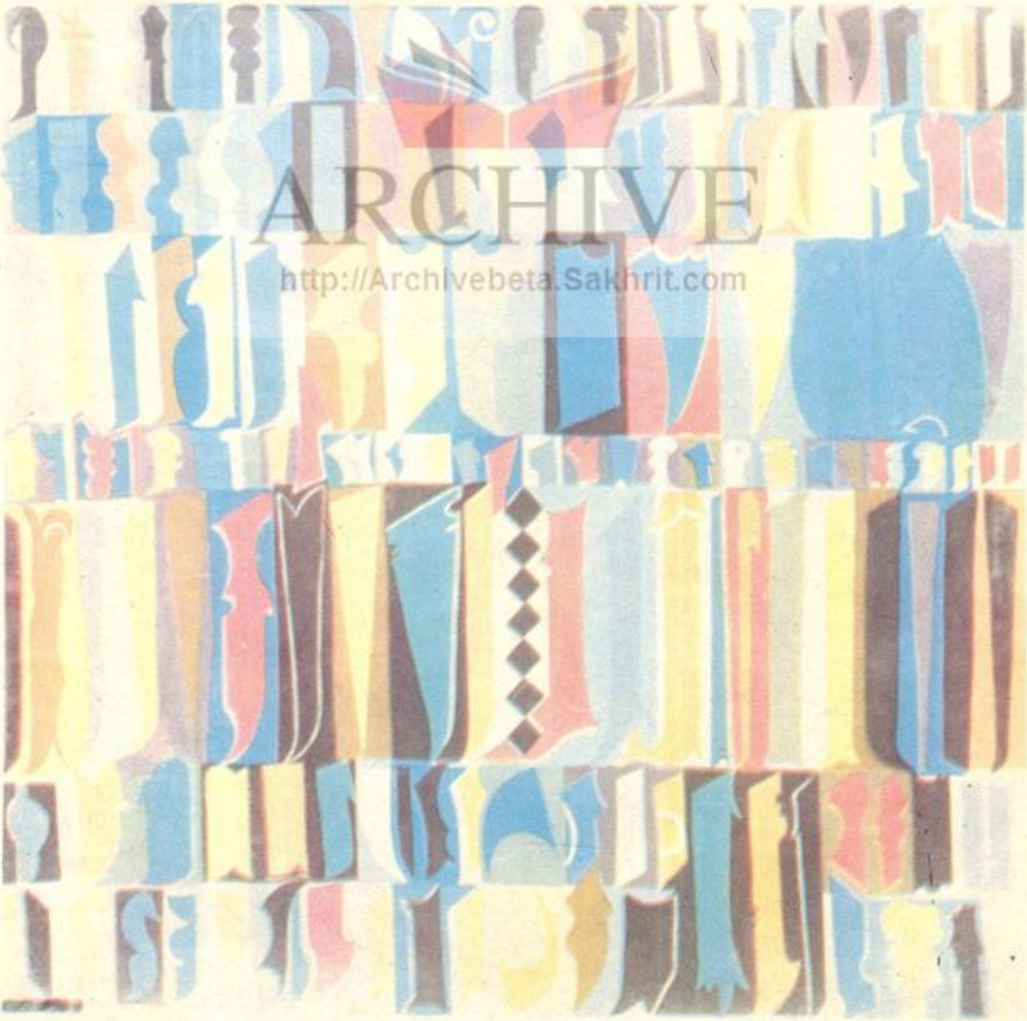

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طابع الهيئة المصرية العامة للكتاب